

عددٌ من الأبحاث العلمية الدعوية المحكمة

تأليف
د/ حمود بن جابر بن مبارك الحارثي
الأستاذ المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين
بجامعة أم القرى بمكة المكرمة



١٤٣٧ هـ ٢٠١٦م



مكة المكرمة بجوار جامعة أم القرى
٠١٢٥٥٦٢٩٨٦ - ٠٥٠٣٥٦٨٧٧١
dartaibagreen@gmail.com



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن من أعظم نعم الله على المسلم أن يستعمله في العلم تعلمًا وتعليمًا. وبفضل ربي فقد أنجزت خلال الأعوام ١٤٣٠- ١٤٣٤هـ خمسة أبحاث علمية تم تحكيمها علميًا في الدعوة وعلومها. فارتأيت أن أُخرجها في مؤلَف واحد بعد استشارة واستخاره وقد أشار علي أحد النابغين وفقه الله أن يكون عنوانها **(الرقيم الواضح على منهج السلف الصالح. عدد من الأبحاث العلمية الدعوية المحكّمة)** فرأيته حسنًا. خاصة وأن الدعوة لاتباع منهج السلف الصالح في الدعوة والعمل ظاهر فيها إن شاء الله تعالى.

وهذه الأبحاث مرتبة هي:

- أهمية الأناة وأثرها في الدعوة إلى الله. وقد حُكِّم في الجمعية العلمية للدراسات الدعوية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- إتقان العمل الدعوي ضرورة دعوية. حُكِّم في كلية التربية بجامعة عين شمس.
- منهج السلف في نقد البدع ودعوة أهلها وقد حُكِّم في جامعة أم القرى.

- الصابئة دراسة تاريخية دعوية وقد حُكِّم في جامعة الملك سعود.
- السلبية في مناصحة ولاة الأمر وقد حُكِّم في جامعة الأزهر.

وقد تركت كل بحث على هيئته التي حُكِّم عليها فجاء كل بحث وحدة علمية مستقلة؛ ولذلك أرجو ألا يسأم القاري من تكرار المقدمات فهي بمثابة المدخل لكل بحث فضلًا عن الفوائد العلمية الموجودة فيها.

وختامًا فإن هذا جهد بشري لا يخلو من الخطأ فما كان من خطأ فهو مني، وما كان من صواب فهو بتوفيق الله وتسديده فله الحمد والشكر حتى يبلغ منتهاه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهمية الأناة

وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى

أهمية الأناة
وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى
المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن الدعوة إلى الله تعالى التي يُراد لها النجاح والاستمرارية لا بُد أن تكون مهتدية بالمنهج النبوي، المنهج المستضيء بنور الوحيين الكتاب والسنة، والمترجم عمليًا بأقوال الرسول ﷺ وأفعاله وسيرته في دعوته. ومن معالم ذلكم المنهج النبوي **الأناة**، فقد كان ﷺ ذا أناة ورفق وتثبت في تعاملاته، وفي بلاغه للوحي، وقد أدبه ربه على ذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[1].

وكان من نهجه ﷺ ألا يُصدر الأحكام جزافًا وقد نزل عليه قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾[2].

وأثنى ﷺ على من اتصف بالأناة وبيّن أنها من الصفات التي يحبها الله فقال ﷺ لأشج عبد القيس رضي الله عنه: «**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ**»[3]. إن هذه الخلة الحميدة لهي من أهم الخلال التي تساعد على نجاح الداعية في دعوته، فهي حَرية بأن تُبحث وتدرس دراسة دعوية يُفيد

---

(١) سورة طه، ١١٤.

(٢) سورة النساء، ٩٤.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، ١/٤٨، رقم ١٧. وأخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التأني والعجلة ٤/١٩٦، رقم ١٩٣٤.

منها الدعاة إلى الله تعالى خاصة في هذا العصر الذي كثُرت فيه الفتن، وقد اعتمد أعداء الدعوة على بعض تصرفات المسلمين الخاطئة وخاصة الدعاة، فجعلوها طريقًا للنيل من الإسلام والدعوة. وهذا يوجب على أهل العلم زيادة الإمعان في دراسة سيرة النبي ﷺ وسنته واستنباط جزئيات المنهج النبوي في الدعوة إلى الله وتقديمها ناصعة للعاملين في الميدان الدعوي في دراسة دعوية تأصيلية، وبعد إطالة النظر في السنة والسيرة وجدت أن الأناة صفة عظيمة اتصف بها النبي ﷺ وحث عليها ومدح المتصفين بها.

ومن خلال البحث والرجوع إلى سجلات الرسائل العلمية والبحوث العلمية المحكمة في أقسام الدعوة في جامعات المملكة العربية السعودية[1]، تبين لي أنه لم يسبق دراستها دراسة دعوية، فعقدت العزم بعد التوكل على الله تعالى على دراسة ذلكم المصطلح الشرعي دراسة دعوية تحت عنوان (**أهمية الأناة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى**). وقد اقتضت طبيعة الدراسة تقسيمها إلى مقدمة وخمسة مباحث على النحو الآتي:

---

(١) انظر: سجلات الرسائل العلمية في أقسام الدعوة في جامعات المملكة مع بعض البحوث العلمية المحكمة في المجلات العلمية المحكمة، جمع طلاب الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية للعام الدراسي ١٤٢٨هـ، ومضاف إليها سجل البحوث المسجلة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وسجل الرسائل العلمية في جامعة الأزهر.

المبحث الأول
تعريف الأناة وأهميتها
المطلب الأول
تعريف الأناة

أولًا: معنى الأناة اللغوي:

للأناة في اللغة العربية عدة معانٍ منها:

تأَنَى: ترفق، يقال: رجل آن: أي كثير الترفق. ومنه قول النابغة:

الرِّفْقُ يُمْنٌ والأَنَاةُ سَعَادَةٌ فاستأْنِ في رفق تلاق نجاحا

تأَنَى: تنظَّر، وتأنى في الأمر: أي تنظر واستأنى به: أي انتظر به.

تأَنَى: تأخر، ومنه قول الحطيئة:

وآنَيْتُ العِشَاء إلى سُهَيلٍ أو الشِّعْرَى فطال بيَ الأَنَاءُ

أي أخرت العشاء.

تأَنَى: أبطأ. ومنه ما جاء في الحديث، أن رجلًا جاء يوم الجمعة ورسول الله ﷺ يخطب، فجعل يتخطى رقاب الناس، فقال رسول الله: **«اجلس فقد آذَيْتَ وآنَيْتَ»**[1]. ويقال: فلان خَيْرُهُ أَنِيٌّ: أي بطيّ.

تأَنَى: تثبّت، يقال تأنى في الأمر أي تثبت من تحققه.

تأَنَى: تمهَّل، يقال: متمهل في تدبير الأمور: أي مبتعد عن العجلة. ولذلك يوصف الرجل المتأني المتمهل المبتعد عن العجلة بأنه: وَاسِع

(١) معرفة السنن والآثار، البيهقي، ٥ / ١٧٢، رقم ١٨٠٨. وسنن ابن ماجه، ١ / ٣٥٤، رقم ١١١٥. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ٣ / ٥٣، رقم ٩١٦.

الأَنَاة، بَعِيد الأَنَاةِ، طَوِيل حَبْل الأَنَاة[١].

ثانيًا: معنى الأناة الاصطلاحي:

من خلال النظر في معاني الأناة عند علماء اللغة، والتفسير، والحديث، والألفاظ المرادفة لها كالتثبت والتمهل، والألفاظ المضادة لها كالعجلة وهي التقدم بالشيء قبل وقوعه يمكن **تحديد معنى الأناة الاصطلاحي بأنها:**

التأني والتربص والتثبت وترك الطيش والعجلة وضبط النفس عند الغضب حتى يستبين الصواب[٢].

إن الأناة إنما قصدت للاستظهار والاستبصار والتأمل والنظر في العواقب، والعجلة كثيرًا ما تأتي بالعطب، وتوقع في الحرج، وحينئذٍ لا ينفع الندم. وإن تأني الداعية وتثبته في التعامل مع النصوص يجعله قادرًا على تنزيلها على واقع المدعو مع اختيار الوسائل والأساليب المناسبة بما يحقق أهداف الدعوة إلى الله وغاياتها. ومن هنا تتبين أهمية الأناة في الدعوة إلى الله تعالى.

---

(١) انظر في هذه المعاني: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ٨ / ١٥٣. والصحاح في اللغة، الجوهري، ١ / ٢٦. والعين، الخليل بن أحمد، ٢ / ٢٠٥. والمحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، ٢ / ٤٧٨. والمعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ١ / ٣١. وتهذيب اللغة، لأزهري، ٥ / ٢٣٨. ومعجم الفروق اللغوية، العسكري، ص٥٠. ومعجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ١ / ١٤١، ١٤٢. ونجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، إبراهيم اليازجي، ص ٨٦.

(٢) انظر: تفسير غريب ما فى الصحيحين، الحميدي، ٦٠، ١٠٠، ٦٥. وشرح النووي على صحيح مسلم، ١ / ١٨٩. وشرح السنة، البغوي، ١٣ / ١٧٦. وسبل السلام شرح بلوغ المرام، الإمام محمد بن علي بن إسماعيل الصنعاني، ٦ / ٨٠. وفتح القدير، الشوكاني، ٥ / ٦٠. والتنوير والتحرير، ابن عاشور، ٧ / ١٤٥، ١٤٦. وزهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، ص ٣٨٨٠.

المطلب الثاني
نصوص الكتاب والسنة الدالة على أهمية الأناة

أولًا: نصوص الكتاب:

من الآيات المباشرة التي تامر بالأناة وتنهى عن الاستعجال ما يأتي:

١- قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[١]. وسبب نزول هذه الآية كما يقول ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كَانَ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ فَلَحِقَهُ الْمُسْلِمُونَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا غُنَيْمَتَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا تِلْكَ الْغُنَيْمَةُ»[٢]. قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: (هذه الآية نزلت في قوم من المسلمين مروا في سفرهم برجل معه جمل وغنيمة يبيعها فسلم على القوم وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فحمل عليه أحدهم فقتله. فلما ذكر ذلك للنبي ﷺ شق عليه فنزلت الآية، وحمل رسول الله ﷺ ديته إلى أهله ورد عليه غنيماته)[٣]. ومعنى تبينوا: أي تثبتوا من صحة الأمر، وتأنوا حتى يتبين لكم الثابت من الأمر الذي لا يتبدّل ولا يحتمل نقيض ما بَدَا لكم. ولذلك قرأها حمزة، والكسائي: فتثبّتوا[٤].

---

(١) سورة النساء، ٩٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنًا، ٤/ ١٦٧٧، رقم ٥٢٢٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٥/٣٣٦.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٥ / ٣٣٧. والدر المنثور، السيوطي،٣ / ٤٠٢، ٤٠٣. والتحرير والتنوير، ابن عاشور، ٥ / ١٦٧.

٢ - قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾(١). مما قاله العلماء في معنى الآية ما يأتي:

الأول: لا تلقه إلى الناس قبل أن يأتيك بيان تأويله.

الثاني: لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبريل من إبلاغه، لأنه كان يعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبريل من إبلاغه خوف نسيانه.

الثالث: معناه لا تقرئه أصحابك، ولا تعجل في تأديته إليهم، ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معانيه(٢). ففي ذلك دليل على ما كان يتصف به النبي ﷺ من الجد في أمر الدين والبلاغ والحرص على هداية الناس فأدبه ربه كما في هذه الآية بآداب البلاغ، وأمره بالتأني لما يترتب على التأني من تأكُّد العلم، ومن ثم حسن البلاغ. ومثل هذه الآية آية سورة القيامة التي ستأتي برقم ٤.

٣ - قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾(٣).

قرأها الجمهور: تبينوا، والتبيّن: تطلب البيان وهو ظهور الأمر، وقرأها حمزة والكسائي وخلَف: فتثبتوا، والتثبت: التحري وتطلب الثبات وهو الصدق. وقال تعالى في آخر الآية: ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ أي تصيبونهم بخطأ، فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ: على العجلة وترك التأني(٤).

---

(١) سورة طه، ١١٤.

(٢) انظر: معالم التنزيل، البغوي، ٥ / ٢٩٧. والنكت والعيون، أبو الحسن الماوردي، ٣/٤٢٩. وتفسير الفخر الرازي، الفخر الرازي، ٣١٠٢/١.

(٣) سورة الحجرات، ٦.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣١٢/١٦. والتحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٣١/٢٦.

٤- قول الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[1].
كان الرسول ﷺ يعجل بذكر القرآن إذا نزل عليه من حبه له، وحلاوته في لسانه، فنهي عن ذلك حتى يجتمع، لأن بعضه مرتبط ببعض[2].

٥- قول الله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾[3].
والمُكْثُ: الأَناةُ واللَّبثُ والانتظار، والمكِيثُ: الرَّزينُ الذي لا يَعْجَل في أمره[4].

٦- قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[5]. قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أي لو انتظروا خروجك ولم يعجلوا بالمناداة لكان أصلح لهم في دينهم ودنياهم لما في ذلك من رعاية حسن الأدب مع رسول الله ﷺ ورعاية جانبه الشريف، والعمل بما يستحقه من التعظيم والتجليل)[6].

ثانيًا: نصوص السنة

١. عن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلأَشَجِّ، أَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: «**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ**»[7].

---

(١) سورة القيامة، ١٦، ١٧.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٩ / ١٠٦.

(٣) سورة الإسراء، ١٠٦.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٥ / ٤٥٦.

(٥) سورة الحجرات، ٥.

(٦) فتح القدير، الشوكاني، ٥ / ٦٠.

(٧) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، ١/٤٨، رقم ١٧. وأخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التأني والعجلة، ٤/١٩٦ رقم ١٩٣٤.

وفي رواية: «إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ الحِلْمُ وَالأَنَاةُ»(١).

٢- عن زَارِعٍ وَكَانَ فِي وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ قَالَ لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَجَعَلْنَا نَتَبَادَرُ مِنْ رَوَاحِلِنَا فَنُقَبِّلُ يَدَ النَّبِيِّ ﷺ وَرِجْلَهُ قَالَ وَانْتَظَرَ الْمُنْذِرُ الْأَشَجُّ حَتَّى أَتَى عَيْبَتَهُ فَلَبِسَ ثَوْبَيْهِ ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ الحِلْمُ وَالأَنَاةُ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمْ اللهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا. قَالَ: «بَلْ اللهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا». قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ(٢).

وفي مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ ﷺ لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: «إِنَّ فِيكَ خُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الحِلْمُ وَالأَنَاةُ»(٣).

سبب مقولة النبي ﷺ لأشج عبد القيس:

وسبب قول النبى ﷺ ذلك له ما جاء فى حديث الوفد أنهم لما وصلوا المدينة بادروا إلى النبى ﷺ وأقام الأشج عند رحالهم فجمعها وعقل ناقته ولبس أحسن ثيابه ثم أقبل إلى النبى ﷺ فقربه النبى ﷺ وأجلسه إلى جانبه. ثم قال لهم النبى ﷺ «تبايعون على أنفسكم وقومكم» فقال القوم: نعم. فقال الأشج: يا رسول الله إنك لم تزاول الرجل عن شيء أشد عليه من دينه نبايعك على أنفسنا ونرسل من يدعوهم فمن اتبعنا كان منا ومن

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، ١ / ٤٨، رقم ١٨.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في قبلة الرجل، ٤ / ٥٢٥، رقم ٤٥٤٨. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٣ / ٢٨٢.

(٣) أخرجه الإمام أحمد، باقي مسند المكثرين، باب مسند أبي سعيد الخدري، ٣ / ٢٢، رقم ١١١٩١، قال الأرنؤوط رجاله ثقات وهو عند مسلم.

أبى قاتلناه. قال: «صدقت إن فيك خصلتين...» الحديث. ويتبين أنه ﷺ إنما قال ذلك للأشجِّ لِمَا ظَهَرَ له منه مِنْ رِفْقِهِ وتمهله وتَرْكِ عجلته[١]. وفعل الأشج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من شعار العقلاء.

٣ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْأَنَاةُ مِنَ اللَّهِ وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»[٢].

٤ - قال النبي ﷺ: «التأني من الله والعجلة من الشيطان»[٣].

الأناة عاقبتها حميدة ولا يترتب عليها إلا الخير فهي من الله تعالى. أما العجلة فلا تأتي بخير فهي وإن كانت بعلم الله وقدرته إلا أن سببها من الشيطان. ولذلك قال العلماء في قوله ﷺ والعجلة من الشيطان: أي هو الحامل عليها بوسوسته لأن العجلة تمنع من التثبت والنظر في العواقب وذلك يوقع في المعاطب وذلك من كيد الشيطان ووسوسته[٤].

٥- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ الطَّلَاقُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَسَنَتَيْنِ مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ طَلَاقُ الثَّلَاثِ وَاحِدَةً، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ اسْتَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ قَدْ كَانَتْ لَهُمْ فِيهِ أَنَاةٌ فَلَوْ أَمْضَيْنَاهُ عَلَيْهِمْ فَأَمْضَاهُ عَلَيْهِمْ[٥].

---

(١) انظر: المفهم، القرطبي، ١ / ٩٣، ٩٤. وشرح النووي على صحيح مسلم، ١ / ١٨٩.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التأني والعجلة، رقم ١٩٣٥. وحسنه الألباني في صحيح الجامع بلفظ «التأني...» كما في الحديث الذي بعده، ١ / ٢٨٧، رقم ٣٠١١.

(٣) صحيح الجامع، الألباني، ١ / ٢٨٧، رقم ٣٠١١.

(٤) انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي، ١/ ١٣٠، ١٣٦.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الطلاق، باب طلاق الثلاث، رقم ١٤٧٢. والإمام أحمد، مسند بني هاشم، باب بداية مسند عبد الله بن عباس، ١ / ٣١٤، رقم ٢٧٢٧.

أي: قد كان لهم في الطلاق مهلة، وسعة وبقية استمتاع بانتظار الرجعة[١]. فهذه الأناة جعلتهم يتساهلون في مسالة الطلاق وبفعلهم هذا استعجلوا وحرموا مهلة الرجعة، وبما أنهم لم يتأنوا عند إيقاع الطلاق فإن هذه العجلة أو جبت عليهم إمضاء الطلاق عليهم.

٦- قال النبي ﷺ: **«السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءًا من النبوة»**[٢].

٧- قال النبي ﷺ: **«التؤدة في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة»**[٣].

التؤدة: التثبت وترك الاستعجال والتوقف عن السرعة المذمومة. وأمور الدنيا والوسائل يتأنى الإنسان ويتروى فيها، وأما بالنسبة لأمور الآخرة وخاصة العبادات المحضة فلا يتأنى فيها، بل يقدم ويسارع، فلا بد فيها من منافسة ومسابقة، ولا بد فيها من الجد والاجتهاد، ولا بد فيها من اغتنام الفرص وعدم التساهل، بخلاف أمور الدنيا فالإنسان يتأنى، وقد يكون في التأني الخير الكثير، بخلاف العجلة فإنه قد يترتب عليها شيء من الضرر، فالتأني والتروي في أمور الدنيا لا شك أنه خير للإنسان[٤].

---

(١) انظر: المفهم، القرطبي، ١٣/ ٨٣. وعون المعبود، العظيم آبادي، ٦/١٩٨.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التأني والعجلة، ٤/ ٣٦٦، رقم ٢٠١٠. وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٢ / ١٩٥، وصحيح الجامع الصغير، ١ / ٢٨٧، رقم ٣٠١٠.

(٣) صحيح الجامع الصغير، الألباني، ١ / ٢٨٧، رقم ٣٠٠٩.

(٤) انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين، الحميدي، ١ / ٦، ٢٢٦. وشرح سنن أبي داود، عبدالمحسن العباد، ١ / ٢.

المطلب الثالث

أقوال العلماء الدالة على أهمية الأناة

كان السلف الصالح يستحبون الأناة، ويحثون عليها، ومن أقوالهم فيها ما يأتي:-

١- أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ ابْنَهُ الحَسَنَ بن عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ المُرُوءَةِ - ومما سأله عنه - قَالَ: يَا بنيَّ فَمَا الحَزْمُ؟ قَالَ: طُولُ الأَنَاةِ، وَالرِّفْقُ بِالْوُلاةِ[١].

٢- قال عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يزال المرء يجتني من ثمرة العجلة الندامة ثم العجلة المذمومة هي ما كان في غير طاعة ومع عدم التثبت وعدم خوف الفوت[٢].

٣ - قال مجاهد وقتادة في قول الله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ معناه لا تقرئه أصحابك، ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معانيه[٣].

٤- عن قبيصة بن جابر الأسدي قال: ألا أخبركم عمن صحبت،.... ثم قال: وصحبت معاوية فما رأيت أحدًا أكثر حلمًا منه، ولا أكرم ولا أبعد أناةً منه[٤].

٥- ورد أن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال يومًا وعنده الأحنف: ما يعدل الأناة

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني، ٣ / ١٠٥، ١٠٦، رقم ٢٦٨٨، قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه عبدالله بن مسلم بن هرمز قال أبو حاتم يكتب حديثه وليس بالقوى، وبقية رجاله ثقات. (انظر: مجمع الزوائد، الهيثمي، ٤ / ١٢٢).

(٢) انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي، ١ / ١٦، ١٣٠.

(٣) انظر: معالم التنزيل، البغوي، ٥ / ٢٩٧.

(٤) التاريخ الكبير، البخاري، ٧ / ٧٩، رقم ٧٨٥.

شيء. فقال الأحنف: إلا في ثلاث تبادر بالعمل الصالح أجلك، وتعجل إخراج ميتك، وتنكح كفء أيمك[١].

٦- قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ روي أن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتب إلى معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعاتبه في التأني، فكتب إليه معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أما بعد: فإن الفهم في الخير زيادة رشد وإن الرشيد من رشد عن العجلة، وإن الخائب من خاب عن الأناة، وإن المتثبت مصيب أو كاد أن يكون مصيبًا، وإن العجل مخطئ أو كاد أن يكون مخطئًا[٢].

٧- قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا انحرفت عن خلق الأناة والرفق انحرفت إما إلى عجلة وطيش وعنف، وإما إلى تفريط وإضاعة، والرفق والأناة بينهما[٣].

---

(١) فيض القدير، المناوي، ٩ / ٨٨.

(٢) إحياء علوم الدين، الغزالي، غير محقق، ٣ / ١٨٦.

(٣) مدارج السالكين، ابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، ٢ / ٣١٠.

المطلب الرابع
الأناة خلق يمكن اكتسابه

الأناة خلق كبقية الأخلاق الإنسانية قد يُجبل عليها الإنسان منذ ولادته فتكون خُلقًا ملازمًا له وهبه الله إياه، وقد يولد الإنسان ويكبُر وهو لا يتحلى بهذا الخلق، فيُدرب نفسه ويُمرِّنُها بالأفعال والأسباب التي تُستجلب بها الأناة. والدليل على إمكانية اكتسابها قول أشج عبد القيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للرسول ﷺ في الحديث السابق: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمْ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا. قَالَ ﷺ: «**بَلْ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا**». قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ[1]. فلو أنه لا يمكن اكتسابها لبينه ﷺ لأشج عبد القيس عندما قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمْ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا. كما أنه قد ورد أيضًا في السنة ما يدل على أنها تُكتسب فعن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يا أيها الناس إنما العلم بالتعلم والفقه بالتفقه ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما يخشى الله من عباده العلماء**»[2]. لذلك ينبغي لطالب العلم والداعية على وجه الخصوص أن يتحرَّ ويحرص ويجاهد نفسه على الحصول على خلق الأناة حتى يُنعم الله تعالى عليه

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في قبلة الرجل، ٤ / ٥٢٥، رقم ٤٥٤٨. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٣ / ٢٨٢.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ١٥ / ٢٧٠، رقم ٢٦٢. قال ابن حجر: بعد أن ذكر هذا الحديث بلفظه إسناده حسن أورده ابن أبي عاصم والطبراني. (انظر: فتح الباري، ابن حجر، ١/ ٢٩٤)، وحسنه الألباني بلفظ «إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يُعطه ومن يتق الشر يوقه» (انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، ١/ ٢٢٠).

بها، وهذا متحقق لا محالة إذا صدق العبد في ذلك كما قال النبي ﷺ: «**إن تصدق الله يصدقك**»[١]، وأطال العمل والصبر في طلبها، مع عدم الاستعجال، ومصاحبة أهل الخير والصلاح، فإن الناس مجبولون على اقتداء بعضهم ببعض، والتضرع إلى الله تعالى بأن يمنَّ عليه بهذه النعمة فقد كان من دعاء النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي**»[٢].

---

(١) أخرجه النسائي، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهداء، ٣/٢٢٣. وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، ٢/٤٣.

(٢) أورده السيوطي في الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، ١/٢٣٠، رقم ٢٥١٠. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ١/١١٦، رقم ١٣٠٧.

المبحث الثاني
أثر الأناة على الداعية

إننا في عصر السرعة الذي يستدعي من المرء انجاز أعماله بسرعة، ومع أهمية المبادرة والتعايش مع الواقع إلا أنه لابد من التأني والتروي مع الجد في الانجاز والتوسط في تنفيذ العمل بتأنٍ يأتي بالمطلوب ولا يضيع الوقت ويؤخره، هذا في حق المسلم، ويزداد أهمية في حق الداعية الذي يجب عليه أن يحسب الحساب لكل خطوة في طلبه للعلم، وفي فتواه، وفي حكمه بين الناس وعليهم، ولا يستعجل النتائج.

إن الموقف الدعوي يتطلب من الداعية إلى الله أن يكون على مستوى من الجد والسرعة في تطبيق الدعوة بعد اكتشاف طبيعة الموقف وتحديد كيفية التعامل معه، وهذا يتطلب توفر عدة أمور في شخصية الداعية تؤهله لسرعة تحديد المشكلة الدعوية وتحديد الكيفية المناسبة لعلاجها ليسلم من اتخاذ القرارات المتسرعة التي قد تؤدي إلى فقدان التوازن في التعامل مع الموضوع، فتسبق العجلة التأني، وتأخذ العاطفة أكثر من حقها الطبيعي فيتأثر الداعية في شخصه ويؤثر على المنهج الصحيح الذي كان ينبغي أن يسلكه.

وسيحدد هذا المبحث في المطالب الآتية إن شاء الله كيفية تحقيق الداعية الأناة والأثر الذي ينتج عنها على أدائه.

المطلب الأول

الأناة في طلب العلم

العلم هو زاد الداعية، والحصول على العلم يحتاج إلى أناة وصبر، ففي الحديث؛ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلَهُ عَنْ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «**اشْهَدْ مَعَنَا الصَّلَاةَ**». فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ بِغَلَسٍ فَصَلَّى الصُّبْحَ حِينَ طَلَعَ الْفَجْرُ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالظُّهْرِ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ عَنْ بَطْنِ السَّمَاءِ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالْعَصْرِ وَالشَّمْسُ مُرْتَفِعَةٌ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالْمَغْرِبِ حِينَ وَجَبَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالْعِشَاءِ حِينَ وَقَعَ الشَّفَقُ. ثُمَّ أَمَرَهُ الْغَدَ فَنَوَّرَ بِالصُّبْحِ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالظُّهْرِ فَأَبْرَدَ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالْعَصْرِ وَالشَّمْسُ بَيْضَاءُ نَقِيَّةٌ لَمْ تُخَالِطْهَا صُفْرَةٌ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالْمَغْرِبِ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ الشَّفَقُ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالْعِشَاءِ عِنْدَ ذَهَابِ ثُلُثِ اللَّيْلِ أَوْ بَعْضِهِ - شَكَّ حَرَمِيٌّ - فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: «**أَيْنَ السَّائِلُ؟ مَا بَيْنَ مَا رَأَيْتَ وَقْتٌ**»(١). إن الرجل أتى يطلب علمًا وهو السؤال عن وقت الصلاة، ولو أجابه النبي ﷺ نظريًا لكفاه ذلك، ولكنه تأنى في الإجابة ليُرِيَ الرجل إجابة السؤال عمليًا بفعل الرسول ﷺ مع صحابته رضي الله عنهم، وليُعلِّمه الأناة في طلب العلم، ولا شك أن نتيجة هذا التعليم أثبت للعلم، وأوقع في نفس السائل. وهذا الذي ينبغي أن يحرص عليه الداعية فيتأنى في طلبه للعلم حتى يتحقق له حظًا وافرًا منه ويتأدب بآداب طلب العلم وتطبيقه العملي. يقول الشنقيطي: (ينبغي على طالب العلم ألا يستعجل في طلب العلم، لأن الاستعجال يعتبر من آفات العلم في هذا الزمان، فقد كان السلف يعتنون بطول الزمان

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٢ / ١٠٦، رقم ١٤٢٣.

في طلب العلم، فكلما طال زمان طالب العلم كلما أحبه الله، وهيأه لمرتبة عظيمة في الإسلام، وكلما استعجل طالب العلم فظهر للناس ظهر على قصور، فقد تفقه عبد الله بن وهب - وهو إمام من أئمة الحديث والفقه - على يدي الإمام مالك رحمه الله تعالى أكثر من عشرين سنة،..... وذكر عن الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه لما قرئ عليه الموطأ فيما يقرب من عام قال: كتاب ألفته في أكثر من عشرين سنة، تقرؤونه في عام! ما أقل ما تفقهون أي: ما أقل ما يكون لكم من الفقه..)[1]. وقال بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (تحل بالثبات والتثبت، لا سيما في الملمات والمهمات، ومنه الصبر والثبات في التلقي، وطي الساعات في الطلب على الأشياخ، فإن من ثبت نبت)[2].

---

(١) شرح زاد المستقنع، د. محمد بن محمد المختار الشنقيطي، ١ / ٨، ٩

(٢) المجموعة العلمية، حلية طالب العلم، ص ١٥٣.

المطلب الثاني

الأناة عند إيراد الدليل

يجب على طالب العلم الداعية أن يتأنى ويتثبت من الدليل في أمور أهمها ثلاثة:

الأول: صحة الدليل إذا كان من السنة: فإن من الذب عن السنة تمييز صحيحها من سقيمها، وقد كفى السلف من علماء الحديث الخلف مؤنة البحث والتحري فعُنوا بدراسة الأسانيد، ودونوا كتب الرجال والسير والتاريخ والجرح والتعديل التي تميز رواة الحديث وتحدد مراتبهم في الجرح والتعديل، ثم أُلفت المؤلفات التي تبين درجة الحديث بحكم المعتبرين من أهل الحديث. قال عَبْد اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ: (الإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ وَلَوْلاَ الإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ)[1]، وقال ابن سيرين: (إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم)[2] وبذلك يتحقق عدم الكذب على الرسول ﷺ فقد قال: «**مَن يَقُل عليَّ ما لم أَقُل فليَتَبَوَّأْ مقعدَهُ مِن النَّار**»[3]. إضافة إلى ذلك فإنه يجب التأني والتثبت من صحة نسبة الأخبار إلى أصحابها وخاصة أقوال العلماء، لأن أقوالهم بمثابة الفتوى.

الثاني: تفسيره ومعرفة معناه: فإن كان من القرآن فبمعرفة سبب النزول والناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد، لأن ذلك يعين على فهم الآية على وجه صحيح، فأولى الأقوال بتفسير الآية عند الاختلاف ما وافق سبب

---

(١) صحيح مسلم، المقدمة، باب الإسناد من الدين، ١ / ١٢.

(٢) المرجع السابق، ١ / ١٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، ١ /٣٣، رقم ١٠٩.

النزول الصحيح الصريح في السببية. فمعرفة السبب يُعين على فهم الآية، ويدفع الإشكال عنها، ويكشف الغموض الذي يكتنف تفسيرها. ومثال ذلك اختلاف المفسرين في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾[1] على أقوال:

١- المراد بالبيوت المنازل المعروفة والإتيان هو المجيء إليها ودخولها.

٢- المراد النساء، أي أمرنا بإتيانهن من القبل لا من الدبر.

٣- أنها مثل يفيد أمر الناس أن يأتوا الأمور من وجوهها.

وأصح هذه الأقوال الأول، لما صح في سبب نزول هذه الآية أنه «كانت الأنصار إذا حجوا فرجعوا لم يدخلوا البيوت إلا من ظهورها فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه فكأنه عُيِّر بذلك فنزلت هذه الآية»[2][3].

ومن السنة ما ورد أن النبي ﷺ «نهى عن الإقعاء في الصلاة»[4]، وورد أن النبي ﷺ وصفه بإقعاء الكلب قال ﷺ: **«يا علي! لا تقع إقعاء الكلب»**[5]. وكما ورد في حديث آخر أنه سنة فقد صح عن طاوس أنه قال: «قُلْنَا لابْنِ عَبَّاسٍ فِى الإِقْعَاءِ عَلَى الْقَدَمَيْنِ فَقَالَ هِىَ السُّنَّةُ. فَقُلْنَا لَهُ إِنَّا لَنَرَاهُ

---

(١) سورة البقرة، ١٨٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قول الله تعالى وآتوا البيوت، ٢ / ٦٣٩، رقم ٨٥٠.

(٣) انظر: القول المبين في قواعد الترجيح بين المفسرين، فهد بن عبد الله الحزمي، ص ١٧، ١٨. ومع الشاطبي في مباحث في علوم القرآن، شائع الأسمري، ص ٢٥.

(٤) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، ١/٣٦٨، رقم ١٠٠٥، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. وقال الذهبي في تعليقه على المستدرك على شرط البخاري.

(٥) أخرجه ابن ماجه، ١ / ٢٨٨. وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ٣ / ٢٢.

جَفَاءً بِالرَّجُلِ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بَلْ هِيَ سُنَّةُ نَبِيِّكَ ﷺ»[١].

وفي مثل هذا قد يقع الداعية في الحرج الشديد عندما ينهى عن الإقعاء مستدلًا بحديث النهي وهو لا يعرف معنى الإقعاء أولًا، ولا يعرف الأحاديث الواردة في المسألة وأقوال العلماء فيها ثانيًا. إذًا يجب أن يُعرف معنى الإقعاء في العموم وإقعاء الكلب في الخصوص من كتب اللغة وأقوال العلماء.

أما الإقعاء فهو: أن يضع إليتيه على عقبيه ويقعد مستوفزًا غير مطمئن إلى الأرض. وأما إقعاء الكلب والسبع فهو: أن يلصق إليتيه بالأرض وينتصب على ساقيه[٢].

قال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومما ينبغي أن يُعلم أن هناك سنة أخرى في هذا الموطن وهي سنة الإقعاء، وهو أن ينتصب على عقبيه وصدور قدميه. وقد ذهب بعض أهل العلم إلى هذا الحديث من أصحاب النبي ﷺ منهم العبادلة الثلاثة عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ. وبالجملة فالإقعاء بين السجدتين سنة، فينبغي الإتيان بها، كما كان رسول الله ﷺ يفعل. وأما أحاديث النهي عن الإقعاء فلا يجوز التمسك بها لمعارضة هذه السنة لأمور ثلاثة:

أولًا: أنها كلها ضعيفة معلولة.

ثانيًا: أنها إن صحت أو صح ما اجتمعت عليه فإنها تنص على النهي عن إقعاء كإقعاء الكلب، وهو شيء آخر غير الإقعاء المسنون. وهو أن يضع

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب المساجد، باب جواز الإقعاء على العقبين، ٢ / ٧٠، رقم ١٢٢٦.

(٢) انظر: تاج العروس، الزبيدي، ص ٨٥٥٥. وتهذيب اللغة، الأزهري، ١ / ٣١٦.
و النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ٤ / ١٣٤. وغريب الحديث، ابن الجوزي، ٢ / ١١١.

إليتيه على عقبيه ويقعد مستوفزًا غير مطمئن إلى الأرض، وكذلك إقعاء الكلب والسبع أن يقعدا على مآخيرهما وينصبا أفخاذهما.

ثالثًا: أنها تحمل على الإقعاء في المكان الذي لم يشرع فيه هذا الإقعاء المسنون، كالتشهد الأول والثاني، وهذا مما يفعله بعض الجهال فهذا منهي عنه قطعًا لأنه خلاف سنة الافتراش في الأول، والتورك في الثاني. والله أعلم)[1].

الثالث: إنزال الدليل منزله الصحيح وتطبيقه على موضع الاستدلال:

ولا يتحقق ذلك إلا بتصور موضع الاستدلال تصورًا تامًا صحيحًا، ولذلك قال العلماء: الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وأرادوا بذلك معرفة المسألة المراد بحثها والواقع المحيط بها، لأنه لا يستطيع الإنسان أن يتصور شيئًا لم يطلع على جميع ملابساته وجوانبه، ومن ثم كيف يستطيع أن يأتي بالحكم الملائم والمناسب له[2].

---

(١) إرواء الغليل، محمد ناصر الدين الألباني، ٢ / ٢٢، ٢٣.

(٢) انظر: الأصول من علم الأصول، محمد العثيمين، ص ٨٠. و سؤال وجواب حول فقه الواقع، محمد ناصر الدين الألباني، ص ١٠. وفقه الاستشارة، ناصر العمر، ص ٥٠. وفقه النوازل، محمد حسين الجيزاني، ١ / ٣٩، ٤٠.

المطلب الثالث

الأناة قبل إصدار الفتوى

كان المعلم الأول ﷺ قدوة الدعاة الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه لا يفتي في كثير من المسائل حتى يأتيه الجواب من ربه، مع أنه لا ينطق عن الهوى، وما يقوله وحي يوحى، ومن أمثلة ذلك قول الله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾[١]. قال العلماء: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسْأَلُ فَلَا يُجِيبُ، حَتَّى يَنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ[٢]. وفي الحديث؛ أن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: مَرِضْتُ مَرَضًا فَأَتَانِي النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي وَأَبُو بَكْرٍ وَهُمَا مَاشِيَانِ فَوَجَدَانِي أُغْمِيَ عَلَيَّ فَتَوَضَّأَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ صَبَّ وَضُوءَهُ عَلَيَّ فَأَفَقْتُ فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ! كَيْفَ أَصْنَعُ فِي مَالِي؟ كَيْفَ أَقْضِي فِي مَالِي؟ فَلَمْ يُجِبْنِي بِشَيْءٍ حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾[٣].

ومن الأمثلة على ذلك من سير السلف ما ذكره الذهبي أن السراج البلقيني الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ كان من أهل الفتوى في زمانه، وكان يُكتب إليه من أقطار الأرض البعيدة وكان موفقًا فيها يجلس للكتابة عليها من بعد صلاة العصر إلى الغروب إلى أن صار يضرب به المثل في العلم ولا تركن النفس إلا إلى فتواه، وكان لا يأنف من تأخير الفتوى عنده إذا أشكل عليه منها شئ إلى أن يحقق أمرها من مراجعة الكتب وما ذاك الا لسعة علمه، ولأن الفقيه عليه التروي وبذل الجهد في فتاويه ليصيب الحق في المسائل[٤].

---

(١) سورة النساء، ١٧٦.

(٢) انظر: أحكام القرآن، ابن العربي، ٢ / ٤٨٢ .والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٦ / ٢٨.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الفرائض، باب عيادة المغمى عليه، ٥ / ٢١٣٩، رقم ٥٣٢٧.

(٤) ذيل تذكرة الحفاظ، الذهبي، ص ٢١٠، ٢١١.

فواجب الداعية إن أراد أن يفتي أن يتأنى ليعرف حال السائل ألا يكون متعنتًا، أو متتبعًا الرخص، أو من الذين يضربون آراء العلماء بعضها ببعض، أو غير ذلك من المقاصد السيئة، فمثل هؤلاء لا يُفتون، وأن لا يترتب على الفتوى ما هو أكثر منها ضررًا، فإن ترتب عليها ذلك وجب الإمساك عنها، دفعًا لأشد المفسدتين بأخفهما[1].

---

(١) انظر: الأصول من علم الأصول، العثيمين، ص ٨١.

المطلب الرابع

الأناة قبل الحكم على الناس

ورد في القرآن الكريم تأديب رباني لنبي من أنبياء الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيه بيان لأهمية الأناة قبل الحكم على الناس، وذلك في قصة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما اختبره الله تعالى بإرسال ملكين في صورة رجلين متخاصمين يحتكمان إليه فاستعجل عَلَيْهِ السَّلَامُ في إصدار الحكم على أحدهما قبل سماع جواب المدعى عليه قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾[1]، كأن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ قضى على إثر سماعه لهذه المظلمة الجائرة والتي عُرضت عليه في صورة مثيرة لأحد الخصمين مِنْ قَبْلِ أَنْ يَسْمَعَ مِنْ الآخَرِ، فلم يوجه إلى الخصم الآخر حديثًا، ولم يطلب إليه بيانًا، ولم يسمع له حجة. والقاضي يجب عليه ألا يُستثار، وعليه ألا يتعجل، وألا يسير مع الانفعال الأول، ويجب عليه التريث والتثبت والتبين، وعليه ألا يأخذ بظاهر قول واحد قبل أن يمنح الآخر فرصة للإدلاء بقوله وحجته، فقد يتغير وجه المسألة كله، أو بعضه، وينكشف أن ذلك الظاهر كان خادعًا أو كاذبًا أو ناقصًا![2].

---

(١) سورة ص، ٢١-٢٥.

(٢) انظر: أحكام القرآن، ابن العربي، ٧ / ٢٤. وتفسير الفخر الرازي، محمد الرازي، ١ / ٢٨٠.
=

ولكن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ سرعان ماتنبه، وأدركته طبيعته التي وهبه الله إياها كما في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾(١) فاستغفر ربه كما قال الله تعالى عنه: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾. ولذلك جاء التعقيب القرآني الذي جاء بعد القصة يحدد التوجيه المقصود بها من الله لعبده الذي ولاه القضاء والحكم بين الناس فيقول تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾(٢).

وإذا كان هذا في أمر من أمور الدنيا فإن أمر الدين أعظم وأهم، والحكم على المسلمين بالفسق أو الفجور أو النفاق أو الكفر أمر خطير حذر منه النبي ﷺ، فقد ورد أنه خرج لزيارة بعض أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومعه جماعة من أكابر الصحابة فلما جلسوا «قال رَجُلٌ مِنْهُمْ: مَا فَعَلَ مَالِكٌ لَا أَرَاهُ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: ذَاكَ مُنَافِقٌ لَا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لَا تَقُلْ ذَاكَ، أَلَا تَرَاهُ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»**. فَقَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ أَمَّا نَحْنُ فَوَ اللَّهِ لَا نَرَى وُدَّهُ وَلَا حَدِيثَهُ إِلَّا إِلَى الْمُنَافِقِينَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي**

=

ومفاتيح الغيب، الفخر الرازي، ٢٦ / ١٦٩. وقد قال الكثير من المفسرين: أن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يستعجل ويحكم إلا بعدما سمع اعتراف الثاني أو سكوته لكونه نبي معصوم، أو أنه على تقدير: إن كان حقًا ما تقول. والصحيح أن الأنبياء معصومون في البلاغ وكبائر الذنوب، أما أحداث قصة حكم داود عَلَيْهِ السَّلَامُ فهي قصة تربية وتشريع يقوم بها الأنبياء بتوجيه رباني وليس فيها ما ينافي نبوة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ وعصمته. والله تعالى أعلم.

(١) سورة ص، ١٧.

(٢) سورة ص، ٢٦.

بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»[١]. فإطلاق العنان لمثل هذه الأحكام ينفر ولا يبشر، ويورث الحقد والكراهية والفرقة، وكل ذلك ليس من الدعوة إلى الله في شيء، وقد حث الإسلام على كل ما يؤدي إلى توادد المسلمين وتحابهم واجتماعهم، ونهى عن كل ما يؤدي إلى تباغضهم وتفرقهم. قال سفيان بن حسين: (ذكرت رجلًا بسوء عند إياس بن معاوية، فنظر في وجهي وقال: أغزوت الروم؟ قلت: لا! قال: السند والهند والترك، قلت: لا. قال: أفسلم منك الروم والسند والهند والترك ولم يسلم منك أخوك المسلم؟ قال: فلم أعد بعدها)[٢].

(١) أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب صلاة النوافل جماعة، ٢ / ٦٠، رقم ١١٨٦.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ٩ / ٣٦٧، ٣٦٨.

المطلب الخامس
عدم استعجال النتيجة قبل أوانها

إن استعجال النتائج قبل أوانها آفة من آفات الدعوة إلى الله، وقد أمر الله نبيه ﷺ بالبلاغ، وأن يكل النتيجة إلى الله، كما جاء في القرآن، أن الرسول ﷺ عندما استبطأ النصر هو والمؤمنون، واستعجلوا تحقق النتيجة كما حكا الله عنهم في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾[1]، بيّن الله لنبيه أن واجبه البلاغ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾[2]، وأمره بالصبر على الأذى والاستمرار في الدعوة فقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾[3]. يقول ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أمر الله النبي ﷺ بالصبر على ما يلاقيه منهم، إذ الأمر بالصبر مفرّع على ما اقتضاه قوله تعالى: ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾[4]، فلما حصل الوعد بالانتصاف من مكذبي النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، أعقب بقوله: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ فإن مناسبة الأمر بالصبر عقب ذلك أن يكون تعريضًا بالانتصار له ولذلك فرّع على الأمر بالصبر الشرطُ المردَّد بين أن يريه بعض ما توعدهم الله به وبين أن لا يراه، فإن جواب الشرط حاصل على كلتا الحالتين وهو مضمون في قوله: ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ أي أنهم غير مفلَتين من العقاب، فلا شك أن يرى النبي ﷺ أحد الأمرين عذابهم في الدنيا أو الدنيا والآخرة)[5].

---

(١) سورة البقرة، ٢١٤.

(٢) سورة الرعد، ٤٠.

(٣) سورة غافر، ٧٧.

(٤) سورة غافر، ٤.

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٤ / ٢٠٨.

والنبي ﷺ إمام الدعاة وقدوتهم في أقواله وأفعاله ومنهج دعوته، فقد أمره الله أن يستمسك بالوحي فإنه هو الصراط المستقيم وبموجب الالتزام به سيُسألون يوم القيامة، أما نتيجة الدعوة والنصر على المعارضين فإن الله قد تكفل بها وهي متحققة عاجلًا أو آجلًا، قال تعالى: ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾[1]، إن تربية الوحي للنبي ﷺ كما في الآيات السابقة جعلته يقول لأصحابه رضي الله عنهم «وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» ذمًا للاستعجال، ففي الحديث يقول خَبَّاب بن الْأَرَتِّ رضي الله عنه: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا قَالَ: «**كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»[2].

فيجب على الداعية المبادرة وحسن التخطيط والاستعداد، ولابد أن يصاحب ذلك التأني والتروي قبل الإعداد وأثناء التطبيق، والتأني المطلوب ليس هو الذي يضيع الوقت ويؤخره، فعليه الأناة في كل خطوة ولا يستعجل النتائج قبل أوانها.

---

(١) سورة الزخرف، الآيات ٤٠ ـ ٤٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٤ / ٢٠١، رقم ٣٤١٦.

المبحث الثالث
أثر الأناة على المدعو

المدعو هو حجر الزاوية في الدعوة، وهو هدف الدعوة وغايتها، ولا يتحقق الهدف والغاية إلا إذا عُرف حال المدعو وطبيعته، وبناءً على هذه المعرفة بحال المدعو يعامل الخلق بحسب منازلهم ومناصبهم كل بما يلائم مكانته في الدين والعلم والشرف، فالكبير له التوقير والاحترام، والصغير يعامل بالرحمة والرفق، والنظير يعامله بم يجب أن يعامله به، والملوك وأرباب الرئاسة بالكلام اللين المناسب لمراتبهم، والعلماء من حقهم التوقير والإجلال، والتواضع لهم، وإظهار الافتقار والحاجة إلى علمهم النافع، وكثرة الدعاء لهم، خصوصًا وقت تعليمهم وفتاواهم، والأغنياء تعودوا على المراكب الحسنة والمفارش الجميلة والغذاء الوافر فلهم حق المراعاة في هذه الجوانب، وهكذا...، وتكوين هذه الصورة عن المدعو يحتاج إلى أناة الداعية وتثبته قبل البدء في تطبيق برنامجه الدعوي. وهذا ما تبينه المطالب الآتية بإذن الله تعالى.

المطلب الأول

الأناة في اكتشاف حال المدعو

إن من الحكمة أن يتأنى الداعية حتى يكوّن لديه إلمامة بحال المدعو الذي سيوجه له دعوته فهل هو من كبراء الناس ووجهائهم أم من عامتهم؟، أهو من علمائهم أم من جهالهم؟، من أغنيائهم أم من فقرائهم؟. ثم ما هي الصفات الذاتية التي يُعرف بها؟ أهو كريم أم بخيل؟، أهو حليم أم غضوب؟، أهو شجاع أم جبان؟، أهو جريء أم حيي؟، وهكذا... قال الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فلا يُقصر بالرجل العالي القدر عن درجته، ولا يُرفع متضع القدر في العلم فوق منزلته، ويعطى كل ذى حق فيه حقه، وينزل منزلته، وقد ذُكِر عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم)[١]. وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «**إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط**»[٢]. قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أي احفظوا حرمة كل واحد على قدره، وعاملوه بما يلائم حاله في عمر ودين وعلم وشرف، فلا تسووا بين الخادم والمخدوم، والرئيس والمرؤوس، فإنه يورث عداوة وحقدًا في النفوس، وقد عد العسكري هذا الحديث من الأمثال والحكم وقال: هذا مما أدب به المصطفى ﷺ أمته من إيفاء الناس حقوقهم من تعظيم العلماء والأولياء، وإكرام ذي الشيبة، وإجلال الكبير وما أشبهه.

---

(١) صحيح مسلم، المقدمة، ١ / ٦.

(٢) صحيح الأدب المفرد، الألباني، باب إجلال الكبير، ص ١٤٨.

فإن الإكرام غذاء الآدمي، والتارك لتدبير الله تعالى في خلقه لا يستقيم حاله، وقد دبر الله تعالى الأحوال لعباده غنى وفقرًا، وعزًا وذلًا، ورفعة وضعة، ليبلوكم أيكم أشكر فالعامل عن الله يعاشر أهل دنياه على ما دبر الله لهم، فإذا لم ينزله المنزلة التي أنزله الله ولم يخالقه بخلق حسن فقد استهان به وجفاه وترك موافقة الله في تدبيره، فإذا سويت بين شريف ووضيع، أو غني وفقير في مجلس أو عطية، كان ما أفسدت أكثر مما أصلحت، فالغني إذا أقصيت مجلسه أو أحقرت هديته يحقد عليك لما أن الله تعالى لم يعوده ذلك، وإذا عاملت الولاة بمعاملة الرعية فقد عرضت نفسك للبلاء)[1]. وفي تقدير الصفات الذاتية جاء في الحديث؛ أن رجلًا قال للنبي ﷺ: أوصني قال: «**لا تغضب. فردد مرارًا قال: لا تغضب**»[2].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (لعل السائل كان غضوبًا وكان النبي ﷺ يأمر كل أحد بما هو أولى به، فلهذا اقتصر في وصيته له على ترك الغضب)[3]، فأناة النبي ﷺ جعلته يكتشف حال المدعو من كثرة تكرار السؤال، فرأى أن الرجل غضوبًا فكان المناسب لحاله الوصية بترك الغضب، كما أن صفة الغضب لا بد أن يقابلها تأني وهدوء حتى يُسكِّن هذا الغضب.

---

(١) فيض القدير، المناوي، ١١ / ١٤٦.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ٥ / ٢٢٦٧، رقم ٥٧٦٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ٤ / ٣٥٩، ٣٦٠.

المطلب الثاني
الأناة في اكتشاف البيئة المحيطة بالمدعو

من المؤكد أن الفرد يتأثر بالبيئة المحيطة به، أو التي ينشأ فيها، ومما يؤكد ذلك قول الرسول ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ»(١).

ولذلك ينبغي للداعية أن يكوِّن تصورًا عن بيئة المدعو أهي بيئة مثقفة أم عادية؟، أهي بيئة حاضرة أم بادية؟ أهي بيئة غنية أم فقيرة؟ محافظة على مبادئها أم متأثرة بغيرها؟ متعلمة أم جاهلة؟ منفتحة أم منغلقة؟ كل ذلك لما للبيئة من تأثير في المدعوين سلبًا وإيجابًا يُحتِّم على الداعية أن يُكيِّف منهجه ووسيلته وأسلوبه وِفق طبيعة هذه البيئة، وهذا يحتاج إلى التأني حتى يجمع ما يمكن جمعه من معلومات بالسؤال أو الخبرة أو الفراسة وما شابه ذلك. وشاهد ذلك من السنة قول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما أرسله إلى اليمن: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ»(٢). إن هذا القول يؤكد أنه ينبغي على الداعية أن يعرف من يدعو ولذلك قال النبي ﷺ لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنك تأتي قومًا أهل كتاب. قال العلماء: أخبره بذلك لأمرين: أولها: ليكون بصيرًا بأحوال من يدعو، وثانيها: أن يكون مستعدًا لهم، متهيأ لمناظرتهم. وفيه ما كان عليه النبي ﷺ من معرفة بأحوال الناس، إما بالوحي، أو بالعلم والتجربة. وفيه أنهم أهل علم سابق ومخاطبة العالم ليست كمخاطبة الجاهل، وفيه كيفية الدعوة إلى الإسلام باعتبار أصناف الخلق في الاعتقادات(٣).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، ٤ / ٢٠٤٧، رقم ٢٦٥٨.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين، ١ / ٣٧، رقم ١٣٠.

(٣) انظر: إيقاظ الأفهام في شرح عمدة الأحكام، سليمان محمد اللهيميد، ٣ / ٧٥. والمفهم لما =

المطلب الثالث

الأناة قبل إنكار ما يظن أنه منكر

إذا نمى إلى علم الداعية منكر في فرد أو جماعة فليتأنى حتى يتأكد من صحة الخبر، حتى لا يتهم بريء، وينهى عن أمر ليس له وجود، فيقع في الحرج، ويُتهم بالعجلة، ويفقد ثقة الناس، وقبل ذلك يُساعد في إشاعة الفاحشة التي نهى الله عنها، أو يُشغل الناس بعضهم ببعض، وكل ذلك ليس من آداب الإسلام والدعوة في شيء.

وفي سيرة النبي ﷺ أروع أمثلة التأني والتثبت من الأخطاء والمنكرات التي يُخبر بها قبل أن يُنكرها، ومن أمثلة ذلك ما ذكره المفسرون: (أن النبي ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلي بني المصطلق مصدقًا، وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمع القوم تلقوه تعظيما لله تعالى ولرسوله فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم، فرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ وقال: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي، ولكن الرسول الله ﷺ لم يتسرع في الأمر وتأنى، وإذا بهم يأتون رسول الله ﷺ وقالوا: سمعنا برسولك، فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي إليه ما قبلنا من حق الله تعالى، فبدا له في الرجوع، فخشينا أن يكون إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك بغضب. وفي رواية ذكرها القرطبي: أنه بعث خالد بن الوليد وأمره أن يتثبت ولا يعجل، فانطلق خالد حتى أتاهم ليلا، فبعث عيونه فلما جاؤوا أخبروا خالدًا أنهم متمسكون بالإسلام،وسمعوا أذانهم وصلاتهم، ثم

=

أشكل من تلخيص مسلم، ١ / ٩٦. وعمدة القاري، العيني، ١٣ / ١٨٤.

قدموا للنبي ﷺ بصدقاتهم، فنزل قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾[(١)][(٢)].

إن قول الوليد بن عقبة بن أبي معيط: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي، يدل على أنهم ارتكبوا أمرًا استحقوا عليه القتال، فإن منع الزكاة ردة، وإرادة قتل رسول الرسول ﷺ منكر عظيم، ولكن الرسول الله ﷺ لم يتسرع في الأمر وتأنى وتثبت وكما ورد في الرواية التي ذكرها القرطبي أنه بعث خالد بن الوليد وأمره أن يتثبت ولا يعجل. إن هذا دليل على أنه يجب الأناة قبل إنكار ما يظن أنه منكر.

---

(١) سورة الحجرات، ٦.

(٢) انظر: أسباب نزول الآيات، الواحدي، ١ / ٣٦١. والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣١١/١٦. والآحاد والمثاني، أحمد الشيباني، ٣٠٩/٤. وتفسير القرآن، ابن كثير، ٢٩/٦، وقال: إنه روي من عدة طرق أحسنها ما رواه الإمام أحمد. والمعجم الكبير، الطبراني، ٥/١٣. وصحح الألباني الخبر في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١٦/٩، وقال: (وهذا إسناد صحيح، وقال السيوطي: سنده جيد).

المبحث الرابع
أثر الأناة في اختيار موضوع الدعوة

يعتبر كل أمر أو قضية أو مسألة يساهم الداعية في بيانها بالحث عليها أو النهي عنها، مما يحفظ ضروريات الدين ومقاصده، ويراعي أولويات الدين وثوابته، ويبرز خصائص الدعوة ومميزاتها فهي موضوع دعوة. ولأهمية هذا الأمر فإنه يحتاج إلى الأناة قبل طرح الموضوع أو إثارته، بمعرفة المسائل أهي من الثوابت والأولويات، أم من الفروع؟ أهي من المحكمات أم من المتشابهات؟ وما المصالح المترتبة عليها وما المفاسد التي تحدث بسبب طرحها؟ مع استحضار قاعدة ارتكاب أخف الضررين بدفع أعلاهما، وكيفية إبراز خصائص الدعوة ومقاصدها من خلال هذا الموضوع. ومن المؤكد انه لا تتحقق هذه الأمور إلا بالتأني والتثبت وهذا ما تبينه المطالب الآتية:

المطلب الأول

الأناة من أسباب تحقق الإحاطة بالموضوع

إن الإحاطة بالموضوع من جميع أطرافه بالقراءة الشمولية، أو من خلال الخبرة، أو السؤال تتطلب التأني من الداعية، وهذا التأني يحقق صدق استشراف الفوائد الناتجة عن الموضوع المطروح. وهذا الجانب له أصل تطبيقي في سنة النبي ﷺ تقول عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«اهْجُوا قُرَيْشًا فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ»**. فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ فَقَالَ: **«اهْجُهُمْ فَهَجَاهُمْ فَلَمْ يُرْضِ»**. فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ. ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ حَسَّانُ: قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا الْأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَفْرِيَنَّهُمْ بِلِسَانِي فَرْيَ الْأَدِيمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا تَعْجَلْ فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي»**. فَأَتَاهُ حَسَّانُ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ لَخَّصَ لِي نَسَبَكَ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لِحَسَّانَ: **«إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ»**. وَقَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى»**.

قَالَ حَسَّانُ:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ[١].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، باب فضائل حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ١٩٣٥/٤، رقم ٢٤٩٠.

عندما رأى النبي ﷺ الحماس المتدفق من حسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَفْرِيَنَّهُمْ بِلِسَانِي فَرْيَ الْأَدِيمِ. خشي أن يوقعه هذا الحماس في محظور الوقيعة في نسب النبي ﷺ بدون قصد. فأمره بالأناة المرادة في قوله ﷺ: لَا تَعْجَلْ. وليس هذا فقط وإنما دله على من يعينه حتى يحيط بالموضوع من جميع جوانبه، صاحب المعرفة والخبرة الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال له: فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي. فذهب إلى أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتعلم منه أنساب قريش ونسب النبي ﷺ، فكانت نتيجة هذه الأناة والتوجيه أن عاد حَسَّانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من عند أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ لَخَّصَ لِي نَسَبَكَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنْ الْعَجِينِ، وكانت القصيدة العظيمة التي كانت أوقع من النبل على قريش. كل ذلك نتيجة الأناة والتوجيه النبوي الكريم لحسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى أحاط بالموضوع وكون تصورًا كاملًا عنه.

المطلب الثاني

الأناة تُحقق إعمال قاعدة درء المفاسد وجلب المصالح عند طرح الموضوع

إن الاستعجال وعدم التأني من أهم العوامل التي تمنع الداعية من النظر والتأمل في عواقب الأمور، لذا يجب النظر إلى المصالح والمفاسد قبل الشروع في العمل وفق قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح[١]، لأن ذلك أصل نبوي عمل به النبي ﷺ في مواضع وحوادث كثيرة، منها أن النبي ﷺ كان يرى في مكة أشد المنكرات وأعظم المحرمات ولم يسع إلى تغييرها خوفًا من زيادة المنكر عملًا بالقاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح. وفي حال القوة عمل النبي ﷺ بهذه القاعدة فقد دخل مكة منتصرًا وأراد هدم الكعبة وإعادة بناءها على قواعد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ولكنه لم يفعل ذلك مع قوته وإمكانيته حينها درءًا للمفسدة التي من الممكن أن تقع بعد ذلك.

أما الصورة التطبيقية للأناة لتحقيق إعمال القاعدة الجليلة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح فهي تظهر في هذا الحديث، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «كُنْتُ أُقْرِئُ رِجَالًا مِنْ الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَبَيْنَمَا أَنَا فِي مَنْزِلِهِ بِمِنًى وَهُوَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا إِذْ رَجَعَ إِلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَالَ: لَوْ رَأَيْتَ رَجُلًا أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْ لَكَ فِي فُلَانٍ يَقُولُ لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ لَقَدْ بَايَعْتُ فُلَانًا، فَوَاللَّهِ مَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا فَلْتَةً[٢] فَتَمَّتْ. فَغَضِبَ عُمَرُ ثُمَّ قَالَ: إِنِّي إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَقَائِمٌ

---

(١) انظر تفصيل القول في هذه القاعدة وأدلتها في: الوجيز في أصول الفقه، د. محمد صدقي البورنو، ص ٢٦٥.

(٢) فلته: فجأة من غير تردد ولا تدبر، وهي كلمة تقال فيما يُندم عليه. (انظر: تاج العروس، الزبيدي، ص ١١٣٩. والفائق في غريب الحديث، الزمخشري، ٣/ ١٣٩).

الْعَشِيَّةَ فِي النَّاسِ فَمُحَذِّرُهُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوهُمْ أُمُورَهُمْ[١]. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رَعَاعَ النَّاسِ[٢] وَغَوْغَاءَهُمْ[٣]، فَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَغْلِبُونَ عَلَى قُرْبِكَ حِينَ تَقُومُ فِي النَّاسِ، وَأَنَا أَخْشَى أَنْ تَقُومَ فَتَقُولَ مَقَالَةً يُطَيِّرُهَا عَنْكَ كُلُّ مُطَيِّرٍ[٤]، وَأَنْ لَا يَعُوهَا وَأَنْ لَا يَضَعُوهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا، فَأَمْهِلْ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةَ فَإِنَّهَا دَارُ الْهِجْرَةِ وَالسُّنَّةِ فَتَخْلُصَ بِأَهْلِ الْفِقْهِ وَأَشْرَافِ النَّاسِ فَتَقُولَ مَا قُلْتَ مُتَمَكِّنًا، فَيَعِي أَهْلُ الْعِلْمِ مَقَالَتَكَ وَيَضَعُونَهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا. فَقَالَ عُمَرُ: أَمَا وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَأَقُومَنَّ بِذَلِكَ أَوَّلَ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ». وفي رواية «فَقَالَ عُمَرُ لَأَقُومَنَّ الْعَشِيَّةَ فَأُحَذِّرَ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوهُمْ قُلْتُ لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رَعَاعَ النَّاسِ يَغْلِبُونَ عَلَى مَجْلِسِكَ فَأَخَافُ أَنْ لَا يُنْزِلُوهَا عَلَى وَجْهِهَا فَيُطِيرُ بِهَا كُلُّ مُطِيرٍ فَأَمْهِلْ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةَ دَارَ الْهِجْرَةِ وَدَارَ السُّنَّةِ فَتَخْلُصَ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَيَحْفَظُوا مَقَالَتَكَ وَيُنْزِلُوهَا عَلَى وَجْهِهَا فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأَقُومَنَّ بِهِ فِي أَوَّلِ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ»[٥].

---

(١) يغصبوهم أمورهم: يثبون على أمر الأمة وولايتهم بغير عهد ولا مشاورة. (انظر: فتح الباري، ابن حجر، ١٢/ ١٨٠).

(٢) رَعَاع الناس: الرعاع الأحداث، ورعاع الناس جهالهم وسُقّاطهم وسفلتهم ومن لا عقول لهم. (انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٢٨/٨. والفائق في غريب الحديث، الزمخشري، ٢/ ٦٦).

(٣) الغوغاء: صغار الجراد عندما يبدأ الطيران، ويطلق على السفلة المسرعين إلى الشر. (انظر: تهذيب اللغة، الأزهري، ١٠٨/٣. وغريب الحديث، الحربي، ١/ ٢٢٥).

(٤) يُطيرُها عنك كلُّ مُطير: يحملونها على غير وجهها ولا يعرفون المراد بها. (انظر: فتح الباري، ابن حجر، ١٢/ ١٨١).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أُحصنت، ٢٥٠٣/٦، رقم ٦٨٣٠، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما ذكر النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحض على اتفاق أهل العلم وما اجتمع عليه الحرمان مكة والمدينة...، رقم ٧٣٢٣.

لقد سمع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كلمة أغضبته وهي قول الرجل: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْ لَكَ فِي فُلَانٍ يَقُولُ لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ لَقَدْ بَايَعْتُ فُلَانًا فَوَ اللَّهِ مَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا فَلْتَةً فَتَمَّتْ. وهذا أمر خطير، وجُرأة من سفهاء خاضوا في أمر الأمة الذي لا يكون إلا لعلماء المسلمين وخاصتهم، وقدحٌ في خلافة الخليفة الأول أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهذا موضوع لا بد له من بيان. لذلك يقول عبدالرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَغَضِبَ عُمَرُ ثُمَّ قَالَ إِنِّي إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَقَائِمٌ الْعَشِيَّةَ فِي النَّاسِ فَمُحَذِّرُهُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوهُمْ أُمُورَهُمْ. وهنا جاء التأني لدرء المفسدة فالحج يجمع عامة الناس ورعاعهم، والموضوع جَدُّ خطير، فلربما يحملون الكلام على غير محمله، ويخوضون في أمر لا يجوز الخوض فيه، فتقع مفسدة على الأمة تؤدي إلى تفرقهم. فتدخل عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأشار بتأجيل الحديث في هذه المسألة حتى يعود إلى المدينة، قال: لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رَعَاعَ النَّاسِ يَغْلِبُونَ عَلَى مَجْلِسِكَ فَأَخَافُ أَنْ لَا يُنْزِلُوهَا عَلَى وَجْهِهَا فَيُطِيرُ بِهَا كُلُّ مُطِيرٍ فَأَمْهِلْ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةَ دَارَ الْهِجْرَةِ وَدَارَ السُّنَّةِ فَتَخْلُصَ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَيَحْفَظُوا مَقَالَتَكَ وَيُنْزِلُوهَا عَلَى وَجْهِهَا. والرواية الأخرى: فَأَمْهِلْ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةَ فَإِنَّهَا دَارُ الْهِجْرَةِ وَالسُّنَّةِ فَتَخْلُصَ بِأَهْلِ الْفِقْهِ وَأَشْرَافِ النَّاسِ فَتَقُولَ مَا قُلْتَ مُتَمَكِّنًا فَيَعِي أَهْلُ الْعِلْمِ مَقَالَتَكَ وَيَضَعُونَهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا. فاستجاب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لهذا الرأي الحكيم درءًا للمفسدة، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأَقُومَنَّ بِهِ فِي أَوَّلِ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ. قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (فيه التنبيه على أن العلم لا يودع عند غير أهله، ولا يحدث به إلا من يعقله، ولا يحدث القليل الفهم بما لا يحتمله)[1].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ١٢ / ١٩٠.

وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ)[1].

إن الدعوة بحاجة إلى أناةٍ وفقهٍ وفهمٍ وحكمةٍ كأناة وفقه وفهم وحكمة ابن الخطاب وابن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، إنها بحاجة إلى مراعاة القواعد الدعوية والتربوية التي تقتضي أن لا يعرض على الناس أكثر مما لا تحتمله عقولهم. فكم أصيبت الدعوة في عصرنا من أدواء بسبب العجلة وعدم الفهم وعدم الفقه في درء المفاسد. وكم أثيرت من فتنة ووقعت من خصومات وحدثت من فرقة بسبب تدخل الغوغاء وحدثاء الأسنان والرعاع للخوض في الأمور المهمة التي لو كانت في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لجمع لها أهل بدر.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية ألا يفهموا، ١ / ٣٧، رقم ١٢٧.

المطلب الثالث

الأناة تُحقق تكوين الرؤية العلمية الصحيحة للموضوع

ذكر ابن شهاب الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره قصة جمع القرآن في عهد أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: (لما أسرع في قتل قراء القرآن يوم اليمامة قتل معهم يومئذ أربعمائة رجل لقي زيد بن ثابت عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فقال له: إن هذا القرآن هو الجامع لديننا فإن ذهب القرآن ذهب ديننا وقد عزمت على أن أجمع القرآن في كتاب فقال له: انتظر حتى نسأل أبا بكر. فمضيا إلى أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فأخبراه بذلك. فقال: لا تعجل حتى أشاور المسلمين. ثم قام خطيبًا في الناس فأخبرهم بذلك فقالوا: أصبت فجمعوا القرآن وأمر أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مناديًا فنادى في الناس: من كان عنده من القرآن شيء فليجيء به. قالت حفصة: إذا انتهيتم إلى هذه الآية فأخبروني ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾[1]، فلما بلغوا إليها قالت: اكتبوا والصلاة الوسطى وهي صلاة العصر. فقال لها عمر: ألك بهذا بينة؟ قالت: لا. قال: فو الله لا ندخل في القرآن ما تشهد به امرأة بلا إقامة بينة)[2].

إن قصة جمع القرآن بدأت فكرة من عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فعرضها على زيد بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وزيد رأى عرضها على أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وإن لم تكن الحكمة والأناة في أبي بكر ففي من تكون!، قال: لا تعجل حتى أشاور المسلمين. والمسلمون هم أهل الْمَدِينَة دَارُ الْهِجْرَةِ وَالسُّنَّةِ أَهْلِ الْفِقْهِ وَأَشْرَافِ النَّاسِ.

---

(١) سورة البقرة، ٢٣٨.

(٢) الدر المنثور، السيوطي، ١/٧٢٢، ٧٢٣. وأصل القصة في صحيح البخاري، في مواضع متكررة برقم ٤٦٧٩، ٤٩٨٦، ٧١٩١.

قال: ثم قام خطيبًا في الناس فأخبرهم بذلك فقالوا: أصبت. وفي رواية البخاري أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ راجع أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كثيرًا حتى رأى رأي عمر، وراجعا زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى رأى رأيهما. يقول أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك. ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. قلت كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله؟ قال هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)(١).

إن هذه الأناة والتثبت التي صاحبت موضوع جمع القرآن الذي بدأ فكرة، وتطور حتى تكونت رؤية علمية صحيحة لدى الجميع، أنتجت حكمًا جماعيًا قدّره الله ليكون سببًا من أسباب حفظ القرآن الكريم الذي تعهد الله تعالى بحفظه كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾(٢) قال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لما انقضى نزول القرآن بوفاة النبي ﷺ ألهم الله الخلفاء الراشدين لجمع القرآن وفاء لوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة المحمدية فكان ابتداء ذلك على يد الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمشورة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)(٣).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ٤ / ١٩٠٧، رقم ٤٩٨٦.

(٢) سورة الحجر، ٩.

(٣) عمدة القاري، العيني، ١٦/١٩٧.

المبحث الخامس
أثر الأناة في وسائل الدعوة وأساليبها

إذا أراد الداعية أن يوافق أمر الرسول ﷺ وسنته ومنهاجه في الدعوة إلى الله تعالى، فلا بد أن يكون على دليل واضح لا لبس في الحق معه، وبيان وحجة واضحة غير عمياء، ولا يكون على ذلك إلا من تحقق فيه قول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾[1]. قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ (فالدعوة إلى الله يجب أن تكون على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي)[2].

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (البصيرة في الدعوة في ثلاثة أمور:

١- أن يكون على بصيرة فيما يدعو إليه وذلك بالعلم لا بالجهل.

٢- أن يكون على بصيرة في حال المدعو، فلا بد من معرفة حال المدعو بالطريقة والكيفية التي تناسبة، وتكون أكثر فائدة له، وتأثيرًا فيه.

٣- أن يكون على بصيرة في كيفية الدعوة)[3].

فإذا وجد الداعية ذو البصيرة والفهم والفقه المنضبط بالنصوص الشرعية والمعرفة بالأهم فالمهم، وذو البصيرة التي تُمكِّنه من معرفة حال المدعو وبيئته، وتُحدد الموضوع المناسب له، يجيء دور الوسيلة والأسلوب الذي يمكن من خلالها إيصال الدعوة. والأناة في اختيار الوسيلة المناسبة والأسلوب المناسب لا شك أنها من البصيرة، ومن الأهمية بمكان. وهذا ما تبينه المطالب الآتية بإذن الله تعالى.

---

(١) سورة يوسف، ١٠٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢ / ٤٩٦.

(٣) زاد الداعية إلى الله، ابن عثيمين، ص ٧.

المطلب الأول

الأناة في اختيار الوسيلة وحسن استخدامها

كل ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة أو كل أداة تُنقل من خلالها الدعوة إلى الله تعتبر وسيلة دعوية يمكن استخدامها بشرط أن تكون منضبطة شرعًا. وفي ذلك إعمال لقاعدة الوسائل لها أحكام المقاصد[١]. فالوسائل أوعية الأساليب تحملها وتوصلها إلى المدعوين[٢].

ومن الوسائل الدعوية ما هو قديم جديد لا يُستغنى عنه أبدًا كالخطابة وحلقات العلم بالمساجد وغيرها، وهذا الزمن مليءٌ بالوسائل المتعددة والمتطورة التي لم تكن معروفة من قبل والتي يمكن الاستفادة منها في الدعوة إلى الله بما يوافق الأصول والمقاصد الشرعية، كالقنوات الفضائية وشبكة المعلومات العالمية وغيرها. وتُعد الفضائيات سلاح ذو حدين، وقد ظهرت قنوات فضائية تقدم الإسلام بصورة حديثة طيبة، وكانت بديلًا جيدًا للقنوات المشبوهة، وأعطت انطباعًا ودليلًا محسوسًا على أهمية استخدام هذه الفضائيات.

و لكثرة الوسائل الدعوية سأتحدث عن أثر الأناة في وسيلتين من وسائل الدعوة:

الأولى: وسيلة القول: وهي أهم الوسائل لأن القول أساس البيان كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[٣]،

---

(١) انظر: قواعد الأحكام، العز بن عبد السلام، ١ / ٤٦. وإعلام الموقعين، ابن القيم، ٣ / ١٤٧.

(٢) انظر: فقه الدعوة إلى الله، د / سعيد بن وهف القحطاني، ٢ / ١١١٨.

(٣) سورة إبراهيم، ٤.

وأدب الله تعالى نبيه ﷺ الا يعجل بذكر القرآن حتى يجتمع لأن بعضه مرتبط ببعض فقال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾(١)، وجاء التوجيه النبوي الذي يدل على التأني قبل الكلام وتمحيصه فإن كان خيرًا تكلم به، وإن كان غير ذلك صمت وامتنع عن الكلام فقال ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»(٢).

وتأنى سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما نقل له الهدهد خبر سبأ، فلم يحكم عليه بصدق أو كذب حتى يأتيه جواب الكتاب كما قال تعالى: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٢٧ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾(٣).

وهكذا يكون الداعية الواثق المتأني قوله حق، وكلامه صدق، ينتقيه انتقاء خالص الذهب من غثاء المعادن، وبمثل هذه الانتقائية يسلم عرض الداعية، وتصفو دعوته من غبش الخلط، ويستمر بقاؤها، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾(٤).

الثانية: المخيمات الدعوية:

تختلف مسميات الكثير من المناشط الدعوية الحديثة والتي يقوم عليها الدعاة، وتعوّد المجتمع على ظهورها في الأعياد أو المناسبات الفصلية المتكررة، ولا مشاحّة في التسمية، وما يعنيني في هذا البحث هو بيان أثر الأناة في هذه المناشط، الذي يتيح للدعاة القائمين عليها التأني في الإعداد واختيار المكان والزمان والوسائل والأساليب المناسبة لهذه المناشط.

---

(١) سورة القيامة، ١٦، ١٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، ٥/ ٢٢٤٠، رقم ٥٦٧٢.

(٣) سورة النمل، ٢٧، ٢٨.

(٤) سورة الرعد، ١٧.

وعند تأمل منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله نجد أن الله جل وعلا أعطى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ العصا لتكون دليلًا حسيًا باهرًا فكانت وسيلة دعوية استخدمها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ليبرهن بها على صدق دعوته، وكان للأناة أثر واضح في تحقيق نتائج إيجابية عند استخدام هذه الوسيلة، فلم يستخدمها لأول وهلة، ففي سرد القصة القرآنية لذلك أنه لم يعجل في تحديد موعد استخدامها، وتحرى المكان والزمان والكيفية المناسبة لاستخدام دليله ووسيلته الدعوية الباهرة. أما المكان فهو المكان البارز الذي اعتاد الناس إقامة احتفالاتهم فيه، وأما الزمان فهو يوم الزينة، ووقت العرض بالتحديد هو الضحى، قال تعالى: ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾[١]، قيل: يوم الزينة هو يوم النيروز، وقيل: يوم سوق لهم. وحشرُ الناس في وقت الضحى، نهارًا جهارًا، ليكون أبلغ في إظهار الحجة وإدحاض الباطل، بكونه على رؤوس الأشهاد[٢].

ثم يتأنى عَلَيْهِ السَّلَامُ مرة أخرى ولم يعجل، فبعد الاجتماع في المكان والزمان المحددين دار الحوار بينه وبين السحرة لمن تكون له بداية الإلقاء، وتركوا له الخيار ليبدأ هو ولكنه تأنى وترك لهم البدء بإلقاء عصيهم وحبالهم، قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ﴾[٣]. وكما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾[٤].

---

(١) سورة طه، ٥٩.

(٢) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، الإدريسي، ١١/ ٤٣٠.

(٣) سورة الأعراف، ١١٥، ١١٦.

(٤) سورة الشعراء، ٤٣.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال ألقوا أنتم أولًا قبلي، والحكمة في هذا -والله أعلم - ليري الناس صنيعهم ويتأملوه، فإذا فُرِغ من بهرجهم ومحالهم، جاءهم الحق الواضح الجلي بعد تطلبهم له والانتظار منهم لمجيئه، فيكون أوقع في النفوس)[1].

إن قبول الدعوة ونجاح خططها واستمرارها مرهون بموافقتها لمنهج الأنبياء، وفي هذا المنهج جميع متطلبات الدعوة وحلول مشكلاتها قديمة كانت أو معاصرة. فيجب على الدعية الرجوع إلى كتاب الله وسنة الرسول ﷺ، وتأمل منهج الأنبياء فسيجد مبتغاه، ويعتمد على ركن شديد من منهج الأنبياء، وتطمئن نفسه، ويزداد إقدامًا وحماسًا منضبطًا بإذن الله تعالى.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣ / ٤٥٦.

المطلب الثاني

الأناة عند اختيار الأسلوب وحسن استخدامه

كل طريقة مقنعة مؤثرة في المدعو بما يناسب حاله فهي من أساليب الدعوة. ولا شك أن الأسلوب فن يوفق الله الداعية لاستخدامه، بما لا يعارض النصوص الشرعية، مقتديًا بالرسول ﷺ باتباع الدليل الصحيح بالأسلوب الأمثل اللائق بالدعوة إلى الله. وهي تتنوع وتتعدد بما يغطي متطلبات الدعوة في كل زمان ومكان، كما قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[١]. وأطلق الرسول ﷺ البلاغ ولم يحدده بأسلوب معين فقال ﷺ: **«بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»**[٢].

وسأتحدث عن أثر الأناة في أساليب الدعوة في أسلوبين فقط:

الأول: الأناة تُساعد على استخدام أسلوب اللين:

أمر الله بأسلوب اللين في غير ما موضع من القرآن ومن ذلك قوله تعالى لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾[٣]. ومما يساعد على استخدام أسلوب اللين الأناة، فهذا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عندما أُمر من ربه بالذهاب إلى فرعون لم يتعجل بالذهاب وإنما طلب من ربه أن يُعينه بأخيه ليتمكنا سويًا من مخاطبة فرعون خطابًا لينًا كما أمرهم ربهم، قال تعالى:

---

(١) سورة النحل، ١٢٥.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ٣/ ١٢٧٥، ٣٢٧٤.

(٣) سورة طه، ٤٤.

﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾[١].

وفي سيرة رسولنا ﷺ أروع صور الأناة كما في قصة الأعرابي الذي بال في المسجد، يقول أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِى الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِىٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِى الْمَسْجِدِ فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَهْ مَهْ[٢]. قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ تُزْرِمُوهُ[٣] دَعُوهُ». فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَىْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلاَ الْقَذَرِ إِنَّمَا هِىَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلاَةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ». أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ فَأَمَرَ رَجُلاً مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ[٤].

إن تأني النبي ﷺ ورده الصحابة رضي الله عنه ألا يستعجلوا الرجل، أظهرت نتيجة هذا الأسلوب على الرجل، ففي رواية للحديث «فقال الأعرابي بعد أن فقه: بأبي أنت وأمي. فلم يؤنب ولم يسب. فقال: أن هذا المسجد لا يبال فيه. وإنما بني لذكر الله وللصلاة. ثم أمر بسجل من ماء فأفرغ على بوله»[٥].

---

(١) سورة طه، ٢٤. ٣٦.

(٢) مَه مَه: كلمة زجر، تقال في الإفراد والتثنية. (انظر: إكمال المعلم، القاضي عياض، ٢ / ٦٠. ومشارق الأنوار، القاضي عياض، ١ / ١٠٢).

(٣) لا تُزرموه: لا تقطعوا عليه بوله، والإرزام القطع، وزرم البول: انقطع، وإذا انقطع قد يضر.. (انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١ / ٢٨٠. وإكمال المعلم، القاضي عياض، ٢ /٥٨).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول من النجاسات، ١ / ١٦٣، رقم ٦٨٧.

(٥) أخرجه ابن ماجه، كتاب الطهارة، باب الأرض يصيبها البول كيف تُغسل، ١ / ١٧٦، رقم ٥٢٩. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ١ / ٨٧.

إن اللين من أهم أساليب الدعوة، والأناة تحقق تطبيق هذا الأسلوب، والعجلة ضد الأناة ويستحيل أن يأتي اللين معها، فيقال: فلان تأنى في اتخاذ القرار. فالأناة ممدوحة، ومقابلها العجلة مذمومة، والعجلة تؤدي إلى التقدم فيما لا ينبغي التقدم فيه، فيقال دائمًا في القرارات الخاطئة: فلان تعجل في اتخاذ القرار.

الثاني: الأناة تساعد على نجاح أسلوب الحوار:

يعتبر أسلوب الحوار من أهم أساليب الدعوة وخاصة في هذا العصر الذي تداخلت فيه الثقافات، واستطاعت التقنية الحديثة أن تجعل العالم بأسره كأنه قرية واحدة، فبإمكان الداعية محاورة المدعو سواءً كان مسلمًا أو كافرًا وهو في بيته عبر الشبكة العنكبوتية الإنترنت وبدون عناء سفر أو استعداد للقاء. ومع أهمية هذا الأسلوب إلا أن له من الخطورة مثل ماله من الأهمية وخاصة محاورة الكفار وأتباع الفرق المنحرفة وأهل الأهواء، مما يتطلب أن يكون المحاور على مستوى من العلم والحصانة الفكرية والأناة وعدم الاستعجال، مع إجادة فنون هذا الأسلوب. فقد كان أسلوب النبي ﷺ في محاورة النصارى يختلف عن أسلوب محاورته لمشركي العرب، ومحاورته للشاب تختلف عن محاورته للكهل، ومحاورته لأهل الحضر تختلف عن محاورته للأعراب وهكذا[1]...

ومن الأمثلة على ذلك محاورة النبي ﷺ للأعرابي ففي الحديث: أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ وَإِنِّي

---

(١) السنة النبوية مليئة بالأمثلة لا أذكرها خشية الإطالة مكتفيًا بمحاورته ﷺ للأعرابي، وللاستزادة ينظر في المنهج النبوي في دعوة الشباب، د. سليمان العيد.

أَنْكَرْتُهُ[١]. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟» قَالَ: نَعَمْ قَالَ: «فَمَا أَلْوَانُهَا؟» قَالَ: حُمْرٌ. قَالَ: «هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟»[٢] قَالَ: إِنَّ فِيهَا لَوُرْقًا. قَالَ: «فَأَنَّى تُرَى ذَلِكَ جَاءَهَا؟!» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ عِرْقٌ نَزَعَهَا. قَالَ: «وَلَعَلَّ هَذَا عِرْقٌ نَزَعَهُ». وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُ فِي الِانْتِفَاءِ مِنْهُ[٣].

من سؤال الأعرابي أنه أتى مغضبًا شاكًا في زوجته وفي صحة نسب الولد إليه، فقد أورد ابن حجر رواية ابن أبي ذئب «أن الأعرابي صرخ بالنبي ﷺ»[٤]، فاجتمع فيه جفاء الأعراب والغضب ووسوسة الشيطان، فقابله النبي ﷺ بأناة وهدوء، وحوار هادي بمثال حسي من بيئته، حتى امتص غضبه، وفتَّر حدته، وسكّن انفعاله، قبل أن يخبره بالحكم وهو ثبات نسب الولد إليه.

---

(١) أنكرته: استغربت أن يكون مني لأن لونه يخالف لوني. (انظر: فتح الباري، ابن حجر، ٩/٤٤٣. عون المعبود، العظيم آبادي، ٦/٣٤٩).

(٢) أورق: الذي فيه سواد ليس بحالك يميل للغبرة، ومنه قيل للحمامة ورقاء. (انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٠/١٣٣. وتحفة الأحوذي، المباركفوري، ٦/٣٢٥).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام، باب من شبه أصلًا معلومًا بأصل مبين قد بين الله حكمهما ليفهم السائل، ٦/٢٦٦٧، رقم ٦٨٨٤.

(٤) فتح الباري، ابن حجر، ٩/٤٤٣.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشكره على آلائه وتوفيقه وتيسيره لي كتابة هذا البحث، والذي أرجو أن يحقق الله لي منه ثواب الآخرة قبل ثواب الدنيا، ويجعله لي عنده ذخرًا. فقد بذلت فيه جهدي بعد توكلي على الله تعالى ولا أدعي فيه الكمال فهو جهد بشري يعتريه الخطأ والتقصير، ولكني أحسب أن ما لا يدرك كله لا يترك جله. وما كان فيه من صواب فهو بتوفيق الله تعالى وتسديده، وما كان من خطأ فهو مني ومن الشيطان، وأرجو من الله العفو والغفران.

وقد ظهر لي بعد البحث نتائج أهمها:

١ - أن الأناة خلة عظيمة وهبة ربانية ومن وهبه الله إياها فهي من خير الخلال.

٢- أنه يجب على الداعية أن يتحلى بالأناة، ويسعى لاكتسابها بالطرق والأساليب الممكنة كالتعلم والتفقه وكثرة ملازمة العلماء والحكماء، ومصاحبة الأخيار.

٣- أن الأناة من أهم وسائل إصابة المنهج النبوي في الدعوة إلى الله. وسلامة الدعوة إلى الله تعالى وتوفيقها موقوف على إصابة المنهج النبوي.

٤ - أن الدعاة إلى الله تعالى في هذا العصر- في أحوج ما يكونون إلى الأناة والتثبت، لكبح جماح مثيري الفتن والشبهات، والمتربصين بالدعوة والدعاة من الذين يصطادون في المياه العكرة، الذين يتهمون الدعاة بالاستعجال، وعدم الفهم، والاعتماد على الظنون والأدلة الظنية، وسوء الظن في المجتمع.

٥- أن المنهج الدعوي المتكامل القائم على الداعية ومحتوى الدعوة والموجهة لهم الدعوة وهم المدعوون وأدوات تنفيذ ذلكم المحتوى من الوسائل والأساليب بأشد الحاجة إلى أن تكون الأناة واقعًا مطبقًا في ذلكم المنهج لما تحققه من الموافقة ومراعاة للأحوال والظروف ودرء المفاسد وجلب المصالح.

٦- أن التأصيل العلمي لمفردات المنهج الدعوي المعتمد على القرآن الكريم وصحيح السنة وفهم نصوص الاستدلال وحُسن إنزالها منزلها الصحيح وذلك بتصور موضع الاستدلال تصورًا تامًا صحيحًا، وفهم الواقع المحيط به وتطبيقه على موضع الاستدلال يحتاج إلى الأناة والتثبت لفهم النصوص فهمًا علميًا واقعيًا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

إتقان العمل الدعوي

ضرورة دعوية

إتقان العمل الدعوي

ضرورة دعوية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1]، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[2]، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[3][4]. أما بعد.

فإن الدعوة إلى الله تعالى أشرف وأعظم ما يتقرب به المسلم إلى ربه كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[5]، وبما أنها كذلك فهي الأولى أن يؤتى بها على أكمل وجه، أو

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان ٧٠، ٧١.

(٤) خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه رضي الله عنهم، محمد ناصر الدين الألباني، ص ٤، ٥.

(٥) سورة فصلت، الآية ٣٣.

يُنشد فيها الكمال على أقل الاحتمال. وإذا أُريد بها هذا المبلغ العظيم فليُبحث عن الطرق المعينة الموصلة إلى الكمال أو القرب منه. وبما أنه من واجب الأكاديميين تقديم البحوث والدراسات المساعدة على تقديم الدعوة إلى الله على أكمل وجه، رأيت أن أشارك بهذا البحث المعنون بـ(**إتقان العمل الدعوي ضرورة دعوية**) أقدم من خلال مباحثه الطريقة المثلى إن شاء الله تعالى لإتقان العمل الدعوي حتى تؤتى ثماره يانعة بإذن ربها. وبما أن حفظ الدين ضرورة دينية فإن من وسائل حفظه إجادة الدعوة إليه وإتقانها، وجودة كل عمل مرتهنة بجودة أدائه.

وقد جاءت خطة هذا البحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: تعريفات مفردات البحث وبيان أهميته.

أولًا: تعريف الإتقان.

ثانيًا: تعريف الضرورة.

ثالثًا: مفهوم إتقان العمل الدعوي ضرورة دعوية.

المبحث الثاني: إتقان الجانب العلمي النظري.

أولًا: بذل الجهد في إتقان العلوم الشرعية.

ثانيًا: إتقان المنهج النبوي في الدعوة إلى الله.

ثالثًا: استشعار أهمية الدعوة إلى الله وإشغال الفكر بها والتهيئة النفسية لها.

رابعًا: الاهتمام بفقه المقاصد الشرعية.

خامسًا: الاهتمام بفقه النوازل.

سادسًا: العناية بالدراسات البحثية.

المبحث الثالث: إتقان الجانب العملي التطبيقي (إتقان أدوات التنفيذ).

أولًا: حسن التخطيط للدعوة إلى الله.

ثانيًا: التدريب.

ثالثًا: التطوير. وأدواته هي:

١- تقييم الأداء.

٢- قبول النقد.

٣- متابعة التطور التقني والإفادة منه.

٤- مراعاة الفوارق والمستوى والتخصص ووضع الرجل المناسب في مكانه.

الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث.

المراجع.

وأسأل الله تعالى أن يبارك في هذا الجهد، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، مستمرًا أجره إلى يوم ألقاه، فأنتفع به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول
تعريفات مفردات البحث وبيان أهميته

أولًا: تعريف الإتقان.

تقن: التُّقْنُ الطبيعةُ والفَصاحةُ من تِقْنِه أي من سُوسِه وطَبْعِه.

أَتْقَنَ الشيءَ: أَحْكَمَه، وإتقانُه إِحْكامُه، والإتْقانُ الإحكامُ للأشياء كما قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾(١). ورجل تِقْنٌ وتَقِن: أي مُتْقِنٌ للأشياء حاذِقٌ بها. ويقال أيضًا: رجل تقن وهو الحاضر المنطق والجواب. ويقال رجل تابع عَمَلَه متابَعةً: أي والاهُ وأَتْقَنَه، ورجل مُتَابع العمل: مُحْكَمُه يُشبه بعضهُ بَعضًا. وتِقْنٌ اسم رجل كان جيِّدَ الرَّمي يُضرَب به المثل ولم يكن يَسْقُط له سَهم، قيل فيه:

لأَكْلَةٌ من أَقِطٍ وسَمْنٍ ... وشَرْبتانِ من عَكِيِّ الضأْنِ

أَلْيَنُ مَسًّا في حَوايا البَطْنِ ... من يَثْرِبِيَّاتٍ قِذاذٍ خُشْنِ

يَرْمِي بها أَرْمَى من ابن تِقْنِ

فقالوا في المثل: أَرْمَى من ابنِ تِقْنِ

قال أَبو منصور: الأَصل في التِّقْن ابنُ تِقْنٍ هذا، ثم قيل لكل حاذق بالأَشياء تِقْنٌ، ومنه يقال: أَتْقَنَ فلانٌ عمَله إذا أَحْكَمَه(٢).

---

(١) سورة النمل ٨٨.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٣/ ٧٢. ومعجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ١/ ٣٥٠. وتهذيب اللغة، الأزهري، ٣/ ١٩٦. والمخصص، ابن سيده، ٣/ ٢٠٧. والمحيط في اللغة، ابن عباد، ١/ ٤٦٦. والصحاح في اللغة، ١/ ٦٤. والمحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، ٣/ ٣٤.

ثانيًا: تعريف الضرورة

يقول ابن فارس: (ضر: الضاد والراء ثلاثةُ أصول: الأوّل خلاف النَّفْع، والثاني: اجتماعُ الشَّيء، والثالث القوّة. فالأوّل الضَّرّ: ضدُّ النَّفْع. وأمّا الأصلُ الثاني فَضَرَّة الضَّرع: لحمتُه، فالضَّرَّة: التي لا تخلو من اللَّبن. وسمِّيت بذلك لاجتماعِها. وضَرَّةُ الإبهام: اللحم المجتمع تحتَها. ومن الباب: المُضِرّ: الذي له ضَرَّةٌ من مال، وهو من صِفَة المال الكثير. وأمّا الثالث فالضرير: قُوَّة النَّفْس. يقال: فلانٌ ذو ضرير على الشيء: إذا كان ذا صبرٍ عليه ومقاساة. ويقال ذلك للفرس: أضرَّ على فأس اللِّجام، إذا أَزَم عليه)[1].

والضَّرورةُ: اسمٌ لمصدر الاضطِرَارُ: أي الاحتياج إلى الشيء، وقد اضْطَرَّه إليه أَمْرٌ والاسم الضَّرَّة تقول: حَمَلَتْني الضَّرورة على كذا، وقد اضطُرَّ فلان الى كذا وكذا. واضطره إليه: أحوجه وألجأه وأجْبَرَه. والضرورة: الحاجة والشدة لا مدفع لها والمشقة. وذو ضَرُورةٍ: أي ذُو حاجةٍ وقد اضْطُرَّ إلى الشَّيءِ أي أُلْجِئَ إليه. وإنه لَذُو ضَرِيرٍ على الشيءِ والشِّدَةِ إذا كان ذا صبرٍ عليه ومُقَاساةٍ.

وأضَرَّتِ الدّابَّةُ: صَبَرَتْ على الشِّدَّةِ والمَشَقَّةِ. وأضَرَّ الفَرَسُ على فأسِ اللِّجَام: أي عَضَّ عليه. وأضَرَّ فلانٌ بفلانٍ: لَصِقَ به. والمُضِرُّ من السَّحَاب: الذي دَنا من الأرْضِ.

ورجل ضر أضرار: داهية في رأيه[2].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣ / ٣٦٠، ٣٦١.

(٢) انظر: العين، الخليل بن أحمد، ١٦/٢. والقاموس المحيط، الفيروزآبادي، ١٤٧/٢. والمحيط في اللغة، ابن عباد، ١٨٨/٢. والمعجم الوسيط، ٥٣٨/١. ولسان العرب، ابن منظور، ٤٨٢/٤. ومعجم لغة الفقهاء، حرف الضاد، ٢٨٣/١.

وإذا سُبقت بالنفي كقول: لا يَضُرُّك عليه رجلٌ: أي لا تَجِدُ رجلًا يَزِيدُكَ على ما عند هذا الرجل من الكفاية، ولا يَضُرُّكَ عليه حَمْلٌ أي لا يَزِيدُك. ومثل ذلك ما ورد في الحديث؛ قَالَ أُنَاسٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١): أي لا يَضُرُّ بعضُكم بَعْضًا. وفي رواية بالتخفيف أنه ﷺ قَالَ: «**هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟**» قُلْنَا: لَا. قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا**»(٢). والمعنى لا يُضارُّ بعضُكم بعْضًا في رُؤْيَتِهِ أي لا يُضايِقُه لِيَنْفَرِدَ برُؤْيتِه. والضرَرُ الضِّيقُ. وقيل: لا تُضارُّون في رُؤْيته: أَي لا يُخالِفُ بعضُكم بعضًا فيُكَذِّبُه، يقال: ضارَرْت الرجُلَ ضِرارًا ومُضارَّةً إذا خالَفْته. وفي رواية: أن النبي ﷺ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ، فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»(٣) أي لا يَنْضمُّ بعضُكم إِلى بعْضٍ فيُزاحِمُه ويقولُ له أَرِنِيهِ كما يَفْعَلُون عند النَّظَرِ إِلى الهِلالِ، ولكن يَنْفَرِدُ كلٌّ منهم برُؤْيته، فلا يَنالُكُم ضَيْمٌ في رؤيته، أَي تَرَوْنَه حتى تَسْتَوُوا في الرُّؤْيَةِ فلا يَضِيم بعضُكم بعْضًا(٤). قال الأزهري: (ومعاني هذه الألفاظِ وإِن اخْتلفت مُتَقارِبةٌ، ولا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم ٦٠٨٨.

(٢) المرجع السابق، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة)، رقم ٦٨٨٦.

(٣) المرجع السابق، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس)، رقم ٤٤٧٣.

(٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٤ / ٤٨٢.

يَدْفَعُ لَفظٌ منها لفظًا)[١]. قال ابنُ الأثير: (رُوِيَ الحديثُ بالتخفيف والتَّشْديد فالتشْديدُ بمعنى لا تَتخالَفُون ولا تَتجادلُون في صِحّةِ النَّظر إليه لِوُضُوحِه وظُهُوره يقال ضارَّهُ يُضارُّه مِثْل ضَرَّه يَضُرُّه، وقيل: أرادَ بالمُضارَّةِ الاجْتِماعَ والازْدحامَ عند النَّظرِ إليه. وأما التخْفيفُ فهو من الضَّيرِ لُغَة في الضرِّ والمَعْنَى فيه كالأوّل قال ابن سيده وأما مَنْ رواه لا تُضارُون في رؤيته على صيغةِ ما لم يُسَمَّ فاعلُه فهو من المُضايقَةِ أي لا تَضامُّون تَضامًّا يَدْنُو به بعضُكم من بعضٍ فتُضايَقُون)[٢].

والضَّرّة المالُ الكثيرُ.

الضروري: ما اتصلت الحاجة إليه إلى حد الضرورة كحفظ الدين فالنفس فالعقل فالنسب فالمال فالعرض[٣].

الضروري:كل ما تمس إليه الحاجة وكل ما ليس منه بد وهو خلاف الكمالي[٤].

ويمكن تحديد معنى الضرورة المرادة هنا أنها: شدة الاحتياج إلى الإتقان ليتحقق الكمال والاجتماع ويضيق باب الافتراق.

ثالثًا: مفهوم إتقان العمل الدعوي ضرورة دعوية

يهدف الإسلام إلى إصلاح المجتمع، وتزكية أنفس أفراده، ومن محاسنه تعيين الضروريات الخمس وصيانتها وتحريم المساس بها، وهي حفظ

---

(١) نقلًا من تاج العروس، الزبيدي، ١ / ٣٠٩٢.

(٢) نقلًا من لسان العرب، ابن منظور، ٤ / ٤٨٢.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص ٤٧٣.

(٤) المحيط في اللغة، ابن عباد، ٢ / ١٨٨. والمعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ١/٥٣٨.

الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل. وأطلق عليها العلماء مسمى مقاصد الشريعة الأصلية، وسميت الضروريات. ولهذا قال الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: (فقد اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس، وهي الدين والنفس والنسل والمال والعقل)[1]. وأشار إلى أهم هذه الضروريات وهو حفظ الدين فقال: (ولكنها تنقسم إلى ضرورية عينية، وإلى ضرورية كفائية، فأما كونها عينية: فعلى كل مكلف في نفسه. فهو مأمور بحفظ دينه اعتقادًا وعملًا...)[2].

ومما يدل على أن أهمها مصلحة الدين، ما جاء في الشريعة وأثبتته سيرة الأمة وتاريخها المجيد أنه إذا اقتضت مصلحة الدين إهمال الحفاظ على النفس تقدم المسلم لينال الشهادة في سبيل الله، وإذا اقتضت مصلحة الدين إهمال الحفاظ على المال جاء المسلم يحمل ماله كله في سبيل الله كما فعل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذا العرض كما قال حسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فإن أبي ووالده وعرضي   لعرض محمد منكم وقاء[3].

وإذا كان حفظ الدين من الضروريات التي حفظها الإسلام بل أهمها، فإن من وسائل حفظ الدين الدعوة إليه، ولا تتحقق الاستجابة للدعوة إلا إذا أُتقِن أداؤها، ووافقت المنهج النبوي في الدعوة إلى الله تعالى.

وعلى هذا فإن إتقان الدعوة إلى الله ضرورة دعوية يتحقق بها حفظ الدين كما أمر الله تعالى.

---

(١) الموافقات، الشاطبي، ٢/٣٢٦.

(٢) المرجع السابق، ٢/٤٧٦. والاعتصام، الشاطبي، ١/٥١٨.

(٣) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم ٤٥٤٥.

المبحث الثاني
إتقان الجانب العلمي النظري

نعني بالجانب العلمي النظري: فهم العلوم الشرعية والعربية وفقهها، وفقه المقاصد الشرعية وإتقان علوم الوسائل المحققة لها إتقانًا يحمي الأمة من سوءَ المأخَذ، وفساد الاستنتاج، وقُبحَ الأعمال، وحتى ترقَّى مداركُهم وتظهرَ جهودُهم في أجمل المظاهرِ التي أرادها هذا الدين، ولتنبع أفعالهم من روحِ الإسلام، وتنساق من مقاصِده، وتوفِي بحاجات الدّعوةِ، وتواكِب مقتضياتِ الزمان، وتغيُّرات العصر.

إنَّ أمّتنا لفي ضرورةٍ لتفهُّم المقاصد العامَّة لهذا الدين، وفي حاجةٍ ماسَّة لدراسة أهداف شريعة الإسلام والتعمُّق فيها والعَمَل على فقهها؛ لإصلاح المنهَج النظريّ العلميّ فهو الركيزة الأساسية للدين، فالعلم مقدم على العمل، وبصحته يصح العمل كما قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴾[1]، وقد بوب الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بابًا قال فيه: (باب العلم قبل القول والعمل، واستشهد بهذه الآية)[2]. قال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أي هذا باب في بيان أن العلم قبل القول والعمل، أراد أن الشيء يعلم أولًا، ثم يقال، ويعمل به، فالعلم مقدم عليهما بالذات، وكذا مقدم عليهما بالشرف، لأنه عمل القلب وهو أشرف أعضاء البدن)[3]. وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال ابن المنير: أراد

---

(١) سورة محمد، الآية ١٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، ١ / ٣٧.

(٣) عمدة القاري، العيني، ٢ / ٤٧٦.

به أن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو متقدم عليهما لأنه مصحح للنية المصححة للعمل، فنبه المصنف على ذلك حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم إن العلم لا ينفع إلا بالعمل تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه... إلى أن قال ابن حجر: وينتزع منها دليل ما يقوله المتكلمون من وجوب المعرفة، لكن النزاع كما قدمناه إنما هو في إيجاب تعلم الأدلة على القوانين المذكورة في كتب الكلام)[١].

وسأُبين أهم متطلبات إتقان هذا الجانب، ولن أتطرق للصفات الذاتية في الداعية كالصدق والإخلاص لأنه لا علاقة لها بإتقان العمل، فقد كان السلف لا يأخذون حديث الصادق الورع إذا كان غير متقن، **وهي كما يلي:**

أولًا: بذل الجهد في إتقان العلوم الشرعية.

التحصيل العلمي هو بيت القصيد للداعية، فيجب عليه أخذه من مظانة على أيدي العلماء، وفي الكليات والجامعات المتخصصة، فالعلم للداعية بمثابة أساس البناء وأعمدته، وشتان بين داعية يدعم كل أقواله بالأدلة الثابتة، وآخر بضاعته مزجاة قال تعالى:﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ﴾[٢].

وقد مدح النبي ﷺ، والصحابة رضي الله عنهم، والعلماء من بعدهم طلاب العلم المجتهدين في تحصيله والسؤال عنه، كما في قوله ﷺ: «**أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا، فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ**»[٣]. وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في

(١) فتح الباري، ابن حجر، ١/ ١٦٠.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٠٩.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب الطهارة، باب في المجروح يتيمم، ١/ ٩٣، رقم ٢٨٤. وصححه الألباني، في صحيح سنن أبي داود، ١/ ١٠١.

عبد الله بن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (ذاك فتى الكهول، له لسان سؤول، وقلب عقول)[١]، وقَول مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَا يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ مُسْتَحٍ وَلَا مُسْتَكْبِرٌ)[٢].

وذم ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ الذي يتكلم في الدين والدعوة بغير دليل فقال: (ولا يلقيه ساذجًا مجردًا عن دليله ومأخذه، فهذا لضيق عَطَنِه وقلةِ بضاعته من العلم، ومن تأمل فتاوى النبي ﷺ الذي قوله حجة بنفسه رآها مشتملةً على التنبيه على حكمة الحكم، ونظيره، ووجه مشروعيته)[٣]. فمن واجبات الداعية بذل الجهد في التحصيل والتزود بالعلم ومراجعة أهل الإتقان من العلماء، وتنمية ملكة الفهم بالمراجعة حتى يُفهم العلم. ولذلك بوب البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ بابًا قال فيه: باب من سمع شيئًا فراجع حتى يعرفه، ثم ذكر مراجعة أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا للرسول ﷺ، وذلك أنها: «كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئًا لَا تَعْرِفُهُ إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ. وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ»، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَقُلْتُ أَوَ لَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾[٤] قَالَتْ: فَقَالَ: إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكْ»[٥]. قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (في الحديث ما كان عند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من الحرص على تفهم معاني الحديث، وأن النبي ﷺ لم يكن يتضجر من المراجعة في العلم)[٦].

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٣/٣٤٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ١/٣٠١.

(٣) إعلام الموقعين، ابن القيم، ٤/١٦١.

(٤) سورة الإنشقاق، ٨.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من سمع شيئًا فراجع حتى يعرفه، ١/٥١، رقم ١٠٣.

(٦) فتح الباري، ابن حجر، ١ / ٢٦٠.

وكان السلف يصفون المؤلفات الجيدة بقولهم غاية في الإتقان، وفي الرجال يقولون من أهل الإتقان أو متقن أو غاية في الإتقان. ومن ذلك أن الحاكم رَحِمَهُ اللَّهُ أخرج حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «أنه حدث يومًا: عن رسول الله ﷺ فارتعد وارتعدت ثيابه ثم قال: أو نحو هذا» ثم علق عليه قائلًا: (هذا حديث من أصول التوقي عن كثرة الرواية والحث على الإتقان فيه)[١]. وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ عند شرحه لحديث «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأُبَيٍّ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ.قَالَ: آللَّهُ سَمَّانِي لَكَ. قَالَ: اللَّهُ سَمَّاكَ لِي قَالَ: فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي»[٢]، قال: (واختلفوا في الحكمة في قراءته على أُبي، والمختار أن سببها أن تستن الأمة بذلك في القراءة على أهل الإتقان والفضل ويتعلموا آداب القراءة ولا يأنف أحد من ذلك)[٣]. وقال أيضًا: (اعلم أن مسلمًا رَحِمَهُ اللَّهُ سلك في هذا الكتاب طريقة في الإتقان والاحتياط والتدقيق والتحقيق)[٤]. وقال أيضًا: (وقد أتقن رحمه الله تعالى هذا الإسناد غاية الإتقان)[٥]. وقال ابن الصلاح رَحِمَهُ اللَّهُ: (فمحمد بن عمرو بن علقمة من المشهورين بالصدق والصيانة لكنه لم يكن من أهل الإتقان)[٦].

---

(١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، ١/١٩٣، رقم ٣٧٦، ٣٧٧.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل، رقم ١٣٣٠.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥ / ١٨٠.

(٤) المرجع السابق، ١٨ / ١٧.

(٥) المرجع السابق، ١١ / ٣٢.

(٦) مقدمة ابن الصلاح، ص ٣٥.

وقال الزمخشري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أن على كلّ آخذ علمًا أن لا يأخذهُ إلا من أبرع أهله علمًا، وأكثرهم دراية، وأغوصهم على لطائفه، وحقائقه، وإن احتاج إلى أن يضرب إليه أكباد الإبل، فكم من آخذ عن غير متقن، قد ضيع أيامه وعضّ عند لقاء النحارير أنامله)[١].

ثانيًا: إتقان المنهج النبوي في الدعوة إلى الله.

نعني بإتقان المنهج: العلم والمعرفة بمنهج النبي ﷺ في الدعوة إلى الله علمًا ومعرفة تحقق حُسن الإقتداء بالنبي ﷺ بحيث يكون موضوع الدعوة ووسائلها وأساليبها مهتدية بهدي الكتاب والسنة، مقتدية بنهج النبي ﷺ فهمًا وفقهًا وتطبيقًا يتحدد من خلاله فقه الدعوة إلى الله مسترشدًا بفهم وفقه الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ومن ثَمّ ضبط علوم الدعوة إلى الله وحكمها بهذا الفهم. ولعل من المفيد أن نقل بعض ما قاله ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حول ذلك فقد بيّن أهمية الالتزام بهذا المنهج، وبيّن خطأ المخالفين له، عندما أجاب على سؤال هذا نصه: (جماعة يجتمعون على قصد الكبائر من القتل وقطع الطريق والسرقة وشرب الخمر وغير ذلك، ثم إن شيخًا من المشائخ المعروفين بالخير واتباع السنة قصد منع المذكورين من ذلك، فلم يمكنه إلا أن يقيم لهم سماعًا يجتمعون فيه بهذه النية وهو بدف بلا صلاصل[٢] وغناء المغنى بشعر مباح بغير شبابة، فلما فعل هذا تاب منهم جماعة وأصبح من لا يصلى ويسرق ولا يزكى يتورع عن الشبهات ويؤدى

---

(١) الكشاف، الزمخشري، ٢ / ٢.

(٢) قطع من الحديد الصغير تربط بالدف وتحدث صوتًا عند ضربه (انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١١ /٣٨١

المفروضات ويجتنب المحرمات، فهل يباح فعل هذا السماع لهذا الشيخ على هذا الوجه لما يترتب عليه من المصالح مع أنه لا يمكنه دعوتهم الا بهذا؟

فأجاب بقوله: الحمد لله رب العالمين أصل جواب هذه المسألة وما أشبهها أن يعلم أن الله بعث محمدًا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا، وأنه أكمل له ولأمته الدين كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1]، وأنه بشر بالسعادة لمن أطاعه والشقاوة لمن عصاه فقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[3]، وأمر الخلق أن يردوا ما تنازعوا فيه من دينهم إلى ما بعثه به كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[4] وأخبر أنه يدعو إلى الله وإلى صراطه المستقيم كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[6]، وأخبر أنه يأمر بالمعروف

---

(١) سورة المائدة، الآية ٣.

(٢) سورة النساء، الآية ٦٩.

(٣) سورة النساء، الآية ١٤.

(٤) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٥) سورة يوسف، الآية ١٠٨.

(٦) سورة الشورى، الآية ٥٢، ٥٣.

وينهى عن المنكر ويحل الطيبات ويحرم الخبائث كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَىٰةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَٰلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١]، وقد أمر الله الرسول بكل معروف ونهى عن كل منكر وأحل كل طيب وحرم كل خبيث... وثبت عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»[٢]... وكان السلف كمالك وغيره يقولون السنة كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق، وقال الزهري: كان من مضى من علمائنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة..... إذا تبين هذا فنقول للسائل إن الشيخ المذكور قصد أن يتوب المجتمعين على الكبائر فلم يمكنه ذلك إلا بما ذكره من الطريق البدعي يدل أن الشيخ جاهل بالطرق الشرعية التي بها تتوب العصاة أو عاجز عنها، فإن الرسول ﷺ

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان ١٥٦، ١٥٧.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم ٢٦٠٠.

والصحابة والتابعين كانوا يدعون من هو شر من هؤلاء من أهل الكفر والفسوق والعصيان بالطرق الشرعية التى أغناهم الله بها عن الطرق البدعية. فلا يجوز أن يقال إنه ليس فى الطرق الشرعية التى بعث الله بها نبيه ما يتوب به العصاة فإنه قد علم بالاضطرار والنقل المتواتر أنه قد تاب من الكفر والفسوق والعصيان من لا يحصيه إلا الله تعالى من الأمم بالطرق الشرعية التى ليس فيها ما ذكر من الاجتماع البدعى بل السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان وهم خير أولياء الله المتقين من هذه الأمة تابوا إلى الله تعالى بالطرق الشرعية لا بهذه الطرق البدعية، وأمصار المسلمين وقراهم قديمًا وحديثًا مملوءة ممن تاب إلى الله واتقاه وفعل ما يحبه الله ويرضاه بالطرق الشرعية لا بهذه الطرق البدعية. فلا يمكن أن يقال إن العصاة لا تمكن توبتهم إلا بهذه الطرق البدعية بل قد يقال إن فى الشيوخ من يكون جاهلًا بالطرق الشرعية عاجزًا عنها ليس عنده علم بالكتاب والسنة وما يخاطب به الناس ويسمعهم إياه مما يتوب الله عليهم فيعدل هذا الشيخ عن الطرق الشرعية إلى الطرق البدعية إما مع حسن القصد إن كان له دين وإما أن يكون غرضه الترأس عليهم وأخذ أموالهم بالباطل كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1] فلا يعدل أحد عن الطرق الشرعية إلى البدعية إلا لجهل أو عجز أو غرض فاسد.

وإلا فمن المعلوم أن سماع القرآن هو سماع النبيين والعارفين والمؤمنين قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ

---

(١) سورة التوبة، الآية ٣٤.

إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾[٢].

وبهذا السماع هدى الله العباد وأصلح لهم أمر المعاش والمعاد، وبه بعث الرسول، وبه أمر المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وعليه كان يجتمع السلف كما كان أصحاب رسول الله ﷺ إذ اجتمعوا أمروا رجلًا منهم أن يقرأ وهم يستمعون، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبى موسى رضي الله عنه: ذكرنا ربنا. فيقرأ أبو موسى رضي الله عنه وهم يستمعون. وفى الصحيح عن النبى ﷺ أنه مر بأبى موسى الأشعرى وهو يقرأ فجعل يستمع لقراءته... وفى الصحيح أنه قال لابن مسعود: اقرأ علي القرآن، فقال: أقرأ عليك القرآن وعليك أنزل، فقال: إنى أحب أن أسمعه من غيرى. قال فقرأت عليه سورة النساء حتى وصلت إلى هذه الآية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[٣]، قال لي: حسبك. فنظرت إليه فإذا عيناه تذرفان من البكاء. وعلى هذا السماع كان يجتمع القرون الذين أثنى عليهم النبى ﷺ... ولم يكن فى السلف الأول سماع يجتمع عليه أهل الخير إلا هذا... وإنما حدث السماع المبتدع بعد ذلك، وقد مدح الله أهل هذا السماع المقبلين عليه، وذم المعرضين عنه

---

(١) سورة الأنفال، الآيات ٢ ـ ٤.

(٢) سورة الزمر، الآية ٢٣.

(٣) سورة النساء، الآية ٤١.

وأخبر أنه سبب الرحمة فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[١]،.... وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾[٢]... ومثل هذا فى القرآن كثير يأمر الناس باتباع ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة ويأمرهم بسماع ذلك..... وإنما حدث سماع الأبيات بعد هذه القرون فأنكره الأئمة حتى قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خلفت ببغداد شيئًا أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير يزعمون أنه يرقق القلوب ويصدون به الناس عن القرآن. وسُئل الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنه فقال: محدث. فقيل له: أنجلس معهم فيه؟ فقال: لا يجلس معهم. والتغبير هو الضرب بالقضيب على جلودهم من أمثل أنواع السماع وقد كرهه الأئمة فكيف بغيره...

وقول السائل وغيره هل هو حلال أو حرام لفظ مجمل فيه تلبيس يشتبه الحكم فيه حتى لا يحسن كثير من المفتين تحرير الجواب فيه وذلك أن الكلام فى السماع وغيره من الأفعال على ضربين: أحدهما: أنه هل هو محرم أو غير محرم بل يفعل كما يفعل سائر الأفعال التى تلتذ بها النفوس وإن كان فيها نوع من اللهو واللعب كسماع الأعراس وغيرها مما يفعله الناس لقصد اللذة واللهو لا لقصد العبادة والتقرب إلى الله، والنوع الثانى: أن يفعل على وجه الديانة والعبادة وصلاح القلوب وتجريد حب العباد لربهم وتزكية نفوسهم وتطهير قلوبهم، وأن تحرك من القلوب الخشية والإنابة والحب

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٢٠٤.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٢٣.

ورقة القلوب وغير ذلك مما هو من جنس العبادات والطاعات لا من جنس اللعب والملهيات فيجب الفرق بين سماع المتقربين وسماع المتلعبين وبين السماع الذى يفعله الناس فى الأعراس والأفراح ونحو ذلك من العادات وبين السماع الذى يفعل لصلاح القلوب والتقرب إلى رب السموات فإن هذا يُسأل عنه هل هو قربة وطاعة وهل هو طريق إلى الله وهل لهم بد من أن يفعلوه لما فيه من رقة قلوبهم وتحريك وجدهم لمحبوبهم وتزكية نفوسهم وإزالة القسوة عن قلوبهم ونحو ذلك من المقاصد التى تقصد بالسماع، كما أن النصارى يفعلون مثل هذا السماع فى كنائسهم على وجه العبادة والطاعة لا على وجه اللهو واللعب.

إذا عرف هذا فحقيقة السؤال هل يباح للشيخ أن يجعل هذه الأمور التى هى إما محرمة أو مكروهة أو مباحة قربة وعبادة وطاعة وطريقة إلى الله يدعو بها إلى الله ويتوب العاصين ويرشد به الغاوين ويهدى به الضالين؟

ومن المعلوم أن الدين له أصلان فلا دين إلا ما شرع الله ولا حرام إلا ما حرمه الله، والله تعالى عاب على المشركين أنهم حرموا ما لم يحرمه الله، وشرعوا دينا لم يأذن به الله، ولو سئل العالم عمن يعدو بين جبلين هل يباح له ذلك؟ قال: نعم. فاذا قيل إنه على وجه العبادة كما يسعى بين الصفا والمروة قال: إن فعله على هذا الوجه حرام منكر يستتاب فاعله فإن تاب وإلا قتل.....

ولهذا من حضر السماع للعب واللهو لا يعده من صالح عمله ولا يرجو به الثواب، وأما من فعله على إنه طريق إلى الله تعالى فانه يتخذه دينًا، وإذا نهى عنه كان كمن نهى عن دينه ورأى أنه قد انقطع عن الله وحرم

نصيبه من الله تعالى إذا تركه، فهؤلاء ضلال باتفاق علماء المسلمين، ولا يقول أحد من الأئمة المسلمين إن اتخاذ هذا دينًا وطريقًا إلى الله تعالى أمر مباح، بل من جعل هذا دينًا وطريقًا إلى الله تعالى فهو ضال مفتر مخالف لإجماع المسلمين، ومن نظر إلى ظاهر العمل وتكلم عليه ولم ينظر إلى فعل العامل ونيته كان جاهلًا متكلمًا فى الدين بلا علم.

فالسؤال عن مثل هذا أن يقال هل ما يفعله هؤلاء طريق وقربة وطاعة لله تعالى يحبها الله ورسوله أم لا؟، وهل يثابون على ذلك أم لا؟، وإذا لم يكن هذا قربة وطاعة وعبادة لله ففعلوه على أنه قربة وطاعة وعبادة وطريق إلى الله تعالى هل يحل لهم هذا الاعتقاد وهذا العمل على هذا الوجه؟

وإذا كان السؤال على هذا الوجه لم يكن للعالم المتبع للرسول أن يقول إن هذا من القرب والطاعات، وأنه من أنواع العبادات، وأنه من سبيل الله تعالى وطريقه الذي يدعو به هؤلاء إليه، ولا أنه مما أمر الله تعالى به عباده لا أمر إيجاب ولا أمر استحباب، وما لم يكن من الواجبات والمستحبات فليس هو محمودًا، ولا حسنة، ولا طاعة، ولا عبادة باتفاق المسلمين)[1].

وإن من أخطر ما تتعرض له الدعوة تسنمُ مهامها من ليس أهلًا لها من الجهال، والمتعالمين، والدخلاء، وهؤلاء وإن كانوا يريدون خيرًا إلا أنهم يضرون وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. فالدعوة إلى الله أشرف الطاعات وأفضل القربات وعلى ذلك فاتباع المنهج النبوي فيها أمر واجب يجب على الدعاة إلى الله تعالى إتقانه، ومخالفة المنهج فيها ابتداع يجب الحذر منه، لأن

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١١ / ٦٢٠. ٦٣٥ باختصار.

نتائجه غير محمودة. وفي أحداث الواقع وما يجري في هذا العصر من أخطاء المنتسبين للدعوة شاهد على ذلك. وفي قول رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**»[1] دليل على هذه الآفة الخطيرة، فإن مدعي ما ليس عنده، والمظهر خلاف الحقيقة لابس ثوب زور. قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: (لا آفة على العلومِ وأهلِها أضر من الدخلاء فيها، وهم من غير أهلها، فإنهم يجهلون، ويظنون أنهم يعلمون، ويفسدون ويُقدِّرون أنهم يصلحون)[2]. وقيل: إذا تكلم المرء في غير فنه أتى بالعجائب[3].

ثالثًا: استشعار أهمية الدعوة إلى الله وإشغال الفكر بها والتهيئة النفسية لها

جاء في الحديث عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ فَقَالَ: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ**». وفي رواية: «**إِلَّا شَرِكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ**»[4]، عند تأمل قول الرسول ﷺ السابق نجد أن هؤلاء المعذورين لم يؤانسهم عذرهم الشرعي وهو المرض، وينصرفوا في همومهم الشخصية، وضيعاتهم وأهليهم، وإنما أشغلوا كامل فكرهم وهمهم بتتبع وتحري أخبار المجاهدين، والشوق إلى أخبارهم، وتمني مصاحبتهم، والدعاء لهم. هذا الهم يجب أن يحمله الداعية الصادق فهو أحق بحمل هم أمته، والتفكير في أحوالهم، والتخطيط لدعوتهم، ونشر أخبارهم السارة وفضائلهم، وستر أخطاءهم، والدعاء

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب المتشبع بما لم ينل، رقم ٤٨١٨.

(٢) نقلًا من: المجموعة العلمية، مسألة التعالم، د. بكر أبو زيد، ص ٩.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٨.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر، رقم ٣٥٣٤.

لهم، ومساعدة ضعيفهم، ونصر مجاهدهم، والذب عن أعراضهم، والسعي إلى جمع كلمتهم، ونبذ كل ما يدعو إلى فرقتهم. هذا الهم يدفعه إلى التهيئة والاستعداد النفسي. وإذكاء روح الجد والهمة العالية المعتمدة على الصبر، لتصمد في وجه الملل والفتور والكسل.

ويمكن تحقيق هذا الجانب بطرق منها:

١- دراسة قصص الأنبياء:

قصص الأنبياء في القرآن أحسن القصص كما قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾[(١)]، وأصدق القصص كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾[(٣)]، وأُمِر النبي ﷺ أن يقص قصص القرآن كما في قوله تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[(٤)].

واستيعاب قصص الأنبياء يعزز ضبط المنهج الدعوي، ويُعمِق فهمه، لأن دعوة الأنبياء واحدة، وتكرار قصصها يرسخ المنهج مع ما فيه من العبر والعظات وما يثبت ويُسلي الفؤاد ويشحذ الهمم ويُهيئ النفوس للدعوة.

لكن يجب عند ذكر قَصَص الأنبياء ألا يتَعْدُوا مَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَأن يُقال ذَلِكَ بِصِفَةِ التَّعْظِيمِ لَهُمْ وَالتَّنْزِيهِ لهم، لأن في قصص الأنبياء وأممهم عبرةٌ لذوي العقول الصافية الخالصة من شوائب الإلف والعادة، ومن

---

(١) سورة يوسف، الآية ٣.

(٢) سورة آل عمران، ٦٢.

(٣) سورة يوسف، الآية ١١١.

(٤) سورة الأعراف، الآية ١٧٦.

الركون إلى الحس، وفيها من الصفحات المضيئة والمواقف الرائعة والعبر والعظات ما يثبِّت الفؤاد، ويرطِّبُ الأكباد، ويُسلِّي النفوسَ، ويربِطُ على القلوب برباط الإيمان[1]. ذكر ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ عشر فوائد للقصص منها ملخصًا: (أن القرآن يأخذ من كل قصة أشرف مواضيعها ويُعرض عما عداه ليكون تعرضه للقصص منزها عن قصد التفكه بها. وكان أجلّ من أسلوب القصاصين في سوق القصص لمجرد معرفتها؛ ومن الفوائد التي ذكرها: **الفائدة الأولى:** أن من أدب الشريعة معرفة تاريخ سلفها في التشريع من الأنبياء بشرائعهم فكان اشتمال القرآن على قصص الأنبياء وأقوامهم تكليلًا لهامة التشريع الإسلامي بذكر تاريخ المشرعين، وقد رأيت من أسلوب القرآن في هذا الغرض أنه لا يتعرض إلا إلى حال أصحاب القصة في رسوخ الإيمان وضعفه وفيما لذلك من أثر عناية إلهية أو خذلان. وفي هذا الأسلوب لا تجد في ذكر أصحاب هذه القصص بيان أنسابهم أو بلدانهم إذ العبرة فيما وراء ذلك من ضلالهم أو إيمانهم... **الفائدة الثالثة:** ما فيها من فائدة تاريخ معرفة ترتيب المسببات على أسبابها في الخير والشر والتعمير والتخريب لتقتدي الأمة وتحذر، قال تعالى: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[2]، وما فيها من فائدة ظهور المثل العليا في الفضيلة وزكاء النفوس أو ضد ذلك... **الفائدة التاسعة:** معرفة أن قوة الله تعالى فوق كل قوة، وأن الله ينصر من ينصره، وأنهم إن أخذوا بوسيلتي البقاء: من الاستعداد والاعتماد؛ سلموا من تسلط غيرهم عليهم. وذكر

(١) انظر: أحكام القرآن، ابن العربي، ١٧/٧. والتفسير الموضوعي للقرآن، د. أحمد الشرقاوي، ٣٩/٥.

(٢) سورة النمل، الآية ٥٢.

العواقب الصالحة لأهل الخير، وكيف ينصرهم الله تعالى كما في قوله: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[(١)])[(٢)].

٢- دراسة سير العلماء والدعاة.

دراسة سير الدعاة إلى الله تعالى والصالحين وفي مقدمتهم إمامهم ﷺ وما فيها من الصبر والتضحية وتحمل المشاق والتزود بالعلم والحرص على هداية الناس تنير طريق الدعوة فتزيح العقبات والعوائق برضا واحتساب للأجر عند رب العالمين. يقول شيخ الحفاظ الإمام أبو حاتم الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أول سنة خرجت في طلب الحديث أقمت سبع سنين أحصيت ما مشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ، أما ما كنت سرت أنا من الكوفة إلى بغداد فما لا أحصي كم مرة ومن مكة إلى المدينة مرات كثيرة، وخرجت من البحرين من قرب مدينة صلا إلى مصر ماشيًا، ومن مصر إلى الرملة ماشيًا، ومن الرملة إلى بيت المقدس، ومن الرملة إلى عسقلان، ومن الرملة إلى طبرية، ومن طبرية إلى دمشق، ومن دمشق إلى حمص، ومن حمص إلى أنطاكية، ومن أنطاكية إلى طرسوس، ثم رجعت من طرسوس إلى حمص، وكان بقي علي شيء من حديث أبي اليمان فسمعت ثم خرجت من حمص إلى بيسان، ومن بيسان إلى الرقة، ومن الرقة ركبت الفرات إلى بغداد، وخرجت قبل خروجي إلى الشام من واسط، كل هذا في سفري الأول وأنا

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٨٧، ٨٨.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١/ ٦٤. ٦٧.

ابن عشرين سنة)[1]. إنه الإعداد وأنعم به من إعداد، وإنه الصبر والجلد، وإن هذه السير قامات سامقة في تاريخ العلم والدعوة.

ولتكن دراسة سير الدعاة تجمع بين دراسة سير الدعاة الأوائل عبر العصور الإسلامية، وكذلك دراسة مناهج الجماعات الإسلامية في العصر الحاضر دراسة نقدية يُستفاد من إيجابيتها ويُحذر من سلبياتها التي أدت إلى الكثير من المآسي. وإن مثل هذه الدراسة المتأنية تجمع بين كسب الخبرة، وشحذ الهمة، واستشعار أهمية الدعوة، وإشغال الفكر بها، والتهيئة النفسية لها.

رابعًا: الاهتمام بفقه المقاصد الشرعية.

اعتنت الشريعة الإسلامية بمقاصد عظمى أساسية أسماها العلماء الضروريات الخمس: حفظُ الدين والنفس والمال والعقل والنسب، ويندرج تحتها الكثير من المقاصد التي تحقق حفظ الكليات. وهذه الكلِّيات الخمس تعتبر بمنزلةِ الثوابت المطَّردة والقِيَم الراسخة في الدين الإسلامي الحنيف، وعند تأملها بعين العقل والبصيرة يتبين بما لا مرية فيه أن بها قِوام حياة الإنسان، وعليها مدارُ العمران، وبها ظهور الإسلام، لا يستقيم النظام باختلالها، ولا يستمر أمن بدون سلامتِها، وإذا انخرمت آل حالُ الأمّة إلى الفساد والضعف. والأدلة الشرعية على وجوب مراعاتها لا تحصى، وسيرة المصطفى ﷺ زاخرة بمراعاتها، ومن ذلك في حفظ الدين سده ﷺ كل باب يثير شبهة أو فتنة على دين الإسلام كما جاء في الحديث: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ فَقَرَأَهُ

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٣ / ٢٥٥.

النَّبِيُّ ﷺ فَغَضِبَ فَقَالَ: «أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى ﷺ كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»[١]، قال ابن بطال: (هذا النهي إنما هو عن سؤالهم عما لا نص فيه لأن شرعنا مكتفٍ بنفسه)[٢]. ويتبع حفظ الدين الحرصُ على درءِ كلِّ ما يُنفر من هذا الدين، أو يكون سببًا في عدم دخول الناس في الإسلام كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[٣]، ولم يقاتل النبيّ ﷺ المنافقين في المدينةِ مع أنهم آذوه وألبوا عليه العرب وتعاونوا مع اليهود لئلاّ يكون ذلك ذريعةً إلى تنفير الناس من الإسلام، لأن مصلحةُ التأليف أعظمُ من مصلحة القتل. ولذلك نجد في هذا العصر أن المتربِّصين بالإسلام وأهله يتصيَّدون كل تصرُّفٍ يصدُر من أبناءِ الإسلام ليتخذوه ذريعة للنيل من الإسلام وأهله.

وكذلك جاءت الشريعة بحفظ مقصد آخر وهو تحقيقُ وَحدة المسلمين والتأليف بين قلوبهم وجمعُ كلمتهم ومنع كلِّ ذريعة للتفرُّق والاختلاف والتنازُع كما قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[٤]، وقال تعالى:

---

(١) أخرجه أحمد، مسند المكثرين، رقم ١٤٦٢٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر.

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٠٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[١]، وقال ﷺ: «مَنْ خَرَجَ مِنْ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»[٢]، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الأمر: (إن الشارع أمر بالاجتماع على إمام واحد في الإمامة الكبرى وفي الجمعة والعيدين والاستسقاء وصلاة الخوف مع كون صلاة الخوف بإمامين أقرب إلى حصول صلاة الأمن وذلك سدًا لذريعة التفريق والاختلاف والتنازع وطلبًا لاجتماع القلوب وتألف الكلمة وهذا من أعظم مقاصد الشرع وقد سد الذريعة إلى ما يناقضه بكل طريق حتى في تسوية الصف في الصلاة لئلا تختلف القلوب وشواهد ذلك أكثر من أن تذكر)[٣]. ولذلك فالضرورةُ اليومَ داعيةٌ إلى التآلف والتعاون بين العلماء والحكّام وجميع طبقات المجتمع لتحقيق المقاصدِ الشرعيّة التي جاءت بها الشريعة الإسلامية.

أما في حفظ الأنفس فقد نهى ﷺ في الجهاد عن قتلِ النساء والصبيان ومن ليس مِن أهل القتال من الكفار حِفظًا للنفوس من الإهدار والإفساد، كما جاء في الحديث؛ أنه كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ:

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٤٦.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، رقم ٣٤٣٦.

(٣) أعلام الموقعين، ابن القيم، ٣ / ١٧٤.

«اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا..»[1]، وفي جانب المسلمين كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يراعي هذه المقاصد ومن ذلك قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (والذي نفسي بيده ما يسرُّني أن تفتَحوا مدينةً فيها أربعةُ آلاف مقاتِل بتضييع رجلٍ مسلم)[2]، وكان يكتب إلى عمّالِه يقول: (لا تستعمِلوا البراءَ بنَ مالك على جيشٍ من جيوش المسلمين؛ فإنه مهلكة من المهالك يقدم بهم)[3]. فجرأته وشجاعته قد تقوده إلى إقحام المسلمين في أماكن حربية خطيرة يكثر فيها قتلى المسلمين بسبب هذا الفعل فحذر من ذلك سدًا لهذه الذريعة.

خامسًا: الاهتمام بفقه النوازل.

فقه النوازل: هو معرفة الأحكام الشرعية للوقائع المستجدة فكل حادثة لم تكن معروفة على زمن الرسول ﷺ، فهي حينئذٍ نازلة تحتاج إلى نظر العلماء في القواعد الفقهية والمقاصد الشرعية ومن ثم إنزال الحكم الشرعي على الحادثة. وقد جاء في الحديث أن أبا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِمَرْوَانَ: «أَحْلَلْتَ بَيْعَ الرِّبَا؟. فَقَالَ مَرْوَانُ: مَا فَعَلْتُ. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَحْلَلْتَ بَيْعَ الصِّكَاكِ[5]؟ وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ بَيْعِ الطَّعَامِ حَتَّى

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء، رقم ٣٢٦١.

(٢) جامع الأحاديث، عبد الرحمن السيوطي، ١١٧/٢٦، رقم ٢٨٧٠٠، وعزاه إلى الشافعي في الأم، ٢٥٢/٤، والبيهقي، ٤٢/٩، برقم ١٧٦٨٦

(٣) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، ٣/ ٣٣٠.

(٤) فقه النوازل، د. محمد بن حسين الجيزاني، ٢٦/١.

(٥) الصِّكَاك: جمع صك وهو الكتاب، وهي رقاع كانت تكتب لهم فيها أرزاقهم فكانوا يبيعون ما في الصكاك قبل أن يستوفوه (انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي ١/ ٣٥٥. والنهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ٤٣/٣).

يُسْتَوْفَى. قَالَ: فَخَطَبَ مَرْوَانُ النَّاسَ فَنَهَى عَنْ بَيْعِهَا. قَالَ سُلَيْمَانُ: فَنَظَرْتُ إِلَى حَرَسٍ يَأْخُذُونَهَا مِنْ أَيْدِي النَّاسِ»[1]. فالتعامل بالصكاك حادثة جديدة على المسلمين ظهرت في خلافة مروان، فهي من المستجدات والنوازل الفقهية التي تحتاج إلى معرفة بفقه النوازل، وقد بينها علم من أعلام الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ووعاء من أوعية العلم أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهو أحفظهم للحديث، وأغزرهم علمًا، قد كان مفتيًا على الأمراء وغيرهم[2]، فبين حكم هذه النازلة، مبينًا علة التحريم في ذلك بقوله: نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ بَيْعِ الطَّعَامِ حَتَّى يُسْتَوْفَى. قال محمد تقي العثماني: (علة تحريم بيع الصَّكَاك لأنه بيعٌ قبل القبض)[3]. ومن الأمور المهمة علم الداعية إلى الله بفقه النوازل، خاصة في هذا العصر الذي كثرت فيه المستجدات التي يحتاج الناس إلى معرفة أحكامها بوضوح.

سادسًا: العناية بالدراسات البحثية.

تنتشر الكليات الشرعية في بلاد الحرمين وهي معروفة بسلامة نهجها ووسطيتها مما أهلها لتكون رائدة وقائدة للدعوة الإسلامية علمًا وعملًا. وكذلك العالم الإسلامي من أقصاه إلى أدناه يزخر بالجامعات والكليات الشرعية المؤهلة. ولهذا فإنه من المتحتم على هذه الصروح العلمية القيام بالدراسات البحثية المتعلقة بالدعوة إلى الله في جانبين:

١- **الدراسات التأصيلية:** ونعني بها التأصيل الشرعي المعتمد على

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب البيوع، باب بطلان بيع المبيع قبل القبض، رقم ١٥٢٨.

(٢) إكمال إكمال المعلم، الأبي، ٥ / ٣٤٦.

(٣) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني، ٧ / ٣٤٦.

نصوص الوحيين لعلم الدعوة إلى الله تعالى في تاريخها ومناهجها وفقهها ووسائلها وأساليبها تأصيلًا يقطع الخلاف ويؤلف القلوب بين العاملين في الدعوة. فإنه يظهر بين الفينة والأخرى تساؤلات وخلافات حول بعض المسائل الدعوية. ومن هذه التساؤلات وسائل الدعوة إلى الله أهي توقيفية أم اجتهادية؟ وهل يُشرع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المسائل الخلافية؟، وغيرها الكثير، فمثل هذه المسائل تحتاج إلى البحوث التأصيلية حتى يُتوصل فيها إلى كلمة سواء بقدر الإمكان، مع إثبات أن مسائل الاجتهاد سائغ فيها الخلاف بين علماء المسلمين.

٢- الدراسات الميدانية: الدراسات البحثية الميدانية يُعرف من خلالها معرفة أحوال المدعوين وتوجهاتهم وأهم الوسائل المؤثرة فيهم والاختلافات الطبيعية الموجودة بينهم وبناءً عليها يستطيع الداعية بما أوتي من فقه الدعوة إلى الله تحديد واختيار موضوع الدعوة ووسائلها وأساليبها المناسبة لحال المدعوين وطبيعتهم وحاجاتهم النفسية والعقلية والاجتماعية، فإن لغة الأرقام في هذه العصر من أقوى اللغات، فقد يُحدث ذكر الرقم الواحد أثرًا في النفوس لا تحدثه آلاف الكلمات.

ومثال ذلك من تحدث عن المرض العصري الإيدز وذكر الإحصاءات المرضية المخيفة لهذا الداء يكون تأثيرها على الأنفس أشد وقعًا من مجرد الحديث عن المرض مجردًا من الإحصاءات. ولو تحدث عن كون الحجاب الساتر للمرأة يحفظها من التحرش والمعاكسة وأثبت ذلك بقوله: أثبتت إحدى الدراسات الميدانية المنشورة بمجلة الدعوة أن ٨٦٪ من النساء اللواتي يلبسن العباءة على الكتف يتعرضن للمعاكسة.

ولو أُستثمر أسلوب المدح في الدعوة إلى الله والتعليم لكانت نتائجه إيجابية فقد أثبتت دراسة ميدانية أن المعلم الذي يستخدم أسلوب المدح مع طلابه يدفعهم إلى التعلم على العكس من أسلوب الذم[١].

ومن الدراسات المفيدة في الدعوة ما أثبتته دراسة على عينة شبابية في جامعة الملك سعود بالرياض أن ٤, ٦٠٪ منهم يحتاجون إلى أسلوب الترغيب أكثر من أسلوب الترهيب، وأجاب ٢, ٧٥٪ منهم أنهم بحاجة إلى دعاة يعرفون أحوال الشباب[٢].

إن مثل هذه الدراسات أصبحت مطلبًا هامًا في العمل الدعوي لكونها تلبي حاجات الدعوة، وتساعد على التعرف على حاجات شرائح المجتمعات المختلفة وما يناسب مستوياتهم الفكرية والعلمية والنفسية والاجتماعية، فقد ورد قول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله»[٣]، ويقول الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: (كِل لكلٍّ عبدٍ بمعيارِ عَقْلِه، وزِن له بميزان فِهمِه، حتى تَسلَم منه - أي من قوله وإنكاره - وينتفعُ بك، وإلا وقع الإنكارُ لتفاوتِ المعيار)[٤]. وفي ذلك دلالة على أن الدراسات الميدانية مساندة للدراسات التأصيلية ومثبتة لإعجاز القرآن والسنة والشاملة لكل حاجات الناس والصالحة لكل زمان ومكان.

---

(١) انظر: فن الإعداد والإلقاء، سامي الحمود، ص٢٢. ومجلة البيان، ج ١٢٧/ ٣٠.

(٢) الحاجات الدعوية للشباب، د. سليمان بن قاسم العيد، ص ٢٢٩ . ٢٨٥، ضمن بحوث ملتقى الدراسات الدعوية الواقع والأمل.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قومًا دون قوم، ١/ ٥٩، رقم ١٢٧.

(٤) إحياء علوم الدين، الغزالي، ١ / ١١٢.

المبحث الثالث

إتقان الجانب التطبيقي العملي (إتقان أدوات التنفيذ)

ورد الأمر بإتقان العمل صريحًا كما في قوله ﷺ: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه**»[1]، فهذا حديث عام يشمل كل عمل لأن كلمة (عملًا) وردت نكرة، ففي هذا أمر بإتقان ما يُكلِف به الإنسان نفسه أو يُكلِفه به ربه على سبيل القربة، أو يُكلِفه به صاحب العمل. والعمل الدعوي أشرف الأعمال التعبدية وأهمها، لذا يجب على الدعاة بذل الجهد في إتقان أعمالِهم الدعوية، ومن إتقان العمل الدعوي موافقتُه لمنهج الرسول ﷺ في الدعوة، والإتيان به على أكمل وجه. قال الرسول ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**»[2]، قال الأبي رَحِمَهُ اللَّهُ: (فيه أهمية الإجادة في الأعمال المشروعة، فحق من شرع في شيء منها أن يأتي به على الكمال واستيفاء الشرائط المصححة والمكملة، فإذا فعل ذلك قل عمله وكثر ثوابه)[3].

وإن أهم متطلبات إتقان الجانب التطبيقي العملي الدعوي الأمور التالية:

أولًا: حُسن التخطيط للدعوة إلى الله.

الخطة: الأمر أو الحالة، يقال جاء فلان وفي رأسه خطة، أي أمر قد

---

(١) أخرجه أبي يعلى، مسند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ٧ / ٣٤٩، رقم ٤٣٨٦. وصححه الألباني، في صحيح الجامع الصغير وزياداته، ١/ ٣٨٣.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح، رقم ٣٦١٥.

(٣) إكمال إكمال المعلم، الأبي، ٧ / ٤١.

عزم عليه، وفي الحديث قول عروة بن مسعود يوم الحديبية: «وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا»[١]، أي أمرًا واضحًا في الهدى والاستقامة. والتخطيط في علم الرسم والتصوير فكرة مثبتة بالرسم، أو الكتابة، تدل دلالة تامة على ما يقصد في الصورة، أو الرسم، أو اللوح المكتوب من المعنى، والموضوع، ويقال: وضعت الدولة خطة مدروسة للنواحي الاقتصادية، والتعليمية، والانتاجية[٢].

إن عصرًا كهذا العصر الذي تكثر فيه المسؤوليات، وتتعدد فيه المهام، وتكثر المشكلات، يؤكد حاجة الدعوة إلى التنظيم والتخطيط الذي ينبني عليه توزيع المهام والمسئوليات بين الدعاة، وتحديد الأهداف والغايات المؤمل الوصول إليها من خلال السير بموجب هذا التخطيط والتنظيم بعيدًا عن التخبط والعشوائية التي لا تتناسب مع أهداف الدعوة، ويستهجنها الناس. وبذلك فإن العمل الدعوي الذي لا يخطط له، وتنظم أعماله خاصة في هذا العصر فإنه لا يؤتي أكله كما ينبغي.

والتخطيط ليس بدعًا في الدعوة إلى الله تعالى، بل هو موجود في قصص الأنبياء، وتاريخ دعوة النبي ﷺ، وسيرته وسنته، ومن ذلك ما جاء في قصة فتح مكة، فقد رسم الرسول ﷺ خطة محكمة لدخول جيشه المظفر إلى مكة فاتحًا، فقد قسمه إلى مجنبتين، ووسط وعلى كل قسم قائد، وحدد المجموعة التي تكون معه وهم من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع العدو، ٢ / ٩٧٦، رقم ٢٧٣٤.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ١/ ٢٤٤.

ثم حدد النقطة التي سيجتمعون فيها وهي الصفا، ونفذ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هذه الخطة والتوجيه تنفيذًا محكمًا نهايته الفتح المظفر، يقول أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَبَعَثَ الزُّبَيْرَ عَلَى إِحْدَى الْمُجَنِّبَتَيْنِ، وَبَعَثَ خَالِدًا عَلَى الْمُجَنِّبَةِ الأُخْرَى، وَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى الْحُسَّرِ، فَأَخَذُوا بَطْنَ الْوَادِي وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي كَتِيبَةٍ. قَالَ: فَنَظَرَ فَرَآنِي فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ؟ قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ: «**لَا يَأْتِينِي إِلَّا أَنْصَارِيٌّ** زَادَ غَيْرُ **شَيْبَانَ**»فَقَالَ: «**اهْتِفْ لِي بِالْأَنْصَارِ**»، قَالَ: فَأَطَافُوا بِهِ، وَوَبَّشَتْ قُرَيْشٌ أَوْبَاشًا لَهَا وَأَتْبَاعًا فَقَالُوا: نُقَدِّمُ هَؤُلَاءِ فَإِنْ كَانَ لَهُمْ شَيْءٌ كُنَّا مَعَهُمْ، وَإِنْ أُصِيبُوا أَعْطَيْنَا الَّذِي سُئِلْنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**تَرَوْنَ إِلَى أَوْبَاشِ قُرَيْشٍ وَأَتْبَاعِهِمْ**» ثُمَّ قَالَ بِيَدَيْهِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى، ثُمَّ قَالَ: «**حَتَّى تُوَافُونِي بِالصَّفَا**». قَالَ: فَانْطَلَقْنَا فَمَا شَاءَ أَحَدٌ مِنَّا أَنْ يَقْتُلَ أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ وَمَا أَحَدٌ مِنْهُمْ يُوَجِّهُ إِلَيْنَا شَيْئًا، قَالَ: فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُبِيحَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ. ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ**»(١).

ثانيًا: التدريب.

إذا أريد لأي عمل أن يؤتي أكله، ويحقق أهدافه فلا بُد أن يسبقه تخطيط دقيق، وتدريب محكم. وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف الأعمال التعبدية وأجلها قدرًا ومكانة عند الله فهي أولى بالتدريب المستمر، وإذا كان الله قد أمر بإعداد القوة والتدريب عليها للجهاد في سبيله وإرهاب عدوه وصد عدوان المعتدين كما في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، رقم ٣٣٣١.

قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[١]، فإن الدعوة إلى الله تخرج من شاء الله من العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، فهي أولى بالإعداد الجيد والتدريب المستمر، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وتبليغ سنته ﷺ إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو، لأن تبليغ السهام يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن فلا يقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه)[٢]. ومما يُساعد على إتقان العمل الدعوي استمرارية تدريب الدعاة وإعدادهم الإعداد الجيد، والإفادة من الجديد وحسن التعامل مع المواقف الطارئة وسرعة اتخاذ القرار المناسب المعتمد على الدليل ومراعاة مصالح الدعوة والمدعوين، فإن حُسْنَ البلاغ من حُسْن الإعداد.

ومما يدل على أهمية التدريب في الدعوة إلى الله وإعداد الدعاة قول الرسول ﷺ: «**مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَظَانَّهُ**»[٣]، ففيه أهمية جاهزية الدعاة إلى الله تعالى، فإن المعنيين بالدعوة في التنظيمات الرسمية والمؤسسات الدعوية ينبغي لهم أن يعدوا الدعاة ويهيؤهم للانطلاق في الدعوة إلى الله في أي وقت، بحيث يكونوا على مستوى من الإعداد الجيد المبني على التدريب المسبق السليم، فإذا أُحتيج إلى بعثهم إلى أي مكان كانوا جاهزين، فقد كان أصحاب الرسول ﷺ

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

(٢) التفسير القيم، ابن القيم، ص ٤٣١.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط، رقم ٣٥٠٣.

مهيئين للبعث في أي وقت لأنهم كانوا يحظون بالتربية والتعليم المستمر من الرسول ﷺ، فكان يبعثهم للدعوة والتعليم، كما كانفي بعث معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى اليمن وغيره. **والتدريب الذي أعنيه هو:** مجموعة البرامج والأنشطة التي يتربى فيها المعنيون إيمانيًا وفكريًا، وكيفية تقديم ما يحملونه من فكر للناس بممارسة الوسائل والأساليب التي تحسن مهاراتهم، وتعينهم على حسن التعامل مع الناس بمختلف شرائحهم وأديانهم[1]. وفي رعي الأنبياء للغنم تدريب وتمرين عملي على الصبر وكيفية التعامل مع الناس. قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: (قال العلماء: الحكمة في إلهام الأنبياء رعي الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم الحلم والشفقة لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها.. وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها جبروا كسرها ورفقوا بضعيفها)[2]، وكذلك أهلها ورعاتها وصفوا بالسكينة كما قال ﷺ: **«الْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ وَالْإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ»**[3]، فمعالجتها ورعيها والتعامل معها يورث هذه الصفة الحميدة ويعززها.

و من أهم ما ينبغي تدريب الدعاة عليه الأمور الآتية:

١- التدريب في مجال العبادات.

العمل الدعوي بأمس الحاجة إلى التدريب في مجال العبادات، فالداعية يُقتدى به فيجب عليه إتقان أداء العبادات كما كان يؤديها الرسول ﷺ،

---

(١) انظر: التدريب وأهميته في العمل الإسلامي، د. محمد موسى الشريف، ص ٢٥، ٢٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ٤/٥٥٨.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن،٤/١٤٩٥، رقم ٣٤٩٩.

ففي الصلاة قال ﷺ: **«صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»**[١]، وفي الحج قال ﷺ: **«يا أيها الناس! خذوا عني مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد عامي هذا»**[٢]. وفي حديث الرجل المسيء صلاته درّبه النبي ﷺ حتى أجاد صلاته كما في الحديث: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ. فَرَدَّ. وَقَالَ: **«ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»**. فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: **«ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»**. ثَلَاثًا فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ فَعَلِّمْنِي. فَقَالَ: **«إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا»**[٣].

٢- التدريب في مجال الأخلاق والآداب.

الأخلاق منها الجبلي الذي طُبع عليه الإنسان، ومنها ما يمكن اكتسابه بالخبرة والمران والتدريب، فمن كان عجولًا فليتدرب على الأناة ويعود نفسه عليها، ومن كان غضوبًا فليتعود ويتمرن على الحلم، وهكذا، فإنه من الممكن اكتسابها بالمران والتدريب والتعود كما جاء في الحديث أن الرسول ﷺ قال لأشج عبد القيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ، الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ»**. قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمِ اللهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ قَالَ:

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة، رقم ٥٩٥.

(٢) صحيح الجامع، الألباني، ٢ / ١٧٤، رقم ٧٨٨٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات، ١ / ٢٦٣، رقم ٧٥٧.

«بَلْ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا». قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ[(١)]. قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (ترديده السؤال وتقريره عليه يُشعر بأن في الخلق ما هو جبلي وما هو مكتسب)[(٢)]. وقد كانت الأخلاق الإسلامية الرفيعة التي حملها المسلمون الأوائل سببًا في دخول الناس دين الله أفواجًا، فحري بالدعاة إلى الله أن يُروا الناس أخلاق الإسلام في جميع تصرفاتهم وأفعالهم.

٣- التدريب على إتقان استخدام الوسيلة الدعوية.

إن عصر التقنية الحديثة يحمل من الوسائل ما لا يُحصى، فسهلت الوصول إلى أقصى بقاع الأرض عبر اتصال كلمح البصر، أو ساعات معدودات على متن طائرة أو سفينة أو سيارة فيقابل الإنسان الآخر ويراه حقيقة، أو يتحدث معه صوتًا وصورة، فحري بالدعاة أن يتدربوا على هذه الوسائل، ويفقهوا استخدامها، ويبتكروا من الأساليب ما يناسب أهل هذا العصر التقني، وعبر هذه الوسائل الحديثة. وحري بالمؤسسات الدعوية الرسمية والخيرية أن تولي مسالة التدريب على هذه الوسائل جل اهتمامها لتؤتي الدعوةُ إلى الله أُكُلَها بإذن ربها، فالتدريب ارتقاء دائم، وانتقال من طور إلى طور، ومواكبة لما يناسب الزمان والمكان[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في قبلة الرجل، ٤ / ٣٥٧، رقم ٥٢٢٥. والبخاري، في الأدب المفرد، باب التؤدة في الأمور، ص ٢١٩ من صحيح الأدب المفرد، الألباني.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ١٠ / ٤٥٩.

(٣) انظر: التدريب وأهميته في العمل الإسلامي، د. محمد موسى الشريف، ص ٢٦.

٤- التدريب على إتقان استخدام الأسلوب الدعوي.

أسلوب الدعوة إلى الله تعالى فن يوفق الله إليه من يشاء، والتدريب على أساليب الدعوة إلى الله من الأهمية بمكان كما قال ﷺ لمعاذ رضي الله عنه عندما بعثه إلى اليمن: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ»[١]، مما قاله العلماء في تعليقاتهم على هذا الحديث: قال له النبي ﷺ ذلك حتى يتأهب ويختار من الأساليب ما يناسب حالهم لأن مخاطبة العالم ليست كمخاطبة الجاهل، وهم أهل كتاب يجيدون الجدل فينبغي إتقان أسلوب الجدل[٢]. وعهد ﷺ إلى بعض الصحابة بالقضاء والفتوى ولم يرد من ذلك إلا التمرين على الاجتهاد، لأنه ليس لأحد أن يفتي أو يقضي بحضرة الرسول ﷺ[٣].

٥- التدريب على إتقان الحوار.

الحوار: حديث بين طرفين أو أطراف عدة، لعرض وجهات النظر بينهم، حول مسألة متنازع عليها، بقصد التوصل إلى حل مناسب، أو نتيجة مناسبة، يتم فيه تبادل الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء، والبعد عن الخصومة والتعصب[٤].

والحوار ليس جديدًا وإنما هو أسلوب أتى به القرآن الكريم، فقد سلك القرآن أسلوب المحاورة وذلك أسلوب لم يكن معهودًا للعرب فكان مجيئه

---

(١) المرجع السابق، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء، ٢/ ٥٤٤، رقم ١٤٩٦.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٣/ ٢١.

(٣) انظر: الفكر السامي، الحجوي الثعالبي، ١ / ١٧٣. وانظر: التدريب وأهميته في العمل الإسلامي، د. محمد موسى الشريف، ص٨٣-٨٥.

(٤) الحوار آدابه ومنطلقاته، محمد شمس الدين خوجة، ص ١٧.

في القرآن ابتكار أسلوب جديد في البلاغة العربية شديد التأثير في نفوس أهل اللسان[١].

ومن نماذج حوارات القرآن حوار الخالق مع الشيطان كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾[٢]، والسنة مليئة بحوارات الرسول ﷺ مع الكفار والمؤمنين. فالحوار أسلوب دعوي ينبغي تدريب الدعاة على أصوله الهادفة، وآداب التعامل مع المخالف، والتثبت وعدم الاستعجال، والتفريق بين الأصول والفروع، وذلك من خلال المدارسة والنقاش وإبداء الرأي بعد دراسة حوارات النبي ﷺ مع أصحابه ومع المخالفين، مع التفريق بين الحوار المنضبط حتى وإن اختلفت المبادىء وبين الاختلاف المذموم.

ثالثًا: التطوير.

التطور التنقل من هيئة وحال إلى غيرهما[٣]. والتطوير: هو تلك الجهود المخططة التي تمتد إلى جميع مستويات المؤسسة التنظيمية بهدف زيادة فعاليتها وحيويتها ويتولى القيام بتلك الجهود عامل التغيير أو العامل

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١/٦٦.

(٢) سورة ص، ٧٥. ٨٥.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص ١٨٣.

السلوكي بمساعدة قيادات المؤسسة العليا[١].

ومراعاة التطوير تساعد على استمرارية العمل والتأقلم مع ظروف الحياة وتغيراتها واستمرارية إعمار الأرض كما يريد الله، وهذا واضح في قول الله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[٢] ففي إمداد الله لهم بالأموال التي يعمرون بها الأرض، والبنين الذين يعينونهم على ذلك ويكونون زينة لهم في الدنيا، ويتوارثون فيها ويخلف بعضهم بعضًا في عمارتها دليل على أهمية التطوير والتغيير كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[٣].

ومما يساعد على التطوير الحرص على تبادل مختلف الأفكار والتجارب والطرائق الدعوية عبر شبكة الإنترنت بين المهتمين في هذا الشأن، لما يترتب على ذلك من إمكانية التطوير، وزيادة الفعالية، وتفادي الأخطاء، ومعالجة نقاط الضعف[٤].

ويمكننا تحديد مفهوم التطوير في الدعوة إلى الله: أنه التغيير والتجديد المستمر في أدوات تنفيذ الدعوة إلى الله وأساليبها ووسائلها، والمستفيد من تقنيات العصر ومراعاة أحوال المدعوين في سبيل الإنجاز مع المحافظة على الثوابت، والمعتمد على الدراسات العلمية وتقييم أدوات التنفيذ.

وتبدأ عملية التطوير بالتعرف على الإيجابيات وتعزيزها، وتشخيص

---

(١) انظر: المبادىء الإدارية، هناء يماني، ص ٤٩. وحتى لا تكون كلًا، د. عوض القرني، ص ٩١.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان ٦، ٧.

(٣) سورة يونس، الآية ١٤.

(٤) انظر: الدعوة إلى الله من خلال الإنترنت، ص ٢٤.

النقص بالتعرف على السلبيات وتفاديها، والاستفادة من تجارب الآخرين وخبراتهم، ومواكبة تغيرات العصر فالأجيال تتعاقب وتتغير طبائعهم وأفهامهم وأفكارهم وعوائدهم. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والعوائد والأحوال وذلك كله من دين الله)[1].

ويمكننا تحديد أهم أدوات التطوير في الجوانب الآتية:

١- تقييم الأداء.

التقويم: عملية إصدار الحكم على قيمة الأشياء أو الأشخاص أو الموضوعات، ويشمل كل جوانب العملية المراد تقييمها، كما يتضمن معنى التحسين أو التعديل أو التطوير الذي يعتمد على أسس ومعايير محددة سابقًا، وهو وسيلة يستعان بها لتشخيص الواقع وقياس ما تم تحقيقه لتسديد نواحي الضعف، وتعزيز جوانب القوة[2].

فمثلًا لو أقمنا برنامجًا دعويًا في مكان وزمان محددين فينبغي أن نطرح عدة تساؤلات بعد تنفيذ البرنامج في استبيان يوزع على المعنيين بالأمر من الدعاة والمدعوين كأن نقول مثلًا: ما مدى تأثر المدعوين بالبرنامج؟

وما مدى إقبالهم عليه؟

وهل يساوي الجهد والمال المبذولين النتائج المتحققة؟

وهل الناس بمستوى واحد من التفكير وعوامل التأثر؟

وهل يلبي البرنامج جميع حاجات المدعوين الفكرية والنفسية

---

(١) إعلام الموقعين، ابن القيم، ٤ / ٢٢٤.

(٢) تقويم طرق تعليم القرآن في التعليم العام والتعليم الجامعي، د. محمود الخطيب، ص ٧.

والترويحية؟.

والإجابة على مثل هذه التساؤلات تساعد على تحديد مستوى البرنامج وتفادي الأخطاء المستقبلية وتطوير البرنامج نحو الكمال، وهكذا في جميع برامج الدعوة، مع العلم أن طرق التقويم ليست محصورة في الإستبانة، فقد تكون بقياس نتائج البرنامج وثمراته المستمرة، أو من خلال انطباعات الناس المشاهدة أثناء تقديم البرنامج، وغير ذلك. وفي القرآن الكريم ما يشير إلى تقييم نتيجة العمل الدعوي كما في قوله تعالى: ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾[1]، أي تنح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه، ليكون ما يقولونه بمسمع منك، وفي أمره بالتولي حسن أدب ليتنحى حسب ما يتأدب به مع الملوك، وكن قريبا حتى ترى مراجعتهم؛ وتعلم ماذا يجيبون وماذا يردون من القول[2]. وهذا الكتاب فيه بسم الله الرحمن الرحيم والدعوة إلى الله لملكة سبأ وقومها، وتنحي الهدهد ليعرف نتيجة تأثرهم بكتاب سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وفي ذلك تقييم لمدى تقبلهم للدعوة وتأثرهم بها.

٢- قبول النقد.

قال ابن فارس: نَقَدَ: النون والقاف والدال أصل صحيح يدل على إبراز شيء وبروزه، وتقول العرب ما زال فلان ينقد الشيء إذا لم يزل ينظر إليه. والإنسان يَنقد الشيء بعينه وهو مخالفة النَّظر لئلاً يُفطَن له. كأنّما شُبِّه بنظَرِ الناقِدِ إلى ما يَنقُدُه، والنَّقْدُ: تَمْييزُ الدَّارهِم وإِخراجُ الزَّيْفِ منها.

---

(١) سورة النمل، الآية ٢٨.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٣/١٩١. والكشاف، الزمخشري، ٥/٧٥.

والنقد: المناقشة، يقال: ونَقَدَ الكَلامَ ناقَشَه، ونَاقَده في الأَمر نَاقَشَه ومنه الحديث «إِنْ نَاقَدْتَهم نَاقَدُوكَ» وفي رواية: «إِن نَقَدْتَ النَّاس نَقَدُوكَ، وإِن تَرَكْتَهم تَركُوك» معنى نَقَدْتَهم أي عِبْتَهم واغْتَبْتَهم قابلُوك بمثله وهو من قولهم نَقَدْتُ رَأسَه بإِصْبَعي أي ضَرَبْتُه[١].

فالنقد حينئذ: هو تمحيص الأفعال والأخبار، وإبداء وجهات النظر حولها، بشرط أن يكون هذا التمحيص مبنيًا على قواعد علمية ثابتة.

وفي قول الرسول ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ**»[٢]. بيان أن العلاقة بين المؤمن وأخيه المؤمن كالعلاقة بين المرآة والإنسان الواقف أمامها. فلو تأملنا هذه الصورة التشبيهية النبوية لوجدنا أن هناك ثمة صفات مهمة ينبغي أن يتصف بها الإنسان المؤمن الواقف أمام المرآة وهو المنقود، وكذلك المؤمن المشبه بالمرآة وهو الناقد. فالمرآة لا تكذب، ولا تجامل، ولا تشتم، ولا تظهر العيوب للغير، أي لا تفضح، ولا تزيد شيئًا على ما تراه. وكذلك يجب على المؤمن الذي يقدم النقد أن يكون لأخيه المؤمن مثل هذه المرآة.

أما المؤمن الواقف أمام المرآة المنقود فينبغي له أن يستعد ويتهيأ نفسيًا لقبول النقد كما يستعد ويتهيأ للوقوف أمام المرآة ويصلح هيئته، ولا يلوم المرآة على إظهارها للعيوب، فلا يكسرها، وكذلك ينبغي للمؤمن ألا

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٥/٤٦٧، ٤٦٨. وتهذيب اللغة، الأزهري، ٩ / ٥٠. وتاج العروس، الزبيدي، ٩/ ٢٣٠. ٢٣٥.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في النصيحة والحياطة، رقم ٤٢٧٢. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٤ / ٤١٨.

يعتدي أو يلوم الناقد الصادق، وأن يسعى لإصلاح العيوب التي أظهرتها المرآة. وكذلك ينبغي للمؤمن أن يصلح الأخطاء التي أظهرها له أخوه المؤمن. إن مما يحقق الدقة في الآراء نقدها، ونتاج بلا نقد يعد خداجًا[١]، تنقصه الدقة والتحقيق، لذلك ينبغي أن تتسع صدورنا للنقد، ولا نعده عيبًا في المنقود[٢]، إلا إذا أصر على خطاه، الذي يبينه الدليل الصحيح الصريح، أو يعارض ثقافة المجتمع الثابتة.

إن لكل عمل هدف وغاية، وأشرف الأعمال الدعوة إلى الله تعالى، وغايتها وهدفها إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وبما أنها كذلك فلابد من تقديم الدعوة إلى الله في أحسن صورة، ولا يتحقق ذلك إلا باتباع المنهج النبوي في الدعوة إلى الله، وإن من أسباب تحقق ذلك نقد العمل الدعوي حتى يُقدم في أحسن صورة على المنهج النبوي.

فبالنقد الهادف البناء تُكتشف الأخطاء وتصحح، وفيه حماية لمنهج الأنبياء في الدعوة إلى الله من الانحراف، وفيه تقويم الأداء وتصحيحه، وفيه حماية للدعوة من تربص الكائدين والمنافقين.

٣- متابعة التطور التقني والإفادة منه.

لا يُنكر ما فعلته الإذاعات المسموعة، ثم المرئية بلونها الأسود ثم الملون من المفاسد في المجتمعات المسلمة، ثم الأفلام والسينما وأشرطة الكاسيت التي نقلت للأمة ثقافة وعادات سيئة. ثم لما وجهت للخير

---

(١) الخداج: الناقص، يقال: خدجت الناقة إذا ألقت ولدها قبل النتاج. (انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/ ١٦٤).

(٢) انظر: من جهاد قلم في النقد، ابن خميس، ص ٥.

وأخرجت بطرق جذابة واعتُني بمحتوياتها استفاد منها الناس وساعدت في نشر دين الإسلام والأخلاق الفاضلة. ومع تسارع الزمن جاءت القنوات الفضائية والإنترنت ووسائل الإتصال الأخرى كالجوال وما يحمله من رسائل الوسائط والبلوتوث صوتًا وصورة تحمل شتى طرق الجذب والإثارة، ويتطور أداؤها تطورًا سريعًا. إن هذه الوسائل المتطورة والمتسارعة في ظهورها وتحديثها تتطلب من القائمين على الدعوة مواكبتها والإفادة منها وتوجيهها الوجهة السليمة، واستثمارها في الجوانب الإدارية والدعوية على حد سواء. كما ينبغي إعداد الدعاة إعدادًا جيدًا لاستخدام هذه التقنيات حتى ترقَّى مداركُهم وتظهرَ جهودُهم في أجمل المظاهرِ التي أرادها هذا الدين، ولتنبع أفعالهم من روحِ الإسلام وتنساق من مقاصِده وتوفِي بحاجات الدّعوةِ وتواكِب متطلبات الزمان وتغيُّرات العصر المتسارعة.

٤- مراعاة الفوارق والمستوى والتخصص فيوضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

إن مما يُعد من أدوات التطوير مراعاة الفوارق والمستوى ومقدار ما يقدمه الداعية للدعوة إلى الله، ومن ثم وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وفق شخصيته ومواهبه وقدراته، فإن متغيرات العصر تتطلب اختيار المؤهلين. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك كما في قول الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[١]. فإن هذا يوجب الدقة في اختيار المسؤول

---

(١) سورة النساء، ٩٥.

والقائد، ومراعاة توافق القدرات مع المهمة، وأنه لا مجاملة في الاختيار، ومما ينبغي مراعاته في المسؤول بروز الجانب العلمي الذي يمكنه من الدعوة والاستدلال، ورد ما يعترضه من شبه، وبروز الجانب القيادي، بحيث يكون أبرز قومه أو مجموعته، فيكون ذا حكمة وحنكة، وسداد رأي، وحلم ومداراة، وحسن تدبير إلى جانب الشجاعة في قول الحق، ففي الحديث: أن أبا ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ. إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ**[١] **وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا**»[٢]. وأبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يعاب عليه دين ولا خلق ولا شجاعة، لكن تفرس فيه الرسول ﷺ ضعفًا أو قصورًا في الجانب القيادي لا يؤهله للإمارة والقيام بواجباتها فصارحه بذلك. قال المأمون في اختيار الوزير: (له صولة الأمراء، وأناة الحكماء، وتواضع العلماء، وفهم الفقهاء، إن أحسن إليه شكر، وإن ابتلي صبر، لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده)[٣].

فالأمارة والقيادة ليست منوطة فقط بالقدرات العملية، وإنما للقدرات النفسية والأخلاقية كذلك، فقد يكون الداعية أو القائد مناسبا من حيث قدراته العلمية، لكن من حيث قدراته الأخرى غير مناسب، وهذا لا يقدح فيه بأي حال من الأحوال. فهذا البراء بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال فيه النبي ﷺ: «**كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ مِنْهُمُ الْبَرَاءُ بْنُ**

---

(١) الخزي: الذل والمهانة، وتكون بمعنى الفضيحة. (انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/ ١٧٩. ومشارق الأنوار، القاضي عياض، ١/ ٢٣٤. والمفصح المفهم والموضح الملهم، ابن هشام، ص ١٠٤).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، رقم ١٨٢٥.

(٣) الأحكام السلطانية، الماوردي، ص٢٢.

مَالِكٍ»[١]، فبرغم أنه مستجاب الدعاء إلا أنه لا يصلح لقيادة الجيش لفرط شجاعته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد كان شجاعًا شديدَ الجراءة، له في الحرب مكانة، يقتحم المهالكَ فمنع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ توليته قيادة الجيش حتى لا يكثر القتل بين صفوف المسلمين. وكذا الأمر في المؤسسات الدعوية، قد يكون الرجل على علم شرعي، لكنه غضوب لا يصلح للعمل التربوي الدعوي، ونحو ذلك.

وبناءً على اختلاف المهام واختلاف القدرات يكلف كل واحد بما يوافق قدراته والمهمة المكلف بها. فمن أجاد فن الخطابة يكون خطيبًا، ومن كان فظًا غليظًا يُكلف بعمل بعيد عن التعامل مع الناس ومخالطتهم، ومن عُرف بعلمه وحكمته ولينه يوجه إلى الملأ من الأمراء والوجهاء وعلية القوم، ومن عُرف بقوة الإقناع يوجه إلى أصحاب الجدل، ومن كان ماهرًا في الأعمال الإدارية يكلف بالإدارة، فكل على ثغر، وهكذا فقد كان النبي ﷺ يراعي هذه الفوارق والقدرات والتخصصات، من ذلك قوله ﷺ: **«أراف أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقضاهم علي، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أُبي، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أمينا وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»**[٢].

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب البراء بن مالك، رقم ٣٧٨٩.

(٢) صحيح الجامع، الألباني، ١ / ٨١، رقم ٨٦٨.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على أفضل خلق الله، وبعد:

فقد أنعم الله علي بإتمام هذا البحث فله تمام الشكر وأكمله، وأسأله أن ينفع به، ويعظم الأجر والمثوبة لكاتبه وقارئه ومن استفاد منه. ولا أدعي فيه الكمال، ولكني بذلت فيه جهدي وفكري مع اعترافي بالتقصير والنقص البشري، فما كان فيه من صواب فذلك فضل الله وتوفيقه، وما كان فيه من نقص أو تقصير فهو مني وأسأله العفو والغفران. وفي ختامه ألخص أهم نتائجه وتوصياته في الآتي:

١- أن الحاجة إلى إتقان الدعوة إلى الله تعالى ضرورة دعوية يحتاج إليها الدعاة بصفة خاصة والعمل الدعوي بعامة، كون الإتقان صمام أمان سلامة العمل الدعوي بأكمله من كيد الكائدين ودعاوى المناوئين والمنافقين والكافرين.

٢- أنه بإتقان العمل الدعوي تتحقق الموافقة الصحيحة للمنهج النبوي في الدعوة إلى الله، وتبعًا له تضيق دائرة الاختلاف وتتسع دائرة الاتفاق والاجتماع والائتلاف، وتلك غاية دعا الله إليها كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[1].

٣- أن أعظم مقاصد دين الإسلام حفظ الدين، وقرر علماء الأمة أن أول الضروريات وأهمها حفظ الدين، فالأمة بأسرها مأمورة بالمشاركة في

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

حفظ الدين وسد كل ثغرة يؤتى الدين من قبلها، وإن إتقان العمل الدعوي من أهم أسباب حفظ الدين، ومن هنا تزداد وتعظم أهميته.

٤- أن التطور التقني والتكنولوجي المعاصر يُحتِّم على القائمين على العمل الدعوي من الرسميين والمحتسبين إعداد الدعاة إعدادًا علميًا وعمليًا يمتطي صهوة هذه الوسائل التقنية ويقدم الإسلام من خلالها بصورته الناصعة الصافية.

٥- أن حاجة الداعية إلى الإعداد العلمي النظري تتساوى مع حاجته إلى الإعداد العملي على حد سواء، لأن الجانب العملي يمثل التطبيق الحقيقي للدعوة إلى الله، وبيان لمحاسن الإسلام وأخلاقه وتعاملاته مع الناس.

٦- أنه يجب على القائمين على العمل الدعوي استمرارية التطوير والتدريب وتقويم الأداء بما يلبي حاجات الدعوة إلى الله ويرقى بمستواها تمشيًا مع حاجات العصر ومتطلباته المستمرة والمتجددة.

وفي الختام أسأل الله الذي خلقنا من العدم، وأسبغ علينا وافر النعم، وعلمنا ما لم نكن نعلم، أن ينفعنا بما جاد به الفكر وسطره القلم، ويغفر لنا ما زل به الفهم أو حاد به القلم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

منهج السلف في نقد البدع ودعوة أهلها

منهج السلف في نقد البدع ودعوة أهلها

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعـد:

فإن الدعوة إلى الله تعالى مرتبطٌ قبولُها بموافقة نهج النبي ﷺ في دعوته، مهتدية بسنته، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1]. أي هذه طريقته ومسلكه وسنته، يدعو إلى الله على بصيرة ويقين، وبرهان عقلي وشرعي[2]. والصحابة رضي الله عنهم هم المتلقون مباشرة عن الرسول ﷺ، وفهمهم هو الفهم الأصوب، ويأتي بعدهم في الفضل والمكانة والفهم التابعون، وأولئك القوم من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين هم السلف، أكثر المؤمنين إقتداءً بنبيهم، ومنهجهم هو المنهج الأكثر موافقة لمنهج النبي ﷺ.

لذلك وجب على الباحثين سبر أغوار هذا المنهج في جميع مسائل العبادة والدعوة، وتقديمه عذبًا زلالًا للمسلمين رجاء موافقة الصواب في

---

(١) سورة يوسف، ١٠٨.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير ٢/٤٩٦.

العلم والعبادة والدعوة، فإنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

وبما أن الإسلام واضح المنهج في عقيدته وعباداته ومعاملاته وتعاملاته وآدابه وأخلاقه، لأنه منهج مستنبط من الكتاب والسنة وفهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فإن وضوح هذا المنهج ناتج عن استنارته بنور الوحي، مع إعطاء العقل والتفكير حقه الذي منحه الله إياه بما لا يتعارض مع النقل وشريطة تبعيته للنقل.

وإن هذا البحث يحاول استقراء بعض نصوص الوحي، وتأمل فهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين في القرون المفضلة وتطبيقاتهم العملية في نقد ودعوة من خرج عن الفهم الصحيح للعبادة، وأحدث فيها ما ليس منها، وكيفية تعاملهم مع تلكم التجاوزات، لنصل إلى المنهج الصحيح الذي اتخذه السلف في مسألة نقد البدع ودعوة أهلها، ليقيننا **أولًا**: أن تنحية فهم الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ للكتاب والسنة في العلم والعمل يؤدي إلى نشوء الابتداع في الدين، **وثانيًا**: أن هذا المنهج الذي نحاول معرفته ضمن ذلكم المنهج الإسلامي الكلي الشامل الواضح الصواب، فنحن ندور في فلكه، ولا نخرج عن مساره بإذن الله تعالى. وجاءت خطة هذا البحث على النحو الآتي:

المقدمة، ثم سبعة مباحث هي:

المبحث الأول: التعريف بمفردات عنوان البحث

المبحث الثاني: مشروعية النقد الهادف وأهميته في الدعوة والإصلاح.

المبحث الثالث: الالتزام بالمنهج النبوي العلمي التربوي.

المبحث الرابع: الالتزام بالمنهج النبوي العملي في الوقاية من البدع، ونقدها.

المبحث الخامس: أهم معالم منهج السلف العملي في نقد البدع والرد على المخالف.

المبحث السادس: التفريق بين قاعدتي الأصل في العبادات المنع، والأصل في الأشياء الإباحة.

المبحث السابع: أقوال بعض السلف في التحذير من أهل البدع، والرد عليهم.

ثم نتيجة البحث وتوصياته.

فها هو بين يدي القاري الكريم ما كان فيه من صواب فبتوفيق الله أولًا وآخرًا، وما كان فيه من خطأ وتقصير فهو مني، وهو طبع البشر، وأسأل الله العفو والغفران، وأسعد بمن قدم لي نصحًا أو تصويبًا فالحق أحق أن يتبع. والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول

التعريف بمفردات عنوان البحث

أولاً: تعريف المنهج.

ثانيًا: تعريف السلف.

ثالثًا: تعريف النقد.

رابعًا: تعريف البدعة.

خامسًا: تعريف الدعوة إلى الله.

المبحث الأول
التعريف بمفردات عنوان البحث

أولًا: تعريف المنهج

النهج والمنهج: الطريق الواضح، ونهج لي الأمر: أوضحه، والجمع المناهج. وأنهج الطريق، أي استبان وصار نهجًا واضحًا بينًا.

ونهجت الطريق: إذا سلكته. وفلان يستنهج سبيل فلان: أي يسلك مسلكه.

والمنهاج: الطريق الواضح كما في قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(١)(٢).

المنهج: الطريق المنهوج أي المسلوك(٣).

لكنا إذا أردنا تحديد مفهوم المنهج المراد دراسته فلا يمكننا ذلك إلا بإضافته، فيقال المنهج الدراسي، والمنهج التعليمي، ومنهج الدولة، ومنهج الجماعة، ومنهج البحث العلمي... وهكذا. وهذا تعريف منهج البحث العلمي اصطلاحًا:

هو طريقةُ تنظيم المعلومات، بحيث يكون عرضها عرضًا منطقيًا سليمًا، متدرجًا بالقارئ من السهل إلى الصعب، ومن المعلوم إلى المجهول، منتقلًا من المسلمات إلى الخلافيات، متوخيًا في كل ذلك انسجام الأفكار وترابطها(٤).

---

(١) سورة المائدة، الآية ٤٨.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة نهج، ٥/ ٣٦١. ولسان العرب، ابن منظور، ٢/ ٣٨٣. والمعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ٢/ ٩٥٧.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص ٦٨١.

(٤) كتابة البحث العلمي، د. عبد الوهاب أبو سليمان، ص ٢٨.

وما نريده هنا هو المنهج الذي اتخذه السلف في نقد البدع ودعوة أهلها.

ثانيًا: تعريف السلف:

السلف في اللغة:

السَّلَفُ: كل شيءٍ قَدَّمْتَه فهو سَلَفٌ والفعل سَلَفَ يسلُفُ سُلُوفًا.

والقومُ اذا أرادوا أن يَنْفِروا فمن تقدم من نَفيرهم فسَبَقَ فهو سَلَفٌ لهم. والأمَم السالفة الماضية. وكل ما تقدمك من آبائك وذوي قرابتك في السن أو الفضل وكل عمل صالح قدمته فهو سالف لك[١].

يقول ابن فارس: السين، اللام، والفاء، أصل يدل على تقدم وسبق، ومن ذلك السلف الذين مضوا، والقوم السلاف المتقدمون[٢].

السلف في الاصطلاح: هم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والتابعون لهم بإحسان، المتمسكون بالقرآن والسنة على فهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[٣]. إذًا سلف الأمة الإسلامية هم صحابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهم الذين اختارهم الله لصحبة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عاصروا زمن النبوة، ونزول الوحي، ثم نقلوا إلينا الدين كما أُنزل، فهم لكل خير أقرب، وعن كل شر أبعد، وعليهم كمل الله الدين، وأمرنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأخذ الدين عنهم كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»**[٤]، ويلحق بهم

---

(١) انظر: العين، الفراهيدي، ٧/٢٥٨، المعجم الوسيط، ١/٤٤٤.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣/٩٥.

(٣) موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبد الرحمن المحمود، ١/٢٢.

(٤) رواه ابن ماجه، المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء، رقم ٤٣. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ١/١٣.

التابعون وتابعوهم من أهل القرون المفضلة، التي أثنى عليهم النبي ﷺ كما في قوله ﷺ: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» قَالَ عِمْرَانُ لَا أَدْرِي أَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدُ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ وَيَنْذِرُونَ وَلَا يَفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ»[١]. فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خير الأمة، نقلوا الوحي، والتابعون أخذوا عنهم، فالاقتداء بمنهجهم ديانة، وبهذا المنهج يتحقق الصلاح، كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: (لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها..، وقال: ما لم يكن دينًا في زمن محمد ﷺ وأصحابه فإنه لا يكون دينًا إلى قيام الساعة)[٢].

والعلماء يطلقون مصطلح السلف على من كان على منهج الرسول ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في العلم والعقيدة والعبادة والعمل والدعوة. فمن كان كذلك فهو سلفي المنهج.

يقول ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (اعلم أن كلمة السلف تعني السلف زمنًا، والسلف معتقدًا، فإن أريد بالسلف معتقدًا صح أن نقول لمن هم موجودون الآن على مذهب السلف؛ نقول إن هؤلاء سلف، وإذا قلنا إن السلف هم السابقون زمنا فإنه يختص بالقرون الثلاثة المفضلة، الصحابة والتابعون وتابعوا التابعين، وكل الأمرين قد استعمله أهل العلم، فتارة يريدون بالسلف من كان على طريقة السلف وإن كان متأخرًا زمنًا، وتارة يقولون – أي يريدون بالسلف- القرون الثلاثة المفضلة، ولهذا تجدهم يقولون مثلًا:

---

(١) رواه البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور، رقم ٢٤٥٧.

(٢) شرح سنن أبي داود، عبد المحسن العباد، ١٢ / ٢٩٨.

وهذا ما ذهب إليه سلف الأمة وأئمتها، ويريدون بالسلف هنا القرون الثلاثة المفضلة)[١]. وخلاصة ذلك أن مدلول السلف الزماني هم القرون المفضلة الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم والتابعون وتابعوهم، والموضوعي يراد به من نهج نهجهم في العلم والعقيدة والعبادة والعمل والدعوة وإن تأخر عنهم زمانًا.

ثالثًا: تعريف النقد

تعريف النقد في اللغة: وردت كلمة نقد في معاجم اللغة بعدة معانٍ منها:

١- قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: النون والقاف والدال أصل صحيح يدل على إبراز الشيء وإظهاره.

٢- وتأتي بمعنى مخالفة ومتابعة النظر إلى الشيء لئلا يُفطن له. يقولون: ما زال فلان ينقد بصره إلى الشيء إذا لم يزل ينظر إليه، والإنسان ينقد الشيء بعينه: هو مخالسة النظر لئلا يفطن له.

٣- وتأتي بمعنى التميز والتمحيص: تميز الدراهم، وإعطاؤها، وأخذها يسمى: الانتقاد. والنقد: تميز الدراهم وإخراج رديئها من سيئها.

٤- وتأتي بمعنى لدغ الحية أو العقرب يقال: فلان نقدته حية إذا لدغته.

٥- وتأتي بمعنى المناقشة: يقال ناقده في الأمر أي ناقشه منه الحديث، وورد في الأثر على ذلك قول: «**إن ناقدتهم ناقدوك**»، «**إن نقدت الناس نقدوك، وإن تركتهم تركوك**»[٢]، معنى نقدتهم أي عبتهم واغتبتهم قابلوك بمثله وهو من قولهم نقدت رأسه بإصبعي أي ضربته.

---

(١) الدرة العثيمينية بشرح فتح رب البرية بتلخيص الحموية، ابن عثيمين، ص ١٥٠.

(٢) علل الحديث، ابن أبي حاتم، ٢/ ٤٢١.

٦- وتأتي بمعنى الخيار: يقال: فلان من نُقادة قومه أي من خيارهم، بمعنى أنه لا يحتمل النقد إلا من كان من خيار القوم لأن خيار القوم يقبلون الحق ويتركون الباطل[١].

بعد النظر في المعنى اللغوي يمكننا تحديد معنى النقد بأنه:

تميز وتمحيص الأفعال والأخبار، وإبداء وجهات النظر حولها، لبيان الصحيح من الخطأ، والحسن من السيء، والجيد من الرديء، بشرط أن يكون هذا التمحيص مبنيًا على قواعد علمية ثابتة، مصحوبًا بأسلوب حسن.

رابعًا: تعريف البدعة:

تعريف البدعة في اللغة: تأتي مادة (بدع) في الغالب في اللغة على معنيين:

الأول: الشيء المخترع على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[٣]. ومنه قول العرب: لست ببدع في كذا: أي لست بأول من أصابه هذا.

الثاني: التعب والكلال، يقال: أبدعت الإبل إذا بركت في الطريق من هزال أو داء أو كلال، كما في الحديث أنه؛ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أُبْدِعَ بِي فَاحْمِلْنِي فَقَالَ: مَا عِنْدِي. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَدُلُّهُ عَلَى مَنْ

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٥/٤٦٧- ٤٦٨. وتهذيب اللغة، الأزهري، ٩/ ٥٠. وتاج العروس، الزبيدي، ٩/ ٢٣٠-٢٣٥.

(٢) سورة البقرة، ١١٧.

(٣) سورة الأحقاف، الآية ٩.

يَحْمِلُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»(١)(٢).

تعريف البدعة في الاصطلاح:

يمكننا استنتاج المعنى الاصطلاحي من خلال النظر في المعنى اللغوي والأحاديث التالية:

١- قوله ﷺ: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(٣).

٢- أن النبي ﷺ كان يقول في خطبته: «**فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(٤).

٣- قوله ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»(٥).

٤- وفي رواية: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(٦).

الحديثان الأولان يحددان أن البدعة هي المحدثة، والحديثان الآخران

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي، رقم ٣٥٠٩.

(٢) انظر في معنى البدعة اللغوي: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ١/١٠٦، ١٠٧. ومختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ١/٤٣، ٤٤. والمصباح المنير، الفيومي، ١/٣٨. وجمهرة اللغة، ابن دريد، ١/٢٤٥، والاعتصام، الشاطبي، ١/٣٦.

(٣) أخرجه أبو داود بهذا اللفظ، في كتاب السنه، باب في لزوم السنة، ٤/٢٠١ برقم ٣٩٩١. وابن ماجة، برقم ٤٢. والترمذي برقم ٢٦٧٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٣/١١٨.

(٤) رواه مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم ١٤٣٥. ورواه النسائي بزيادة «**وكل ضلالة في النار**»، كتاب صلاة العيدين، باب كيف الخطبة، ٣/١٨٨.

(٥) رواه مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ٢/١٦، برقم ٣٢٤٢.

(٦) رواه مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ٢/١٦، برقم ٣٢٤٢.

يحددان معنى الإحداث وهو ما أُضيف إلى الدين في قوله ﷺ: «**فِي أَمْرِنَا هَذَا**».

وقد حددت هذه الأحاديث قيود البدعة في الشرع والتي يمكن بناء التعريف الاصطلاحي عليها وهي: الإحداث، وأن يضاف هذا الإحداث إلى الدين، وألا يستند هذا الإحداث إلى أصل شرعي؛ بطريق خاص أو عام[1].

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فكل من أحدث شيئًا ونسبه إلى الدين، ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه؛ فهو ضلالة، والدين منه بريء)[2]. وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والمراد بقوله ﷺ: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**» ما أحدث ولا دليل له من الشرع بطريق خاص ولا عام)[3]. وقال أيضًا: (وهذا الحديث -يعني حديث «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»- معدود من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده؛ فإن من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه)[4].

وقد عرفها العلماء بعدة تعريفات منها:

١- عرفها الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعريفًا جيدًا فقال: البدعة عبارة عن طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه[5].

---

(١) ينظر في تعريفات البدعة وقيودها، قواعد معرفة البدع، د. محمد الجيزاني، ١٧ . ٢٢.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، ٢/١٢٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ١٣/ ٢٥٤.

(٤) المرجع السابق، ٥/٣٠٢. وانظر أيضًا معارج القبول، الحكمي، ٢/٤٢٦.

(٥) الاعتصام، الشاطبي، ١/٣٧.

ثم شرح هذا التعريف شرحًا مطولا، نلخصه في الآتي:

طريقة في الدين: الطريقة، والطريق، والسبيل، والسنن: هي بمعنى واحد، وهو ما رسم للسلوك عليه. وإنما قيدت بالدين، لأنها فيه تخترع، وإليه يضيفها صاحبها.

مخترعة: ولما كانت الطرائق في الدين تنقسم، فمنها ما له أصل في الشريعة، ومنها ما ليس له أصل فيها، خص منها ما هو في الدين وهو القسم المخترع.

تضاهي الشرعية: يعني: أنها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك، بل هي مضادة لها من أوجه متعددة، منها: التزام كيفيات وهيئات معينة دون إذن من الشارع بذلك، ومنها التزام عبادات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة.

يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى: هو تمام معنى البدعة، إذ هو المقصود بتشريعها. وذلك أن أصل الدخول فيها يحث على الانقطاع إلى العبادة والترغيب في ذلك، لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[١]، فكأن المبتدع رأى أن المقصود هذا المعنى، ولم يتبين له أن ما وضعه الشارع فيه من القوانين والحدود كاف، فبالغ وزاد، وكرر وأعاد.

٢- ما أحدث على خلاف الحق المتلقى عن رسول الله ﷺ، من علم أو عمل أو حال، بنوع من شبهة أو استحسان، وجعل دينا قويما وصراطا مستقيما[٢].

---

(١) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

(٢) أصول في البدع، العدوي، ص٢٦.

٣- البدعة: إيراد قول أو فعل لم يستن قائلها أو فاعلها فيه بصاحب الشريعة وأماثلها المتقدمة وأصولها المقننة[١].

٤- وعرفها ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: (والمراد بالبدعة: ما أُحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، فأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعًا، وإن كان بدعة لغةً)[٢].

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن البدعة في الاصطلاح هي:

ما أُحدث في دين الله، وليس له أصل عام ولا خاص يدل عليه.

أو بعبارة أوجز: **ما أُحدث في الدين من غير دليل**[٣].

موازنة بين المعنى اللغوي للبدعة والمعنى الشرعي.

١- أن المعنى اللغوي للبدعة أعم من المعنى الشرعي، فإن بينهما عمومًا وخصوصًا مطلقًا؛ إذ كل بدعة في الشرع داخلة تحت مسمى البدعة في اللغة، ولا عكس؛ فإن بعض البدع اللغوية - كالمخترعات المادية - غير داخلة تحت مسمى البدعة في الشرع[٤].

٢- أن البدعة بالإطلاق الشرعي هي البدعة الواردة في حديث «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**» دون البدعة اللغوية، ولذلك فإن البدعة الشرعية موصوفة بأنها ضلالة، وأنها مردودة، وهذا الاتصاف عام لا استثناء فيه، بخلاف البدعة اللغوية فإنها غير مقصودة بحديث «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**» فإن البدعة اللغوية

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، ٢/ ٢٣١.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، ٢/ ١٢٧.

(٣) انظر: قواعد معرفة البدع، د: محمد حسين الجيزاني، ص ١٧-٣٩.

(٤) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، ٢/ ٥٩٠.

لا يلازمها وصف الضلالة والذم، ولا الحكم عليها بالرد والبطلان.

خامسًا: تعريف الدعوة إلى الله:

الدعوة لغة: الطلب: يقال: دعا بالشيء طلب إحضاره، والحث: يقال دعا إلى الشيء: حث على قصده، والنداء: يقال دعوت زيدًا: ناديته وطلبتُ إقباله، ودعا فلانًا: صاح به وناداه، ودعاه إلى الأمير: ساقه إليه، ويقال: دعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى القتال، ودعاه إلى المذهب: حثه على اعتقاده وساقه إليه، وتداعى القوم: دعا بعضهم بعضًا حتى يجتمعوا[(١)].

الدعوة اصطلاحًا: ورد لها عدة تعريفات، لكنها تدور حول معنيين:.

١- الإسلام.

٢- فن نشر الإسلام.

وقد عرفها على المعنى الأول علماء ودعاة نختار منها تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يقول: هي الدعوة إلى الإيمان بالله، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا به، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة،وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره[(٢)].

أما على المعنى الثاني فقد عرفها علماء ودعاة نختار منها تعريفين:.

تعريف الدكتور أحمد غلوش يقول: **الدعوة:** هي العلم الذي به تعرف

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور ١٣/٢٥٨. والقاموس المحيط، الفيروز آبادي ص١٦٥٤. والنهاية في غريب الحديث، ابن الأثير ٢/١٢١.

(٢) مجوع الفتاوى، ابن تيمية ١٥/١٥٧، ١٥٨.

كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة، وشريعة، وأخلاق[1].

وتعريف الدكتور محمد البيانوني يقول **الدعوة** هي: تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة[2].

وبعد هذه التعريفات العلمية لمفردات عنوان البحث، ندلف إلى بقية مباحث البحث التي هي بمثابة إجابات تساؤلات البحث كما في المباحث التالية.

---

(١) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د. أحمد غلوش، ص١٠.

(٤) المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني، ص١٧.

المبحث الثاني

مشروعية النقد الهادف وأهميته في الدعوة والإصلاح

أولًا: أقسام النقد.

ثانيًا: الأدلة على مشروعية النقد الهادف.

ثالثًا: أهمية النقد الهادف في الدعوة والإصلاح.

رابعًا: شروط النقد المحمود.

المبحث الثاني
مشروعية النقد الهادف وأهميته في الدعوة والإصلاح

أولًا: أقسام النقد: يمكن تقسيم النقد إلى قسمين:

القسم الأول: النقد المحمود: وهو النقد القائم على قواعد علمية ثابتة يراد به تصحيح الأقوال أو الأفعال وإبداء وجهة النظر حولها بقول وفعل منضبطين. وتجتمع فيه شروط النقد المحمود. فإن الإسلام ليس فيه ما يمنع من الإفصاح بالرأي، ووجهة النظر في إطار منضبط من القول الطيب وعدم إشاعة الفاحشة. وسيأتي -بإذن الله- أدلة مشروعية النقد الهادف وأهميته في الدعوة والإصلاح وأمثلة على ذلك من سير الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وهذا القسم هو الذي يجب على طلاب العلم والدعاة تعلمه وتطبيقه عمليًا في تعاملاتهم ودعوتهم، ليرغبوا به الناس في الإسلام ويصححوا لهم أخطاءهم. ومجتمع تربى أبناؤه على النقد الهادف فهو أهل للتقدم والرقي. والمجتمع الراقي هو الذي يُشجع النقد الهادف لأنه يبين الأخطاء فيتم إصلاحها. ويقبل النقد حتى من العدو والمخالف في الديانة، كما ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال: **«الْكَلِمَةُ الحِكْمَةُ ضَالَّةُ المُؤْمِنِ فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا»**(١).

وكما قال الشاعر:

عـداتي لهـم فضـلٌ عـلي ومنـةٌ ... فـلا أبعـد الـرحمنُ عني الأعاديـا

هـمُ بحثـوا عـن زلتـي فاجتنبتهـا ... وهم نافسوني فاكتسبتُ المعاليا(٢).

---

(١) رواه الترمذي، أبواب العلم، ١٠ / ١٠٩، رقم ٢٩٠٣، قَالَ أَبُو عِيسَى الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْفَضْلِ الْمَدَنِيُّ الْمَخْزُومِيُّ يُضَعَّفُ فِي الْحَدِيثِ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ.

(٢) أنوار الربيع في أنواع البديع، صدر الدين علي بن أحمد الحسيني المدني، المعروف بعلي خان بن مرزا، ص١٧٣. كتاب أكتروني. والأبيات منسوبة له.

القسم الثاني: النقد المذموم: وهو القائم على التشفي وحب الظهور والرياء وإرادة إشاعة الفاحشة وذم الآخر لا تصويبه.

وهذا هو الذي أشار إليه المعنى اللغوي، بأن النقد يأتي بمعنى لدغ الحية أو العقرب يقال: فلان نقدته حيه إذا لدغته. فإن لدغ الحية مؤلم وكذلك النقد القاسي مؤلم، وحينئذٍ يكون مذمومًا غير مقبول.

وآثار هذا القسم المذموم على الناشئة سيء جدًا، يخرج جيلًا فاقد الثقة بنفسه، محطم الآمال، يشعر أنه مجموعة متراكمة من الأخطاء، وأنه لا معين له من البشر في هذه الحياة، فالجيل الذي يعيش هذه النفسية سيكون بعيدًا عن المزاحمة في ميادين العمل والبحث والتطوير والإبداع.

ثانيًا: الأدلة على مشروعية النقد الهادف:

الدليل من القرآن الكريم: ما ورد في قصة أصحاب الجنة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴾[1].

فأصحاب هذه الجنة قاموا بتصرفات خاطئة استدعت عقوبة الله، فأصابت مزرعتهم جائحة ليلية أهلكت ثمرتها، وغيرت معالمها حتى ظنوا

---

(١) سورة القلم، ١٧ . ٣٢.

أنهم ضلوا الطريق الموصل إليها. بعد ذلك جاء دور الناقد وهو أوسطهم أي: أعقلهم، فأرشدهم إلى مكمن الداء الذي سبب العقوبة، فالسبب من أنفسهم وليس من الخارج، قال لهم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾، عند ذلك استجابوا لهذا النقد، واعترفوا بالخطأ. كما قال الله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾.

نستنتج من هذه القصة القرآنية الآتي:

١- وجود الناقد الصادق، وهو أوسطهم: أي خيارهم، وأعقلهم.

٢- تحديد مكمن الداء والخطأ.

٣- الاعتراف بالخطأ من قِبل المنقود والاستجابة للناقد.

٤- العمل على إصلاح الخطأ ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

هذا دليل مباشر من القرآن الكريم والأدلة التي يمكن الاستدلال بها على مشروعية النقد كثيرة كقصة مؤمن آل فرعون، في سورة غافر، وقصة صاحب الجنة الواردة في سورة الكهف، ولكن ليس هذا مكان استقصاؤها فنكتفي بدليل واحد.

الدليل من السنة: قوله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ**»[1]، فالحديث يبين أن العلاقة بين المؤمن وأخيه المؤمن كالعلاقة بين المرآة والإنسان الواقف أمامها، فلو تأملنا هذه الصورة التشبيهية النبوية لوجدنا أن هناك ثمة صفات مهمة

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب النصيحة والحياطة، ٤/ ٢٨٠. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٣/ ٢٠٦.

ينبغي أن يتصف بها الإنسان المؤمن الواقف أمام المرآة وهو المنقود، وكذلك المؤمن المشبه بالمرآة وهو الناقد فنرى في هذه الصورة التشبيهية الآتي:

ما يتعلق بالمؤمن الناقد وهو المشبه بالمرآة:

١- المرآة لا تكذب.

٢- لا تجامل.

٣- لا تشتم.

٤- لا تظهر العيوب للغير، أي لا تفضح.

٥- لا تزيد شيئًا على ما تراه. وكذلك يجب على المؤمن أن يكون لأخيه المؤمن مثل هذه المرآة.

ما يتعلق بالمؤمن المنقود وهو الواقف أمام المرآة:

١- يستعد ويتهيأ للوقوف أما المرآة ويصلح هيئته، وكذلك ينبغي للمؤمن أن يستعد ويتهيأ نفسيًا لقبول النقد.

٢- لا يلوم المرآة على إظهارها للعيوب، فلا يكسرها إذا بينت له شيئًا سيئًا في وجهه أو بقية جسمه، وكذلك ينبغي للمؤمن ألا يعتدي أو يلوم الناقد الصادق.

٣- يسعى لإصلاح العيوب التي أظهرتها المرآة. وكذلك ينبغي للمؤمن أن يسعى لإصلاح الأخطاء التي أظهرها له أخوه المؤمن. وأدلة السنة على النقد كثيرة ليس هذا مكان حصرها، كأحاديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإنكار القولي والتي سيأتي بعضها في ثنايا البحث.

ثالثًا: أهمية النقد الهادف في الدعوة والإصلاح:

ورد في السيرة كيف كان النبي ﷺ يقبل الآراء، ويرجع عن بعض الأفعال التي يهم بها أخذًا بوجهات نظر أصحابه رضي الله عنهم خاصة في جوانب المعاملات والعادات والخطط الحربية وغيرها، ومن أمثلة ذلك: أن النبي ﷺ لما نزل دون ماء بدر وأتاه خبر قريش استشار الناس فأشار عليه أصحابه رضي الله عنهم، ثم قال الحباب بن المنذر رضي الله عنه: يا نبي الله أرأيت هذا المنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم ولا نتأخر عنه أم هو الحرب والمكيدة؟ فقال ﷺ: بل هو الحرب والمكيدة. قال: فإنه ليس لك بمنزل، فانهض حتى نأتي أدنى قليب إلى القوم فنشرب ولا يشربون، فقال الرسول ﷺ: أشرت بالرأي، فنهض وسار حتى أتى أدنى ماء إلى القوم، وأمر بالقلب فعورت وبني حوضًا على القليب[1]. وعندما أشار عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق في غزوة الخندق استجاب رسول الله ﷺ لما أشار عليه سلمان رضي الله عنه[2]، وكانت النتيجة لصالح المسلمين. فإذا كان هذا هو رسول الله ﷺ، وهو المعصوم، فإن غيره أولى بقبول الرأي وأخذ المشورة، وتبعًا لذلك قبول النقد والأخذ به والرجوع عن الخطأ. وبناء على ذلك فليس شرطًا أن يكون الناقد أفضل من المنقود. فقد كان الصحابة رضي الله عنهم ينقد بعضهم بعضًا صغارًا وكبارًا ولم يخرجهم هذا النقد والرجوع عن الخطأ من دائرة الثقة والاحترام، لأنهم كانوا يبتغون فضلا من الله ورضوانًا.

---

(١) انظر: الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، ص ٢٣٤.

(٢) انظر: الروض الأنف، السهيلي، ٦/١٩٥. والرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، ص ٣٤٠.

وهذه أمثلة من سيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

١- قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للناس: إن رأيتم في اعوجاجًا فقوموه، فرد عليه بعض الحاضرين بأنهم إن رأوه سيقومونه بحد السيف[١].

٢- قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخطأ عمر وأصابت امرأة، في القصة المشهورة، عندما نهى الناس عن المغالاة في صداق النساء، فقامت امرأة واعترضت عليه قائلةً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَ تَحْرِمُنَا شَيْئًا أَعْطَانَا اللَّهُ إِيَّاهُ؟ ثُمَّ قَرَأَتْ قول الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[٢] فطأطأ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رأسه وقال: كل الناس أفقه منك يا عمر وأعلم منك، وفي رواية قال: أخطأ عمر وأصابت امرأة[٣].

وإن فعلًا مثل هذا الفعل يصدر من شخصية كشخصية عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، التي أيدها الوحي في كثير من المواقف، وفي هذه المنزلة العظيمة، بحيث جعلته لا يأنف أن يعترض عليه أي رجل من عامة المسلمين، أو امرأة، ولو كانا غير معروفين، لدلالة واضحة على وجوب قبول النقد وتصحيح الخطأ.

ولذلك فإننا نقول إن مما يحقق الدقة في الآراء والأفعال نقدها، ونتاج بلا نقد يعد خداجًا[٤]، تنقصه الدقة والتحقيق، لذلك ينبغي أن تتسع

---

(١) انظر: حقوق الإنسان في الإسلام، الحق الرابع حق التعليم والتثقيف، د. حمداتي ماء العين، بحث منشور في مجلة مجمع الفقه الإسلامي، ١٣/٢١٣.

(٢) سورة النساء، الآية ٢٠.

(٣) انظر المرجع السابق، ١٣/٢١٣. وأحكام القرآن، ابن العربي، ٢/٢٤٦. ورفع الملام عن الأئمة الأعلام، ابن تيمية، ٢٣، وقد استشهد بها في أكثر من موضع في هذا الكتاب.

(٤) الخداج: النقصان. يقال خدجت الناقة إذا ألقت ولدها قبل تمام حملها. (انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة خدج، ٢/١٣١. وتاج العروس، الزبيدي، مادة خدج، ٥/٥٠٦).

صدورنا للنقد، ولا نعده عيبًا في المنقود، إلا إذا أصر على خطئه الذي يبينه الدليل الصحيح الصريح، أو يعارض ثقافة المجتمع الثابتة. ويجب على طلاب العلم والدعاة أن يحرصوا على النقد الهادف البناء، لا يتحرجوا من قبوله على أنفسهم، ليطوروا به أداءهم، ويرفعوا به مستوياتهم، ومن ثم يحسنوا استخدامه في نقد غيرهم ودعوتهم.

رابعًا: شروط النقد المحمود:

وبعد تعريف النقد، وبيان أقسامه، والاستدلالات السابقة على مشروعيته، وبيان أهميته في المجتمع، مع ضرب أمثلة تطبيقية عليه من سير الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، تبين لنا أنه يجب على الناقد أن ينظر إلى الفعل والخبر ويمحصهما تمحيصًا، ثم يبدي وجهة نظره حولهما. وبناءً على ذلك فلا يعتبر كل شخص ناقدًا، لأنه لا يعتبر النقد صوابًا من أي شخص إلا إذا كان مبنيًا على قواعد علمية ثابتة، وبنية ونصح صادقين، وبأسلوب اللين، مع بيان الخطأ بالدليل، عندها يكون النقد صوابًا مقبولًا. ويمكننا من استقراء ما سبق استنباط شروط النقد المحمود على النحو الآتي:

١- **الصدق**: ونعني به أن لا يزيد شيئًا على ما رآه أو سمعه أو قرأه، بمعنى لا يكذب، ولا يجامل فيما رآه أو سمعه أو قرأه. ويكون نقده مبنيًا على أمر تحقق وقوعه.

٢- **عدم التصريح باسم المنقود والستر عليه إلا لمصلحة**، بل هو من الفقه، فينبغي أن يوجه النقد للأفعال والأقوال وليس للأشخاص وهذا منهج نبوي فقد كان رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: «ما بال

أقوام...»[١]. فالأصل هو الستر، ويُشرع التصريح إذا اقتضت المصلحة التصريح بالاسم، وسيأتي بيان ذلك في المبحث الخامس من هذا البحث إن شاء الله تعالى، وقد سار على هذا المنهج الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فلم يصرحوا بأسماء المخطئين ومن ذلك قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن امرأة من بني مخزوم سرقت فأتي بها النبي ﷺ، فعاذت بأم سلمة زوج النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»[٢]. فالستر على المخطئ وعدم التشهير به وذكر اسمه، منهج نبوي تعلمه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من الرسول ﷺ، ففي الحديث لم تذكر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا اسم المرأة المخزومية واكتفت بذكر الجنس قائلة: أن امرأة من بني مخزوم سرقت. وإنه من الخطأ الذي يترتب عليه نفور الناس التصريح بأسماء المخطئين والتشهير بهم. يقول المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (لأن عدم التعيين أوقع في النصيحة، وأجلب للدعوة إلى الإيمان، وأبعد عن النفور والمخاصمة، ويحتمل كونه عامًا لينزجر الكل عن هذه الخصال على آكد وجه إيذانًا بأنها طلائع النفاق الذي هو أسمج القبائح)[٣]. ثم أن الأشخاص قد يكون بعضهم أفضى إلى ما قدم، وقد يكون مجتهدًا قد ثبت له الأجر كما في قول الرسول ﷺ: «**إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب ذكر البيع والشراء على المنبر، ١/ ١٧٤، رقم ٤٥٦.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف، ٣/ ١٣١١، رقم ١٦٨٨.

(٣) فيض القدير، المناوي، ١/ ٤٦٣.

(٤) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، ٩/ ١٠٨، رقم ٦٨٠٥.

ومع هذا كله فإنه لا حرج في التصريح باسم المنقود، إذا كان من فئة مارقة منحرفة يجاهر بالخطأ، ويدعو للمنكر، ولا يقبل النصيحة، فحينئذٍ يجوز التصريح باسمه وبيان عواره وكشف منكراته نصحًا لله تعالى ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم.

٣- العلم بالشيء أو الأمر الذي يراد نقده. فإن فاقد الشيء لا يعطيه. فيجب على الناقد أن يكون عالمًا بالمسألة أو الموضوع المراد نقده، محيطًا به من جميع جوانبه. وقد ابتُليت الأمة في هذا الزمان بأُناس من بني جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، يخوضون في كل صغيرة وكبيرة، ولم يراعوا أهل الاختصاص، ولم يحترموا العلم الشرعي خاصة، فأصبح التكلم في مسائل الدين حمىً مباحًا لكل ناعق، ينقد بغير علم، ويستدل بالدليل في غير موضعه، وينال من الأشخاص بدعوى النقد الهادف والموضوعية، وفرق كبير بين النقد الهادف والنقد الجارح الذي لا يفيد شيئًا.

٤- تحديد مكمن الداء والخطأ. فأصحاب الجنة كما في الآيات السابقة قاموا بتصرفات خاطئة استدعت عقوبة الله، فأصابت مزرعتهم جائحة ليلية أهلكت ثمرتها، وغيرت معالمها حتى ظنوا أنهم ظلوا الطريق الموصل إليها. بعد ذلك جاء دور الناقد وهو أوسطهم أي: أعقلهم، فأرشدهم إلى مكمن الداء الذي سبب العقوبة، فالسبب من أنفسهم وليست من الخارج، قال لهم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾.

٥- التأدب في الألفاظ واختيار أحسنها: وهذا باب عظيم من أبواب مكارم الأخلاق وأحسنها، كما قَالَ النبي ﷺ: «خِيَارُكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا،

الْمُوَطَّؤُونَ أَكْنَافًا، وَإِنَّ شِرَارَكُمُ الثَّرْثَارُونَ الْمُتَفَيْهِقُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ[١]»[٢]، وكما في قوله ﷺ أيضًا: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»[٣]. فينبغي اختيار ما طاب من الكلام كقول: سمعت عنك قول كذا، وأظن الصواب في رايي كذا، وهي وجهت نظر ليس إلا. مع الدعاء له بالتوفيق، وإحسان الظن به، فإن هذا أسلوب يأخذ بمجامع القلوب، ويؤدي إلى قبول النقد.... وهكذا.

٦- **الاستدلال على وجهات النظر.** كل دعوى لا يقوم عليها دليل فهي واهية، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٤]. وكذلك كل نقد لا يؤيده دليل نصي أو عقلي، أو تبرير مقبول في المسائل العادية، فقبوله ضعيف. كما قيل:

والدعاوى إن لم يقيموا عليها بيناتٍ أصحابها أدعياء[٥].

---

(١) الْمُوَطَّؤُونَ أَكْنَافًا: الأكناف: جمع كنف، وهو الجانب، والمراد الذين يلين جانبهم لإخوانهم. والثَّرثرة: كَثْرة الكلام وتَرْدِيدُه. والمتفيهقون: هم الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواههم. والمتشدقون: المتوسعون في الكلام من غير تحفظ أو احتراز. (انظر: نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، مجموعة من الباحثين، ٢ / ٥٠١).

(٢) شرح السنة، البغوي، ١٠ / ٣٨٥، ٧٦٢١، باب ذم البيان والتنطع، قال شعيب الأرنؤوط في تحقيق صحيح ابن حبان: رجاله ثقات على شرط مسلم.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، ١ / ٦٨.

(٤) سورة البقرة، الآية ١١١.

(٥) بيت مشتهر على ألسن الناس لم أجد قائله.

المبحث الثالث

الالتزام بالمنهج النبوي العلمي التربوي

نستطيع نقد البدع، والوقاية منها، ومنع انتشارها بين المسلمين بالدعوة والتعليم، إذا التزم العلماء والدعاة وطلاب العلم بالمنهج الإسلامي العلمي التربوي الصحيح، الذي يعتمد على فهم العلوم الشرعية والعربية وفقهها، وفقه المقاصد الشرعية، وإتقان علوم الوسائل المحققة لها إتقانًا يحمي الأمة من سوءِ المأخَذ، وفساد الاستنتاج، وقُبحِ الأعمال، وحتى ترقَّى مداركُهم وتظهرَ جهودُهم في أجمل المظاهرِ التي أرادها هذا الدين، ولتنبع أفعالهم من روحِ الإسلام، وتنساق من مقاصِده، وتوفي بحاجات الدّعوةِ، وتواكِب مقتضياتِ الزمان، وتغيُّرات العصر، مع مراعاة ظروف الحال والمقال والزمان والمكان.

ولتحقيق تطبيق هذا المنهج ينبغي الالتزام بالأمور التالية:

أولًا: الإعداد العلمي بالتوضيح المستمر لأصول الدين وثوابته.

إنَّ الأمة بأسرها لفي ضرورةٍ ماسَّة للعلم الشرعي، والتعمُّق فيه، والعَمَل على فقهه؛ فهو الركيزة الأساسية للدين، لأن العلم مقدم على العمل، وبصحته يصح العمل، كما قال الله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾[1]، وقد بوب الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بابًا في صحيحه قال فيه: (باب العلم قبل القول والعمل، واستشهد بهذه الآية)[2]. قال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أي هذا باب

---

(١) سورة محمد، الآية ١٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، ٣٧/١.

في بيان أن العلم قبل القول والعمل، أراد أن الشيء يعلم أولًا، ثم يقال، ويعمل به، فالعلم مقدم عليهما بالذات، وكذا مقدم عليهما بالشرف، لأنه عمل القلب وهو أشرف أعضاء البدن)[1]. وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال ابن المنير: أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو متقدم عليهما لأنه مصحح للنية المصححة للعمل، فنبه المصنف على ذلك حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم إن العلم لا ينفع إلا بالعمل تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه)[2].

وقد عاش النبي ﷺ حياته النبوية مستمرًا في دعوته ليلًا ونهارًا، سرًا وجهارًا، لم يهدأ له بال، ولا يرتاح له جسد، ممتثلًا لأمر ربه، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[3]، فقد كان ﷺ مهتمًا بتوضيح وبيان أصول الدين، كما في أحاديث بيان أركان الإسلام والإيمان التي لا تُحصى، ومن ذلك ما يلي:

١ - أَنَّ أَعْرَابِيًّا عَرَضَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي سَفَرٍ فَأَخَذَ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ أَوْ بِزِمَامِهَا ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوْ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنْ الْجَنَّةِ وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنْ النَّارِ. قَالَ: فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ ثُمَّ قَالَ: «**لَقَدْ وُفِّقَ أَوْ لَقَدْ هُدِيَ**». قَالَ: «**كَيْفَ قُلْتَ؟**» قَالَ: فَأَعَادَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ دَعْ النَّاقَةَ**»[4].

---

(١) عمدة القاري، العيني، ٢/ ٤٧٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ١/ ١٦٠.

(٣) سورة المائدة، الآية ٦٧.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة، رقم ١٤.

وبوب لهذا الحديث وغيره الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: بَاب بَيَانِ الْإِيمَانِ الَّذِي يُدْخَلُ بِهِ الْجَنَّةَ وَأَنَّ مَنْ تَمَسَّكَ بِمَا أُمِرَ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وبوب لأحاديث أخرى بباب قال فيه: بَاب بَيَانِ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَدَعَائِمِهِ الْعِظَامِ.

٢- أَنَّ مُعَاذًا قَالَ بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: **«إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ»**[1]. وبوب له الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: بَاب الدُّعَاءِ إِلَى الشَّهَادَتَيْنِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ.

٣- لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«افْعَلُوا»** قَالَ: فَجَاءَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ وَلَكِنْ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ ثُمَّ ادْعُ اللهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«نَعَمْ»** قَالَ: فَدَعَا بِنِطَعٍ فَبَسَطَهُ ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ. قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ قَالَ: وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ قَالَ: وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطَعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ ثُمَّ قَالَ: **«خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ»** قَالَ: فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وِعَاءً إِلَّا مَلَئُوهُ قَالَ فَأَكَلُوا

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم ٢٧.

حَتَّى شَبِعُوا وَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ»[١].

وبوب له الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ مع مجموعة أخرى من الأحاديث بقوله: بَاب الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ دَخَلَ الْجَنَّةَ قَطْعًا.

هكذا كانت حياة رسول الله ﷺ، وصحابته رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، تجمع بين العلم والعمل والدعوة إلى الله المستمرة، حتى بلغ ﷺ دعوة ربه، وأتم الدين والبلاغ كما شهد له ربه في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[٢].

وعاش على منهجه صحابته رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فقاموا بالعلم والدعوة خير قيام، حتى بلغ الإسلام الآفاق، ودخل الناس في دين الله أفواجًا.

إن اتباع هذا النهج النبوي هو الذي يحقق السلامة من الابتداع ومحدثات الأمور، التي حذر منها ﷺ في قوله: «وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[٣]، وهو ما يجب أن يفهمه طلاب العلم والدعاة، فهمًا عمليًا تطبيقيًا يعملوا به ويعلموه غيرهم.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، بَاب الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ دَخَلَ الْجَنَّةَ قَطْعًا، رقم ٤٠.

(٢) سورة المائدة، الآية ٣.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، واللفظ له (٤/ ٢٠١) برقم ٤٦٠٧) وابن ماجة (١/ ١٥) برقم ٤٢). والترمذي (٥/ ٤٤) برقم ٢٦٧٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والحديث صححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم (١٧) برقم ٢٧.

ثانيًا: الالتزام الدقيق بما جاء في الكتاب والسنة.

القرآن الكريم هو الهادي للحق كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾(١).

والالتزام بما جاء في الكتاب والسنة أمر قرآني كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٤). كما أنه أيضًا أمر نبوي كما في في حديث العِرباض بن سارية قال: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟! قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»(٥).

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٥٣.

(٣) سورة النور، الآية ٦٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٣١.

(٥) رواه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم ٢٦٠٠، وقال هذا حديث حسن صحيح. ورواه أبو داود، برقم ٣٩٩١. وابن ماجه، برقم ٤٢، ٤٣. وأحمد برقم ١٦٥١٩، ١٦٥٢١، ١٦٥٢٢. مع اختلاف يسير في الألفاظ. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

فقد فهم الصحابة أهمية الالتزام الدقيق بما في الكتاب والسنة فامتثلوه في أنفسهم، وعلموه الأتباع، ففي الحديث " عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةٍ عَلَى أَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَصِيَامِ رَمَضَانَ وَالْحَجِّ**». فَقَالَ رَجُلٌ: الْحَجُّ وَصِيَامُ رَمَضَانَ؟ قَالَ: لَا، صِيَامُ رَمَضَانَ وَالْحَجُّ هَكَذَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ[(١)].

ففي قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لَا، صِيَامُ رَمَضَانَ وَالْحَجُّ هَكَذَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، تأكيد قولي ونقل دقيق لقول النبي ﷺ، وإشارة إلى وجوب الالتزام الدقيق بما جاء عن النبي ﷺ، وهذا ما يجب أن يلتزم به الدعاة وطلاب العلم.

ثالثًا: التربية على الثبات على المبدأ:

قدم المشركون للنبي ﷺ جميع الإغراءات، واتخذوا جميع الوسائل الممكنة ليتنازل عن هذه المبادئ والدعوة، ويخلي بينهم وبين عبادة الأصنام، وكان يقول لهم ﷺ: «**والله، لو وضعوا الشمس بيميني، والقمر بشمالي، على أن أترك هذا الأمر؛ لا أتركه، حتى يظهره الله أو أهلك دونه**»[(٢)]. فلم يثنه المال أو الجاه والملك والشهوة عن المبدأ الذي يدعو إليه.

وكذلك لم تفت في عضده المصائب والآلام التي تكبدها، وكيد الكائدين... ففي دعائه وهو قافل من الطائف بعدما تعرض للأذى من سفهاء ثقيف ما يدل على قوة العزيمة والصبر والثبات على المبدأ، فقد آوى إلى ظل

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَدَعَائِمِهِ الْعِظَامِ، رقم ١٩.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، ١/٢٦٦. والرحيق المختوم، المباركفوري، ص ١١٠.

شجرة والتجأ إلى ربه بهذا الدعاء «**اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي؟ أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، وَلَكِنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سُخْطُكَ لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**»[(١)].

رابعًا: الفهم الصحيح للاستدلال بنصوص الكتاب والسنة كما فهمها الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وتربية النشء عليها.

نعني بذلك إنزال الدليل منزله الصحيح وتطبيقه على موضع الاستدلال، ولا يتحقق ذلك إلا بتصور موضع الاستدلال تصورًا تامًا صحيحًا، ولذلك قال العلماء: الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وأرادوا بذلك معرفة المسألة المراد بحثها والواقع المحيط بها، لأنه لا يستطيع الإنسان أن يتصور شيئًا لم يطلع على جميع ملابساته وجوانبه، ومن ثم كيف يستطيع أن يأتي بالحكم الملائم والمناسب له[(٢)]. فلا بد من معرفة الصحيح والضعيف والناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد مع فهم وإدراك لفقه النوازل والاستدلال بالمصلحة المرسلة في مكانها الصحيح.

---

(١) الدعاء، الطبراني، ص٣١٥، رقم ١٠٣٦. والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، ١/ ١٢٠، رقم ١٨٥١.

(٢) انظر: الأصول من علم الأصول، محمد العثيمين، ص٨٠. وسؤال وجواب حول فقه الواقع، محمد ناصر الدين الألباني، ص١٠. وفقه الاستشارة، ناصر العمر، ص٥٠. وفقه النوازل، محمد حسين الجيزاني، ١/٣٩، ٤٠.

المبحث الرابع

الالتزام بالمنهج النبوي العملي في الوقاية من البدع، ونقدها

أولًا: التحذير من البدع قبل وقوعها.

ثانيًا: المنهج النبوي العملي الدعوي في نقد البدع بعد الوقوع فيها.

المبحث الرابع

الالتزام بالمنهج النبوي العملي في الوقاية من البدع ونقدها

سأعرض لأهم معالم هذا المنهج، مستنبطة من السنة النبوية:

أولًا: التحذير من البدع قبل وقوعها.

نصوص السنة لا تحصى في التحذير من البدع قبل الوقوع فيها، ومنها أن النبي ﷺ كان في خطبة يحذر منها فيقول: **«فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»**[١]. وقال ﷺ: **«يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ يَأْتُونَكُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ لَا يُضِلُّونَكُمْ وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ»**[٢]. وقال ﷺ عن المدينة: **«الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»**[٣].

وقال ﷺ. **«إن الله احتجز التوبة عن صاحب كل بدعة»**[٤].

فهذه نصوص تحذيرية من الوقوع في البدع، أما إذا وقعت فلها منهج عملي دعوي نقدي تبينه الفقرة التالية.

ثانيًا: المنهج النبوي العملي الدعوي في نقد البدع بعد الوقوع فيها

لن نخرج عن السنة في بيان هذا المنهج النبوي العملي الدعوي، وذلك في نصين من نصوص السنة، قصتها واحدة، وسببها واحد، فيها منهج

---

(١) سبق تخريجه، ص ١٤٨.

(٢) سبق تخريجه، ص ١٤٨.

(٣) رواه مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة، رقم ٢٤٣٣.

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، ٢ / ٣٦٤، رقم ١٦٢٠.

نقدي عملي نبوي:

الأول: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفطِرُ وَقَالَ آخرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا. فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»(١).

الثاني: أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ. فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»(٢).

المنهج النقدي العملي الدعوي المستنبط من هذين الحديثين:

١- التأكد من وقوع الخطأ، وتحقق نسبته إلى الواقعين فيه، كما ورد في النص: فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟**».

٢- المبادرة إلى إنكاره، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ:...

٣- الإسرار في النصيحة وبيان الخطأ. «**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا**

---

(١) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم ٤٦٧٥.

(٢) رواه مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، رقم ٢٤٨٧.

وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي». فليس في النص ما يدل على أنه قال لهم هذا الكلام علانية. كذلك ورد في الحديث الثاني أنه قال: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا».

٤- الترهيب الشديد من هذا الفعل، «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».

٥- العمل الوقائي العام للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في تحذيرهم من هذا الخطأ الفكري الذي وقع فيه هؤلاء النفر، مع الستر عليهم، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا».

المبحث الخامس

أهم معالم منهج السلف العملي الدعوي في النقد والرد على المخالف

أولًا: العدل مع المخالف مبتدعًا أو غيره.

ثانيًا: نقد البدعة بالدليل مع بيان خطرها، وفساد حجة القائلين بها.

ثالثًا: كشف سبل أهل البدع ونقدها.

رابعًا: التدرج في الإنكار على أهل البدع.

خامسًا: التصريح في الرد على أهل البدع.

المبحث الخامس

أهم معالم منهج السلف العملي الدعوي في النقد والرد على المخالف

للسلف الصالح منهج واضح عادل في الوقاية والنقد والمقاومة، يراد به الخير للمسلمين، والرحمة والرفق بهم، ولا بُد أن يكونوا كذلك لأنهم خريجو مدرسة النبوة، فمنهجهم يقتدون فيه بنبيهم ﷺ، ونصوص الوحيين، ويمكن تحديد أهم معالم هذا المنهج العملي في الأمور التالية:

أولًا: العدل مع المخالف مبتدعًا أو غيره:

منهج السلف أهل السنة والجماعة في تعاملهم مع المخالف والعدو منهج عدل ينطلقون فيه من قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[1]، هذا مع الكافر ناهيك عن المسلم الذي يجب أن يكون العدل معه أولى، فقد حَرّم الله تعالى إيذاء المؤمنين أو الإساءة إليهم فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[2]. فالكلام على الناس، والحكم على أقوالهم وأفعالهم، وتقرير طريقة التعامل معهم، أو الموقف منهم، مبناه العدل، والتزام أُصول وقواعد منهج أهل السنة. يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولما كان أتباع الأنبياء هم أهل العلم والعدل، كان كلام أهل الإسلام والسنة مع الكفار وأهل البدع بالعلم والعدل، لا بالظن وما تهوى الأنفس)[3]. وقال

---

(١) سورة المائدة، الآية ٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٥٨.

(٣) الجواب الصحيح، ابن تيمية، ١ / ٢٢.

أيضًا: (وأئمة السنّة والجماعة، وأهل العلم والإيمان، فيهم العلم والعدل والرحمة، فيعلمون الحق الذي يكونون به موافقين للسُنّة سالمين من البدعة... ويرحمون الخلق فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، لا يقصدون الشر لهم ابتداءً، بل إذا عاقبوهم وبيّنوا خطأهم كان قصدهم بذلك بيان الحق، ورحمة الخلق)(١).

وانطلاقًا من هذا المنهج المبني على العدل فإنه يُستنبط منه وجوب الالتزام بفهم الأمور التالية:

١- أن البدع متفاوتة وليست على مرتبة واحدة في حكمها، وأصحاب البدع الذين خالفوا السنة في أصول عظيمة ليسوا كمن خالفها في أمور دقيقة، وبناءً عليه فإن السلف يراعون في التعامل مع أصحاب البدع مدى بُعد بدعهم عن السنة، يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأصحاب ابن كُلاّب كالحارث المحاسبي، والقلانسي ونحوهما خير من الأشعريّة، وكلما كان الرجل إلى السلف والأئمة أقرب كان قوله أعلى وأفضل)(٢). وقال أيضًا: (متكلّمة أهل الإثبات من الكلابيّة والكراميّة والأشعريّة... فهؤلاء في الجملة لا يطعنون في السلف بل قد يوافقونهم في أكثر جمل مقالاتهم. لكن من كان بالحديث من هؤلاء أعلم، كان بمذهب السلف أعلم، وله أتبع، وإنما يوجد تعظيم السلف عند كل طائفة بقدر استنانها وقلة ابتداعها)(٣).

٢- إقامة الحجة شرط في التبديع. فمن أتى ببدعة سواء كانت مكفرة

---

(١) الرد على البكري، ابن تيمية، ص ٢٥٦.

(٢) التدمرية، ابن تيمية، ص ١٩٢.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٤، ١٥٦.

أو دونها، فإنه لا يحكم عليه بمقتضى هذه البدعة، حتى تقام عليه الحجّة، يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إنّي من أعظم الناس نهيًا أن يُنسب معيّن إلى تكفير وتفسيق ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافرًا تارة، وفاسقًا أخرى، عاصيًا أُخرى، وإني أقرر أن الله غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبريّة القوليّة، والمسائل العلميّة، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ولا بفسق ولا معصية)[1].

٣- لا يلزم أن يكون غير المبتدع أفضل من المبتدع. فالتفاوت في درجات العباد، والتفاضل بينهم يكون بحسب تفاضلهم في الأعمال الصالحة، وما يقوم بقلوبهم من إيمان وصدق وإخلاص، والمبتدع قد لا يأثم ببدعته إذا كان متأوّلًا مجتهدًا، أولم تقم عليه الحجّة. يقول ابن تيميّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكًا، فإن المنازع قد يكون مجتهدًا مخطئًا يغفر الله خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته)[2]. فليس مجرد عدم الابتداع معيارًا كافيًا للتفضيل، وإن كان من أسباب الفضل؛ لأن الشخص الواحد قد يجتمع فيه ما يثاب عليه وما يعاقب عليه، والعبرة بالراجح منهما.

ويقول أيضًا: (إذا اجتمع في شخص واحد خير وشر، وطاعة وفجور،

---

(١) المرجع السابق، ٣/ ٢٢٩.

(٢) المرجع السابق، ٣/ ١٧٩.

وسنة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بقدر ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة)[١]. وهذا باب من العدل والإنصاف العظيم الذي تميز به أهل السنة.

٤- لا يلزم من وقوع الشخص في بدعة ولا من انتسابه لطريقة مبتدعة أن يخرج عن أهل السنة، إذ ارتكابه للبدعة متى كان عن اجتهاد تأول لا يجعله مبتدعًا آثمًا، مع أنه ينكر عليه ويبيّن خطؤه، وقد قال النبي ﷺ: «**إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**»[٢].

والبدع غير المغلّظة لا يكون مرتكبها خارجًا عن أهل السنة وعن الفرقة الناجية، ولو كان آثمًا ببدعته يقول ابن تيميّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأمّا المرجئة فليسوا من هذه البدع المغلّظة، بل دخل في قولهم طوائف من أهل الفقه والعبادة، وما كانوا يُعَدّون إلا من أهل السنة، حتى تغلّظ أمرهم بما زادوه من الأقوال المغلّظة)[٣].

وقد أجابت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية على سؤال هذا نصه: (س٤: الجماعات والفرق الموجودة الآن أقصد بها جماعة الإخوان المسلمين وجماعة التبليغ وجماعة أنصار السنة المحمدية والجمعية الشرعية والسلفيين ومن يسمونهم التكفير والهجرة

---

(١) المرجع السابق، ٢٨/٢٠٩.

(٢) سبق تخريجه، ص١٦٢.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٣/٣٥٧.

وهذه كلها وغيرها قائمة بمصر، أسأل ما موقف المسلم منها؟ وهل ينطبق عليها حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**» رواه الإمام مسلم في الصحيح؟. **فأجابت اللجنة بقولها:** كل من هذه الفرق فيها حق وباطل وخطأ وصواب، وبعضها أقرب إلى الحق والصواب وأكثر خيرًا وأعم نفعًا من بعض، فعليك أن تتعاون مع كل منها على ما معها من الحق وتنصح لها فيما تراه خطأ، ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك)[١].

٥- **مراعاة المصالح والمفاسد.** فالشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان، وهي ترجح خير الخيرين وتدفع شر الشرين، ولا يسوغ في هذه الشريعة دفع الفساد القليل بالفساد الكثير، ولا دفع الضرر الخفيف بتحصيل ضرر عظيم. وهذا يراعى في طريقة الإنكار والاحتساب، وفي الاجتماع أو الاتفاق على شيء مخصوص، ولهذا كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يصلون خلف الحجاج بن يوسف الثقفي[٢]، والمختار بن أبي عبيد الثقفي[٣] وغيرهما، لأن تفويت الجمعة

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء المملكة العربية السعودية، ٢/ ٢٣٩، فتوى رقم ٦٢٨٠.

(٢) الحجاج بن يوسف الثقفي، ولاه عبد الملك العراق، وتولى قيادة الجيش الذي قاتل عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقتله وصلبه في مكة. يُعد من الطغاة قليلي الديانة، فقد قتل جمعًا من علماء التابعين، توفي عام ٩٥ هـ. (انظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، اليافعي، ص ٨٨.)

(٣) المختار بن أبي عبيد الثقفي، أسلم أبوه في حياة النبي ﷺ، ولم يُعلم له صحبة. استعمله عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على جيش، فغزا العراق، وإليه تنسب وقعة جسر أبي عبيد، وكان من كبراء ثقيف، وذوي الرأي، والفصاحة، والشجاعة، والدهاء، وقلة الدين، والكذب. (انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٣ / ٥٣٨).

والجماعة أعظم فسادًا من الاقتداء بإمام فاجر أو مبتدع.

وعلى كل حال فالنظر للمصالح والمفاسد من أصول التعامل مع المبتدع، فينظر في العمل هل مصلحته راجحة بحيث يفضي إلى ضعف الشر، فيكون مشروعًا، أو أنه يزيد الشر فلا يكون مشروعًا، وهذا بلا شك يتفاوت بتفاوت الأحوال والمصالح مع رؤية العلماء وحكمتهم.

ثانيًا: نقد البدعة بالدليل مع بيان خطرها، وفساد حجة القائلين بها.

إذا كانت الدعاوى في المعاملات لا تقبل إلا ببينة تؤكد صدقها وإلا رفضت، كما قيل:

والدعاوى إن لم يقيموا عليها بينات أصحابها أدعياء.

فإن الدعاوى في مسائل العقيدة أولى وأهم، فكل قول في المسائل العلمية لا يعضده الدليل فهو مردود، وإن قال به عالم أو مشهور، وأهل السنة يعتنون بهذا الجانب اعتناءً كبيرًا، فمن واجبهم دحض البدعة بالدليل، يصاحب ذلك بيان خطورتها على الدين من رفع السنن، وفرقة الأمة. قال حسان بن عطيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مَا ابْتَدَعَ قَوْمٌ بِدْعَةً فِي دِينِهِمْ إِلَّا نَزَعَ اللَّهُ مِنْ سُنَّتِهِمْ مِثْلَهَا ثُمَّ لَا يُعِيدُهَا إِلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)[١].

ثالثًا: كشف سبل أهل البدع ونقدها.

فإن من لوازم النقد مصاحبة الدليل، فإن لم يرعوِ لزم بيان فساد قول المبتدع، وكشف الطريق التي سلكها لنتجنبها، فإن المنهج قد حدده الله

(١) رواه الدارمي، المقدمة، باب اتباع السنة، ١/٥٨، رقم ٩٨. وصححها الألباني في مشكاة المصابيح، التبريزي، ١/٤٠، رقم ١٨٨.

تعالى بقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[١]، فأفادت الآية أنَّ طريق الحق واحدة، وأنَّ للباطل طُرُقًا متعددة لا واحدة، وتعددها لم يُخَصُّ بعدد مخصوص وهكذا الحديث المفسِّر للآية عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَخَطَّ خَطًّا وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَمِينِهِ وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَسَارِهِ ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْخَطِّ الْأَوْسَطِ فَقَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللهِ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ﴾»[٢].

ومن خلال الاستقراء فإن السبل التي يتبعها أهل الزيغ كثيرة منها[٣]:

١- اعتمادُهم على الأحاديث الواهية الضعيفة والمكذوب فيها على رسول الله ﷺ.

٢- ردُّهم للأحاديث التي لا توافق أغراضهم ومذاهبهم.

٣- انحرافهم عن الأصول الواضحة إلى اتباع المتشابهات.

٤- تحريف الأدلة عن مواضعها: بأنْ يرِد الدليل على مناط[٤] فيُصْرَف

---

(١) سورة الأنعام، ١٥٣.

(٢) رواه ابن ماجه، المقدمة، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ، رقم ١١.

(٣) انظر هذه السبل في: مختصر الاعتصام، السقاف، ص٦٢ - ٦٩.

(٤) المناط: من ناط ينوط نوطًا أي علَّقه، قال ابن فارس: النون والواو والطاء أصل صحيح يدل على تعليق شيء بشيء. وعند الأصوليين والفقهاء؛ المناط: هو الوصف الذي نيط به الحكم. أو هو العلة، لأنَّ الحكم لمَّا تعلَّق بها صار كالشيء المتعلق بغيره. (انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٥/ ٣٧٠. والموافقات، الشاطبي، ٣/ ٢٣١. وتيسير أصول الفقه، الجديع، ص ١٧٩).

عن ذلك المناط إلى أمرٍ آخر مُوهِمًا أنَّ المناطين واحد، وهو من خفيَّات تحريف الكلم عن مواضعه والعياذ بالله، ويغلب على الظن أنَّ من أقرَّ بالإسلام، ويذم تحريف الكلم عن مواضعه، لا يلجأُ إليه صُراحًا إلا مع اشتباهٍ يعرض له، أو جهل يصده عن الحق، مع هوى يعميه عن أخذ الدليل مأخذه، فيكون بذلك السبب مبتدعًا.

٥- الغلو في تعظيم شيوخهم حتى الحقوهم بما لا يستحقونه، ولولا الغُلوُّ في الدين والتكالب على نصر المذهب والتهالك في محبة المبتدع، لما وسع ذلك عقل أحد، ولكن النبي ﷺ قال: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ**»[١]. فهؤلاء غلوا كما غلت النصارى في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث قالوا: إنَّ الله هو المسيح ابن مريم، فقال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[٢]، وفي الحديث: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**»[٣]. ومن تأمل هذه الأصناف وجد لها من البدع في فروع الشريعة كثيرًا، لأنَّ البدعة إذا دخلت في الأصل سهَّلت مداخلتها الفروع.

٦- الاحتجاج بالمنامات والرؤى، وهذا من أفسد الأقوال وأضعفها.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ لتتبعن، رقم ٦٧٧٥.

(٢) المائدة، ٧٧.

(٣) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ ﴾، رقم ٣١٨٩.

رابعًا: التدرج في الإنكار على أهل البدع.

التدرج في الأحكام، وعلاج المشكلات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله تعالى منهج إسلامي تشريعي، وهو معلم من معالم منهج السلف في الدعوة والإنكار. قال الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: (هذه مسألة هامة، وباب كبير في الفقه تعلق بهم من جهة جنايتهم على الدين، وفسادهم في الأرض، وخروجهم عن جادة الإسلام، إلى بُنيَّاتِ الطريق..... ثم ذكر خمسة عشر درجة للإنكار على أهل البدع...

أولها: الإرشاد والتعليم وإقامة الحجة كمسألة ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين ذهب إلى الخوارج فكلمهم حتى رجع منهم ألفان أو ثلاثةُ آلاف.

الثاني: الهجران وترك الكلام والسلام.

الثالث: التغريب كما غرَّب عمر صَبِيغًا[1].

الرابع: السجن كما سجنوا الحلاج قبل قتله سنين عديدة.

الخامس: ذكرهم بما هم عليه وإشاعة بدعتهم كي يُحذروا، ولئلا يُغتر بكلامهم، كما جاء عن كثير من السلف في ذلك.

السادس: القتال إذا ناصبوا المسلمين وخرجوا عليهم كما قاتل عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخوارج، وغيرُه من خلفاء السُّنَّةِ.

السابع: القتل إنْ لم يرجِعوا مع الاستتابة وقد أظهر بدعته.

---

(١) صبيغ بن عسل الحنظلي، له إدراك، قدم المدينة، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأعد له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ، قال: وأنا عبد الله عمر، فضرب به حتى دمى رأسه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، قد ذهب الذي كنت أجده في رأسي. (انظر: فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، د. علي محمد الصلابي).

الثامن: من أسرَّها وكانت كفرًا أو ما يرجع إليه فالقتل بلا استتابة لأنَّه من باب النفاق كالزنادقة.

التاسع: تكفير من دل الدليل على كفره، كما إذا كانت البدعة صريحة في الكفر.

العاشر: لا يرثهم ورثتهم من المسلمين ولا يرثون أحدًا منهم، ولا يُغَسَّلون إذا ماتوا، ولا يُصلَّى عليهم ولا يُدفنون في مقابر المسلمين، ما لم يكن مستترًا؛ فإنَّ المستتر يُحكم له بحكم الظاهر، وورثته أعرف بالنسبة إلى الميراث.

الحادي عشر: الأمر بأنْ لا يُنَاكحوا، وهو من ناحية الهجران، وعدم المواصلة.

الثاني عشر: تجريحهم على الجملة، فلا تُقبل شهادتهم ولا يكونون ولاة ولا قضاة، ولا يُنصبون في مناصب العدالة من إمامة أو خطابة.

الثالث عشر: ترك عيادة مرضاهم، وهو من باب الزجر والعقوبة.

الرابع عشر: ترك شهود جنائزهم كذلك.

الخامس عشر: الضرب كما ضرب عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ صَبِيغًا)[1].

خامسًا: التصريح في الرد على أهل البدع.

لم يكن الرد على أهل البدع مقصودًا في ذاته، وإنما المقصود تحقيق واجب أهل العلم في الذب عن الدين من جانب، وإرادة الخير بالمبتدع من جانب آخر. كل ذلك انطلاقًا من قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا

---

(١) انظر: مختصر الاعتصام، السقاف، ٥٢ ـ ٥٤.

مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3].

وهذا يتطلب من العلماء أمرين هما:

الأول: دعوة أهل البدع إلى الصراط المستقيم، ومجادلتهم بالتي هي أحسن، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بالموعظة الحسنة سرًا، عسى أن يرجعوا عن غيهم وضلالهم. فقد أوجب الله على طائفة من الأمة الدعوة إلى الله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[4].

الثاني: إذا أصروا على بدعهم، وتنكروا للحق وأهله، فإنه يجب حينئذٍ بيان باطلهم وانحرافهم، وكشف عوارهم، وفساد قواعدهم؛ كي لا يغتر بهم بعض المسلمين، ولكي يحذروهم ويجتنبوهم كما هو مأثور عن أهل العلم.

---

(١) سورة البقرة، ١٥٩، ١٦٠.

(٢) سورة آل عمران، ١٨٧.

(٣) سورة البقرة، ١٧٤.

(٤) سورة آل عمران، ١٠٤.

قد يعترض معترض بهذا السؤال: فيقول: إن في التشهير بالمبتدعة إهانة لهم، وهذا ليس من مصلحة الدعوة؟ كما أن ذلك يؤدي إلى الفُرقة بين الأمة؟

وللإجابة عليه نقول: إن التعزير منهجٌ شرعي، والتشهير بمثابة التعزير، يُرتجى منه رجوع المبتدع إلى السنة، مع التأكيد أن هذا بعد بذل قصارى الجهد في المناصحة السرية، وإن لم ينتصح فالتشهير يراد منه الدفاع عن السنة وقمع البدعة ودرء مفسدة تأثُّر عامة الناس بالمبتدع وأقواله. وحينئذٍ فإن الدفاع عن السنة وقمع البدعة والتشهير بالمبتدع يؤدي إلى الاجتماع والائتلاف. وهذه بعض أقوال أهل العلم في ذلك:

١- قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (... ذِكْرُهم بما هم عليه، وإشاعة بدعتهم كي يُحذروا، ولئلا يغتر بكلامهم، كما جاء عن كثير من السلف في ذلك)[١].

وقال أيضًا: (..... الثاني: حيث تكون الفِرقة تدعو إلى ضلالتها، وتزيينها في قلوب العوام ومن لا علم عنده، فإن ضرر هؤلاء على المسلمين كضرر إبليس، وهم من شياطين الإنس، فلابد من التصريح بأنهم أهل البدع والضلالة، ونسبتهم إلى الفِرق، إذا قامت له الشهود على إنهم منهم- ثم ذكر قصة عاصم الأحول مع قتادة، وقال بعدها- فمثل هؤلاء لابد من ذكرهم والتشريد بهم، لأن ما يعود على المسلمين من ضررهم إذا تُركوا، أعظم من الضرر الحاصل بذكرهم والتنفير عنهم، إذا كان سبب ترك التعيين الخوف من التفرق والعداوة. ولا شك أن التفرق بين المسلمين،

---

(١) الاعتصام، الشاطبي، ١ / ١٧٦.

وبين الداعين إلى البدعة وحدهم إذا أقيم عليهم أسهل من التفرق بين المسلمين وبين الداعين، ومن شايعهم واتبعهم.

وإذا تعارض الضرران فالمرتكب أخفهما وأسهلهما، وبعض الشر أهون من جميعه، كقطع اليد المتآكلة؛ إتلافها أسهل من إتلاف النفس. وهذا حكم الشرع أبدًا، يطرح حكم الأخف وقاية من الأثقل)[1].

٢- وقال القرافي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أرباب البدع والتصانيف المضلة ينبغي أن يُشهر في الناس فسادها وعيبها، وأنهم على غير الصواب، ليحذرها الناس الضعفاء فلا يقعوا فيها، وينفر عن تلك المفاسد ما أمكن، بشرط أن لا يتعدى فيها الصدق، ولا يفترى على أهلها من الفسوق والفواحش ما لم يفعلوا، بل يقتصر على ما فيهم من المنفرات خاصة، فلا يقال على المبتدع أنه يشرب الخمر ولا أنه يزني ولا غير ذلك مما ليس فيه)[2].

٣- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين هذا أفضل. فبين أن نفع هذا عام للمسلمين فى دينهم، من جنس الجهاد في سبيل الله)[3].

---

(١) المرجع السابق، ٢ / ٢٢٨.

(٢) الفروق، القرافي، ٤ / ٢٠٧، ٢٠٨.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٢٨ / ٢٣١، ٢٣٢.

وقال أيضًا: (والداعي إلى البدعة مستحق العقوبة باتفاق المسلمين، وعقوبته تكون تارة بالقتل، وتارة بما دونه، كما قَتل السلفُ جهم بن صفوان والجعد بن درهم وغيلان القدري وغيرهم، ولو قُدر أنه لا يستحق العقوبة أو لا يمكن عقوبته فلا بد من بيان بدعته، والتحذير منها، فإن هذا من جملة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذي أمر الله به ورسوله)[١].

٤- وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (... فكشفُ عورات هؤلاء وبيان فضائحهم وفساد قواعدهم من أفضل الجهاد في سبيل الله، وقد قال النبي ﷺ لحسان بن ثابت: «**إن روح القدس معك ما دمت تنافح عن رسوله ﷺ**»، وقال: «**اهجهم أو هاجهم وجبريل معك**»، وقال: «**اللّهم أيده بروح القدس ما دام ينافح عن رسولك ﷺ**»، وقال عن هجائه لهم: «**والذي نفسي بيده لهو أشد فيهم من النبل**»، وكيف لا يكون بيان ذلك من الجهاد في سبيل الله وأكثر هذه التأويلات المخالفة للسلف الصالح من الصحابة والتابعين وأهل الحديث قاطبة وأئمة الإسلام الذين لهم في الأمة لسان صدق يتضمن من عبث المتكلم بالنصوص وسوء الظن بها من جنس ما تضمنه طعن الذين يلمزون الرسول ﷺ ودينه وأهل النفاق والإلحاد لما فيه من دعوى أن ظاهر كلامه إفك ومحال وكفر وضلال وتشبيه وتمثيل أو تخييل، ثم صرفها إلى معان يعلم أن إرادتها بتلك الألفاظ من نوع الأحاجي والألغاز، لا يصدر ممن قصده نصحٌ وبيان، فالمدافعة عن كلام الله ورسوله ﷺ والذب عنه من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله وأنفعها للعبد، ومن رزقه الله بصيرة

---

(١) المرجع السابق، ٣٥ / ٤١٤.

نافذة علم سخافة عقول هؤلاء المحرفين، وأنهم من أهل الضلال المبين، وأنهم إخوان الذين ذمهم الله بأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، الذين لا يفقهون، ولا يتدبرون القول، وشبههم بالحمر المستنفرة تارة، وبالحمار الذي يحمل أسفارًا تارة...)[١].

٥- وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: (اعلم أن ذكر الإنسان بما يكره محرم؛ إذا كان المقصود منه مجرد الذم والعيب والنقص. فأما إذا كان فيه مصلحة لعامة المسلمين، أو خاصة لبعضهم، وكان المقصود به تحصيل تلك المصلحة، فليس بمحرم، بل مندوب إليه..... فأما أهل البدع والضلالة، ومن تَشَبَّه بالعلماء وليس منهم، فيجوز بيان جهلهم، وإظهار عيوبهم، تحذيرًا من الاقتداء بهم. ومن عُرف منه أنه أراد برده على العلماء النصيحة لله ورسوله ﷺ؛ فإنه يجب أن يُعامل بالإكرام، والاحترام، والتعظيم، كسائر علماء المسلمين الذين سبق ذكرهم، وأمثالهم، ومن تبعهم بإحسان. ومن عُرف أنه أراد برده عليهم التنقيص، والذم، وإظهار العيب؛ فإنه يستحق أن يقابل بالعقوبة؛ ليرتدع هو ونظراؤه عن هذه الرذائل المحرمة)[٢].

٦- وقال عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: (فالواجب على علماء المسلمين توضيح الحقيقة، ومناقشة كل جماعة، أو جمعية ونصح الجميع؛ بأن يسيروا في الخط الذي رسمه الله لعباده، ودعا إليه نبينا ﷺ، ومن تجاوز هذا أو استمر في عناده لمصالح شخصية أو لمقاصد لا يعلمها إلا الله- فإن

---

(١) الصواعق المرسلة، ابن القيم، ١ / ٣٠٢، ٣٠٣.

(٢) الفرق بين النصيحة والتعبير، ابن رجب، ص ٩١.

الواجب التشهير به والتحذير منه ممن عرف الحقيقة، حتى يتجنب الناس طريقهم وحتى لا يدخل معهم من لا يعرف حقيقة أمرهم فيضلوه ويصرفوه عن الطريق المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه في قوله جل وعلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]. ومما لا شك فيه أن كثرة الفرق والجماعات في المجتمع الإسلامي مما يحرص عليه الشيطان أولًا وأعداء الإسلام من الإنس ثانيًا، لأن اتفاق كلمة المسلمين ووحدتهم وإدراكهم الخطر الذي يهددهم ويستهدف عقيدتهم يجعلهم ينشطون لمكافحة ذلك والعمل في صف واحد من أجل مصلحة المسلمين ودرء الخطر عن دينهم وبلادهم وإخوانهم وهذا مسلك لا يرضاه الأعداء من الإنس والجن، فلذا هم يحرصون على تفريق كلمة المسلمين وتشتيت شملهم وبذر أسباب العداوة بينهم، نسأل الله أن يجمع كلمة المسلمين على الحق وأن يزيل من مجتمعهم كل فتنة وضلالة، إنه ولي ذلك والقادر عليه)[2].

٧- وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (لا شك أن الضوابط لهذا الخلاف هي الرجوع إلى ما أرشد الله إليه في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[3]، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ

(١) سورة الأنعام، ١٥٣.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، ابن باز، ٥ / ٢٠٢.

(٣) سورة النساء، ٥٩.

﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[١] فالواجب على من خرج عن الصواب في العقيدة أو في العمل أي في الأمور العلمية والعملية أن يُناقش حتى يتبين له الحق فيرجع إليه أما خطؤه فيجب علينا أن نبين الخطأ وأن نحذر من الخطأ بقدر الاستطاعة، ومع ذلك لا نيأس، فإن الله قد رد أقوامًا لهم بدع كبيرة حتى صاروا من أهل السنة...الخ)[٢].

٨- وقال إبراهيم الرحيلي: (... فلذا تقرر وجود دفع هذه المفاسد بغلق بابها، وهو ترك تعظيم أهل البدع، بل وإهانتهم ومبالغة في تلك المفاسد قبل وقوعها، ورجاء تحقق مصلحة رجوع ذلك المبتدع للسنة- فإن إهانته من باب التعزير له- ومن هنا تتنزل مشروعية إهانة أهل البدع عند أهل السنة، فإنه لو لم يكن في إهانة أهل البدع إلا درء تلك المفاسد وجلب تلك المصالح لكانت كافية في تقريرها، فكيف وقد جاء الأمر الصريح من الله ورسوله ﷺ بإهانة أهل البدع والنهي عن تعظيمهم. فظهر بهذا أن تقرير أهل السنة لهذا الأصل إنما جاء لمقاصد شرعية محضة، ومطالب دينية سامية، فيجب التنبه لهذا والتنبيه عليه)[٣].

---

(١) سورة الشورى، ١٠.

(٢) الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات، ابن عثيمين، ص١٠٧.

(٣) موقف أهل السنة من أهل البدع، إبراهيم الرحيلي، ٢ / ٥٧٨.

المبحث السادس

التفريق بين قاعدتي الأصل في العبادات المنع والأصل في الأشياء الإباحة

القاعدة الأولى: الأصل في العبادات التوقيف أو المنع.

القاعدة الثانية: الأصل في الأشياء الإباحة.

المبحث السادس

التفريق بين قاعدتي الأصل في العبادات المنع، والأصل في الأشياء الإباحة

نثبت هنا التفريق بين القاعدتين لوجود الخلط بينهما عند بعض المتعالمين، أو أصحاب الأهواء الذين يبحثون عن ما يؤيد أهواءهم، فنثبتها حتى لا يلتبس الأمر على المسلم. وقد ثبت في مؤلفات السلف التفريق بين هاتين القاعدتين.

القاعدة الأولى: الأصل في العبادات التوقيف أو المنع.

الأصل في العبادات التوقيف، أو الأصل في العبادات المنع، أو الأصل في العبادات التحريم. ولبيان معنى هذه القاعدة نقول:

إن حقيقة الدين تتمثل في أمرين: ألا يُعبد إلا الله، وألا يُعبد الله إلا بما شرع. فمن ابتدع عبادة من عنده كائنا من كان، فهي ضلالة ترد عليه، لأن الشارع وحده هو صاحب الحق في إنشاء العبادات التي يُتقرب بها إليه. يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومعلوم أنه لا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله، ولا تأثيم إلا ما أثم الله ورسوله به فاعله، كما أنه لا واجب إلا ما أوجبه الله، ولا حرام إلا ما حرمه الله، ولا دين إلا ما شرعه الله، فالأصل في العبادات البطلان حتى يقوم دليل على الأمر، والأصل في العقود والمعاملات الصحة حتى يقوم دليل على الأمر. والفرق بينهما أن الله سبحانه لا يُعبد إلا بما شرعه على ألسنة رسله، فإن العبادة حقه على عباده، وحقه الذي أحقه هو ورضي به وشرعه)[1]. ويقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (...

---

(١) إعلام الموقعين، ابن القيم، ١ / ٣٤٤.

فباستقراء الشريعة نعلم أن العبادات التي أوجبها الله أو أحبها لا يثبت الأمر بها إلا بالشرع)(١). ويقول أيضًا: (باب العبادات والديانات والتقربات متلقاة عن الله ورسوله، فليس لأحد أن يجعل شيئًا عبادة أو قربة، إلا بدليل شرعي)(٢).

خلاصة معنى هذه القاعدة: أنه لا يجوز التعبد لله تعالى إلا بنص من كتاب الله تعالى، أو نص صحيح صريح من سنة رسول الله ﷺ. وينتج عن هذا أن من تعبد الله بغير دليل فهو مبتدع، وكل عبادة ليس عليها دليل فهي بدعة.

دليل هذه القاعدة من هدي الرسول ﷺ: قوله ﷺ: **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»**. وفي رواية: **«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»**(٣).

تطبيقات هذه القاعدة من أقوال السلف وأفعالهم:

١- أَنَّ رَجُلًا عَطَسَ إِلَى جَنْبِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: وَأَنَا أَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَلَيْسَ هَكَذَا عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عَلَّمَنَا أَنْ نَقُولَ: **«الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»**(٤).

---

(١) القواعد النورانية، ابن تيمية، ص١١٢.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٣١/٣٥.

(٣) سبق تخريجها ص ٩.

(٤) رواه الترمذي، كتاب الأدب، باب ما يقول العاطس إذا عطس، رقم ٢٦٦٢. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٢/٣٥٣، رقم ٢٢٠٠.

٢- رَأَى سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ رَحِمَهُ اللَّهُ رَجُلًا يُصَلِّي بَعْدَ الْعَصْرِ الرَّكْعَتَيْنِ يُكْثِرُ فَقَالَ لَهُ. فَقَالَ: (يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَيُعَذِّبُنِي اللَّهُ عَلَى الصَّلَاةِ؟! قَالَ: لَا وَلَكِنْ يُعَذِّبُكَ اللَّهُ بِخِلَافِ السُّنَّةِ)[١].

قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على هذا الأثر: (وهذا من بدائع أجوبة سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى، وهو سلاح قوي على المبتدعة الذين يستحسنون كثيرًا من البدع باسم أنها ذكر وصلاح!! ثم ينكرون على أهل السنة إنكار ذلك عليهم، ويتهمونهم بأنهم ينكرون الذكر والصلاة!! وهم في الحقيقة إنما ينكرون خلافهم للسنة في الذكر والصلاة ونحو ذلك)[٢].

٣- يقول سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ: (سمعت مالك بن أنس، وأتاه رجل، فقال: يا أبا عبد الله! من أين أحرم؟ قال: «من ذي الحليفة، من حيث أحرم رسول الله ﷺ». فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر. قال: لا تفعل، فإني أخشى عليك الفتنة. فقال:و أي فتنة في هذه؟!إنما هي أميال أزيدها !!قال: «وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ؟ إني سمعت قول الله: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٣][٤].

٤- وهذه وصية عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ إلى بعض عماله يوصيهم

---

(١) رواه الدارمي، المقدمة، باب ما يُتقى من تفسير حديث النبي ﷺ، ١/ ١١٦، رقم ٤٣٧. وعبد الرزاق في المصنف، ٣ / ٥٢.

(٢) إرواء الغليل، الألباني، ٢ / ٢٣٦.

(٣) النور:٦٣.

(٤) إرواء الغليل، الألباني، ٤ / ٢٠١.

بإحياء السنة وإماتة البدعة: (أوصيكم بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة رسوله ﷺ، وترك ما أحدث المحدثون بعده، فيما قد جرت به سنته، وكفوا مؤونته. واعلم أنه لم يبتدع إنسان بدعة إلا قدم قبلها ما هو دليل عليها، وعبرة فيها، فعليك بلزوم السنة، فإنها لك بإذن الله عصمة. واعلم أن من سن السنن قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والتعمق والحمق، فإن السابقين عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، وكانوا هم أقوى على البحث ولم يبحثوا)[١].

٥- يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ مناقشًا مسألة إهداء ثواب القراءة للموتى، حيث جزم بعدم وصولها، معللًا سبب المنع بقوله: (إنه ليس من عملهم، ولا كسبهم، ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته، ولا حثهم عليه، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ولو كان خيرًا، لسبقونا إليه. وباب القربات يقتصر فيه على النصوص، ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء)[٢].

٦- يقول بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أنه قد عهد من مدراك الشرع أن أمور العباد التعبدية توقيفية، لا تشرع إلا بنص نصبه الله على حكمه، مسلم الثبوت والدلالة، لضمان الاتباع عن الابتداع، ودرء الغلط والحدث)[٣].

القاعدة الثانية: الأصل في الأشياء الإباحة.

هذه قاعدة علمية صحيحة، لكنها لا تتنزل على العبادات أبدًا، إنما

---

(١) الإبانة، ابن بطة، رقم ١٦٣. وشرح أصول السنة، اللالكائي، رقم ١٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/٤٠١.

(٣) مرويات دعاء ختم القرآن، بكر أبو زيد، ١١-١٢.

تتنزل على ما خلقه الله من أشياء ومنافع ينتفع بها الخلق، وأن الأصل فيها الحل والإباحة. فالإتيان بها هنا هو من باب بيان ضدها من جانب، والرد على مَن استدل بها في أبواب العبادات من جانب آخر. وهذه القاعدة تدفع ظن كثير من القاصرين الذين إذا أنكرت عليهم بدعة وقعوا فيها أو عبادة اخترعوها، أجابوك وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا:... كيف؟ إذن السيارة بدعة... والكهرباء بدعة... والساعة بدعة.. والتليفون بدعة.. والأنترنت بدعة.. والفضائيات بدعة... وهكذا.

يقول يوسف القرضاوي بعد أن بين الوجه الصحيح لهذه القاعدة: (وهذا بخلاف العبادة، إنها من أمر الدين المحض، الذي لا يؤخذ إلا عن طريق الوحي، وفيها جاء الحديث الصحيح «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد**»[1])[2].

ولفهم هذه القاعدة واستيعابها يجب فهم معنى هذين الحديثين الصحيحين:

الأول: قوله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد**».

والثاني: حادثة تأبير النخل المشهورة: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ فَقَالَ: «**لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَ. قَالَ: فَخَرَجَ شِيصًا. فَمَرَّ بِهِمْ فَقَالَ: مَا لِنَخْلِكُمْ؟!» قَالُوا: قُلْتَ كَذَا وَكَذَا. قَالَ: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ**»[3].

---

(١) سبق إيراده وتخريجه ص ٩.

(٢) الحلال والحرام، يوسف القرضاوي، ص ٢١.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله رسول الله ﷺ شرعًا دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي، رقم ٤٣٥٨.

وقد بوب له النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لصحيح مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: (باب وجوب امتثال ما قاله رسول الله ﷺ شرعًا دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي). وهو تبويب دقيق جدًا.

إن تحليل الحلال، وتحريم الحرام، وتشريع العبادات، وبيان كميتها وكيفيتها وأوقاتها، ووضع القواعد العامة في المعاملات، لا يكون إلا من الله ورسوله، ولا دخل للعباد فيها سواءً من العلماء أو غيرهم، ولا يُرجع إلى العلماء إلا عند التنازع، وإنما نرجع في ذلك كله إلى الله ورسوله. وأما أمور الدنيا، فكل صاحب صنعة أو مهنة فهو أدرى بها، وهو الذي يُسأل عنها، فأهل الزراعة أعلم بما يصلحها ويرقيها، فإذا أصدروا أمرًا يتعلق بالزراعة، يجب على الأمة طاعتهم فيه. ورؤساء التجارة والصناعة كذلك. وهكذا.

وإن الرجوع إلى العلماء في المصالح العامة كالرجوع إلى الطبيب في معرفة الضار من الغذاء حتى يترك، والنافع منه حتى يتناول، وهذا ليس معناه أن الطبيب قد أحل لنا النافع أو حرم الضار، وإنما هو مرشد فقط، والذي أحل وحرم هو الله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾[1]، وبذلك تعلم أن كل بدعة في الدين، فهي ضلالة ترد على صاحبها، وأما البدعة في الدنيا، فلا حجر فيها ما دامت لا تهدم أصلا من الأصول التي وضعها الدين، فالله تعالى يبيح لك أن تخترع في الدنيا ما شئت، وفي صناعتك ما شئت، لكن يوجب عليك المحافظة على قاعدة

---

(١) الأعراف ١٥٧.

العدل، ودرء المفاسد وجلب المنافع[1]

والقاعدة عند أهل العلم في هذا الباب - كما قال ابن تيمية -: (أن أعمال الخلق تنقسم إلى: عبادات يتخذونها دينا، ينتفعون بها في الآخرة، أو في الدنيا والآخرة، وإلى عادات ينتفعون بها في معايشهم. فالأصل في العبادات: أن لا يشرع فيها إلا ما شرعه الله. والأصل في العادات: أن لا يحظر منها إلا ما حظره الله)[2].

يتضح من هذا أنه لا ابتداع في العادات ولا في الصناعات ولا في وسائل الحياة العامة؛ لأن هذه الأمور لا شأن لها في حقيقة العبادات، إنما ينظر إليها من كونها تخالف الأحكام الشرعية من حيث أصولها، أم هي مندرجة تحتها.

لكن إذا اتخذت العادة عبادة فحينئذٍ تدخلها البدعة.

وخلاصة هذا: أن كل علم مستحدث ينفع الناس يجب تعلمه على بعض أفراد المسلمين، ليكون قوة لهم ترقى بها الأمة الإسلامية، وإنما البدعة ما يستحدثه الناس في أنواع العبادات فقط، وما كان في غير العبادات، ولم يخالف قواعد الشريعة، فليس بدعة أصلا.

يقول ابن تيمية: (وأما العاديات، فهي ما اعتاده الناس في دنياهم مما يحتاجون إليه، والأصل فيه عدم الحظر، فلا يحظر منه إلا ما حظره الله سبحانه وتعالى، وذلك لأن الأمر والنهي هما شرع الله، والعبادة لا بد أن

---

(١) انظر تفصيلًا جيدًا لهذه القاعدة في: أصول في البدع والسنن، محمد أحمد العدوي، ص٩٤، ١٠٦. والاعتصام، الشاطبي، ١/٣٧.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، ٢/٥٨٢.

تكون مأمورا بها، فما لم يثبت أنه مأمور به، كيف يحكم عليه بأنه محظور؟! ولهذا، كان أحمد وغيره من فقهاء أهل الحديث يقولون: إن الأصل في العبادات التوقيف، فلا يشرع منها إلا ما شرعه الله، وإلا دخلنا في معنى قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾(١).

والعادات الأصل فيها العفو، فلا يحظر منها إلا ما حرمه الله، وإلا دخلنا في معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا ﴾(٢).

(وهذه قاعدة عظيمة نافعة)(٣). وقال يوسف القرضاوي: (وأما العادات أو المعاملات، فليس الشارع منشئا لها، بل الناس هم الذين أنشؤوها، وتعاملوا بها، والشارع جاء مصححًا ومعدلًا ومهذبًا ومقرًا في بعض الأحيان، ما خلا عن الفساد والضرر منها)(٤).

وبمعرفة هذه القاعدة تتميز الأحكام الصادرة على الحوادث والمستجدات، فلا تختلط عادة بعبادة، ولا تلتبس طاعة محدثة باختراع عصري!. فكل له رسمه، وكل له حكمه.

---

(١) الشورى: ٢١.

(٢) يونس: ٥٩

(٣) القواعد النورانية، ابن تيمية، ص ٢٢.

(٤) الحلال والحرام، القرضاوي، ص ٢١.

المبحث السابع
أقوال بعض السلف في التحذير من أهل البدع، والرد عليهم

الآثار الثابتة عن السلف في التحذير من البدع وأهلها، والرد على المبتدعة كثيرة جدًا، مما يدل على اهتمام علماء الأمة بموضوع البدعة اهتمامًا كبيرًا، حتى أصبحت مؤلفاتهم فيها لا تُحصى. ونذكر من أقوال السلف في التحذير من البدع ما يلي:

١- قول ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين سئل عن القدرية قال: «فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني»[١].

٢- قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (لا تجالس أهل الأهواء فإن مجالستهم ممرضة للقلوب)[٢].

٣- قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إنما يماشي الرجل، ويصاحب من يحبه ومن هو مثله)[٣].

٤- قال ابن عون رَحِمَهُ اللَّهُ: (كان محمد بن سيرين- رحمه الله تعالى- يرى أن أسرع الناس ردة أهل الأهواء، وكان يرى أن هذه الآية أُنزلت فيهم)[٤].

٥- قال الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (اتقوا الله معشر المسلمين، واقبلوا نصح الناصحين، وعظة الواعظين، واعلموا أن هذا العلم دين فانظروا ما

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم ٩.

(٢) الإبانة، ابن بطة، ٢/٤٣٨.

(٣) المرجع السابق، ٢/٤٧٦.

(٤) المرجع السابق، ٢/٤٣١.

تصنعون وعمن تأخذون وبمن تقتدون ومن على دينكم تأمنون؛ فإن أهل البدع كلهم مبطلون أفّاكون آثمون لا يرعوون ولا ينظرون ولا يتقون...... فكونوا لهم حذرين متهمين رافضين مجانبين، فإن علماءكم الأولين ومن صلح من المتأخرين كذلك كانوا يفعلون ويأمرون)(١).

٦- قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن لله ملائكة يطلبون حلق الذكر، فانظر مع من يكون مجلسك، لا يكون مع صاحب بدعة؛ فإن الله تعالى لا ينظر إليهم، وعلامة النفاق أن يقوم الرجل ويقعد مع صاحب بدعة، وأدركت خيار الناس كلهم أصحاب سنة وهم ينهون عن أصحاب البدعة)(٢). و من أقوله أيضًا: (لا تجلس مع صاحب بدعة، فإني أخاف أن تنزل عليك اللعنة، ومن أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه، وآكل مع يهودي ونصراني ولا آكل مع مبتدع وأحب أن يكون بيني وبين صاحب بدعة حصن من حديد)(٣).

٧- وورد أن ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (كان إذا سمع كلمة من صاحب بدعة وضع إصبعيه في أذنيه ثم قال: لا يحل لي أن أكلمه حتى يقوم من مجلسه)(٤).

٨- قال معمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كان ابن طاووس جالسًا فجاء رجل من المعتزلة فجعل يتكلم، قال فأدخل ابن طاووس إصبعيه في أذنيه، وقال

---

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٣٦٢/٦.

(٢) حلية الأولياء، أبي نعيم، ١٠٤/٨.

(٣) الإبانة، ابن بطة، ٤٦٠/٢.

(٤) المرجع السابق، ٤٧٣/٢.

لابنه: أي بني أدخل أصبعيك في أذنيك واشدد، ولا تسمع من كلامه شيئًا)[١].

٩- قال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (صاحب البدعة على وجهه الظلمة وإن ادّهن كل يوم ثلاثين مرة)[٢].

١٠- قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أهل البدع ما ينبغي لأحد أن يجالسهم ولا يخالطهم ولا يأنس بهم)[٣]. وقال أيضًا: (إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة فارجه، وإذا رأيته مع أصحاب البدع فايئس منه؛ فإن الشاب على أول نشوئه)[٤].

١١- قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإن توقير صاحب البدعة مظنّة لمفسدتين تعودان على الإسلام بالهدم: إحداهما: التفات الجهال والعامة إلى ذلك التوقير، فيعتقدون في المبتدع أنّه أفضل الناس، وأن ما هو عليه خير مما عليه غيره، فيؤدي ذلك إلى اتباعه على بدعته دون اتباع أهل السنّة على سنّتهم.

والثانية: أنه إذا وُقِّرَ من أجل بدعته صار ذلك كالحادي المحرض له على إنشاء الابتداع في كل شيء. وعلى كل حال فتحيا البدع وتموت السنن، وهو هدم الإسلام بعينه)[٥].

---

(١) المرجع السابق، ٢/٤٤٦.

(٢) شرح أصول الاعتقاد، اللالكائي، ١/٢٧٥.

(٣) الإبانة، ابن بطة، ٢/٤٧٥.

(٤) الآداب الشرعية، ابن مفلح، ٣/٧٧.

(٥) الاعتصام، الشاطبي، ١/١١٤.

١٢- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيمن يوالي الاتحادية وهي قاعدة عامة في جميع أهل البدع: (ويجب عقوبة كل من انتسب إليهم، أو ذب عنهم، أو أثنى عليهم، أو عظم كتبهم، أو عُرف بمساندتهم ومعاونتهم، أو كره الكلام فيهم، أو أخذ يعتذر لهم بأن هذا الكلام لا يدرى ما هو، أو من قال إنه صنف هذا الكتاب، وأمثال هذه المعاذير، التي لا يقولها إلا جاهل، أو منافق؛ بل تجب عقوبة كل من عرف حالهم، ولم يعاون على القيام عليهم، فإن القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات؛ لأنهم أفسدوا العقول والأديان، على خلق من المشايخ والعلماء، والملوك والأمراء، وهم يسعون في الأرض فسادًا، ويصدون عن سبيل الله)[١].

١٣- قال أرطاة بن المنذر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لأن يكون ابني فاسقًا من الفساق أحب إليّ من أن يكون صاحب هوى)[٢].

وكان السلف يعدون من مناقب العالم شدته على أهل البدع، ومن أمثلة ذلك:

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقد كان الإمام أحمد بن حنبل لشدة تمسكه بالسنّة ونهيه عن البدعة يتكلم في جماعة من الأخيار إذا صدر منهم ما يخالف السنّة، وكلامه ذلك محمول على النصيحة للدين)[٣].

وقال البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٢/١٣٢.

(٢) الإبانة، ابن بطة، ٢/٤٤٦.

(٣) مناقب الإمام أحمد، ابن الجوزي، ص٢٥٣.

شديدًا على أهل الإلحاد وأهل البدع مجاهرًا ببغضهم وهجرهم)[١].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن إمام أهل السنّة في عصره أبو محمد الحسين بن علي البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (العالم الزاهد الفقيه الحنبلي الواعظ، صاحب المروزي وسهلًا التستري،... وكان شديدًا على أهل البدع والمعاصي، وكان كبير القدر تعظمه الخاصة والعامة)[٢]. وقال عنه ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (شيخ الطائفة في وقته ومتقدّمها في الإنكار على أهل البدع والمباينة لهم باليد أو اللسان)[٣].

وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا عن أبي إسماعيل عبد الله الأنصاري الهروي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:(كان سيّدًا عظيمًا وإمامًا عارفًا وعابدًا زاهدًا... شديد القيام في نصر السنّة والذبّ عنها والقمع لمن خالفها، وجرى له بسبب ذلك محنٌ عظيمة، وكان شديد الانتصار والتعظيم لمذهب أحمد)[٤].

---

(١) مناقب الشافعي، البيهقي، ص ٤٦٩.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ١١/٢١٣.

(٣) طبقات الحنابلة، ابن رجب، ٢/١٨.

(٤) المرجع السابق، ٣/٦٠.

الخاتمة وفيها نتيجة البحث:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام الاتمان الاكملان على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. أما بعد:

فبعد قضاء وقت مبارك . إن شاء الله . بتجوال في رياض القرآن والسنة، وبين ثمار كثير من تراثنا الإسلامي الزاخر، ومعايشة لواقع الدعوة إلى الله تعالى، اقتطفت ما يسر الله من ثمار ذلكم التراث، وما جاد به الفكر والبحث والدراسة ومعايشة واقع الدعوة فكانت النتيجة هذا البحث المختصر الذي أُوجز نتائجه في الآتي:

١- أن النقد قسمان محمود ومذموم، والمحمود هو ما تحتاجه الدعوة والدعاة إلى الله، كما أنه ينبغي للدعاة أن يكونوا على علم بآداب النقد المحمود وشروطه.

٢- أن النقد الهادف يقرب وجهات النظر، ولا يستغني عنه المجتمع الذي يشجع الموهبة والإبداع واحترام الآخرين والعدل بينهم.

٣- أن الفهم الصحيح للنصوص هو فهم السلف الصالح من صحابة النبي ﷺ الذين أخذوا عنه، وتابعيهم القريبي عهد من نبيهم والمعاصرين لصحابته رضي الله عنهم.

٤- أن الدين قد كمل على لسان النبي ﷺ كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1] فمن أتى بعبادة لم تشرع بنص من كتاب أو سنة فهي بدعة، لأن العبادة توقيفية.

---

(١) سورة المائدة، الآية ٣.

٥- أن لنقد البدع ودعوة أصحابها منهج مستنبط من الكتاب والسنة وعمل وفهم السلف الصالح المبني على الحكمة، والذي يدور بين السر والعلانية حينًا، وبين اللين والشدة حينًا آخر، كل ذلك بما يتناسب مع نوع البدعة، وحال مرتكبها، مع العمل على درء المفسدة وجلب المصلحة.

٦- أن المتلبسين بالبدع ليسوا على درجة واحدة، كما أنهم ليسوا على مستوى واحد من الفهم والعلم، وبناءً على ذلك لا تستوي البدع في الذم، وكذلك الواقعون فيها لا يستوون، ومقتضى العدل الذي أُمرنا به كما في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾[1] يتطلب منا العدل عند النقد، فلا تدفع الناقد الغيرة غير المنضبطة إلى مصادرة الجوانب الحسنة والإيجابيات التي يتصف بها المبتدع، ومن نتائج ذلكم العدل استجابة المنقود وقبوله الحق.

وأخيرًا فما كان في هذا البحث من صواب فذاك توفيق الله، وما كان فيه من خطأ فهو مني والله ورسوله برئيان من ذلك، وأستغفر الله من الخطأ والزلل، ولكن حسبي أنني اجتهدت وسعي والله يغفر لي. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٢.

الصابئة

دراسة تاريخية دعوية

الصابئة
دراسة تاريخية دعوية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وأصلي وأسلم على معلم البشرية، الهادي إلى الحنيفية النقية، المأمور بتطهيرها من كل شوائب الشرك الخفية والجلية، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأخيار الأطهار وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم المعاد أما بعـد.

فإن دراسة أصناف المدعوين واجب الدعاة، وخاصة أصحاب التخصص الأكاديمي، ليُفيدوا في أساليب ووسائل الدعوة، ودوافع الإنكار ولاستجابة، والمعوقات التي تقف في طريق دعوة كل صنف من أصناف المدعوين. وإن توجه الباحثين والمتخصصين في علم الدعوة إلى دراسة الديانات والفرق ظاهرة صحية تسهم في إفادة الدعاة إلى الله بين صفوف الديانات والفرق المختلفة، ورد الشبهات التي تُثار على الإسلام. وإن من هذه الديانات الفرقة القديمة التي أثبت تاريخ الأنبياء وقصصهم وجودهم منذ زمن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا زالت هذه الديانة باقية في موطنها الأصلي بلاد الرافدين، فرأيت أن أقدم د، اسة تاريخية دعوية تبرز تاريخ دعوة الصابئة إلى الإسلام قديمًا وحديثًا ومعوقاتها والسبل المناسبة لدعوتهم في هذا العصر. وكان منهجي في الدراسة على النحو التالي:

١- جمع ما يتيسر من المادة العلمية من المكتبات ومراكز المعلومات والقواعد العلمية والمواقع المفيدة في الشبكة العنكبوتية، وبحمد الله تيسر

لي جمع مادة علمية جيدة كانت هي منطلق الدراسة.

٢- بعد دراسة هذه المادة العلمية دراسة تاريخية تحليلية دعوية، قمت بتقسيمها إلى مواضيع أساسية اتضحت بعدها معالم خطة الدراسة على النحو التالي:

المبحث التمهيدي: تعريفات ومقدمات. وفيه ثمانية مطالب على النحو الآتي:

المطلب الأول: تعريف الصابئة.

المطلب الثاني: حجم الصابئة بين الديانات.

المطلب الثالث: مواقع الانتشار وإحصائيات أعدادهم

المطلب الرابع: تاريخ النشأة.

المطلب الخامس: أبرز المعتقدات والأفكار.

المطلب السادس: أبرز شخصيات الصابئة قديمًا وحديثًا.

المطلب السابع: مصادر ديانة الصابئة.

المطلب الثامن: المؤلفات التي كُتبت في الصابئة.

المبحث الأول: تاريخ دعوة الصابئة إلى الإسلام.

المطلب الأول: تاريخ دعوة الصابئة عبر العصور الإسلامية.

المطلب الثاني: مظاهر التأثر والتأثير بين الديانة الصابئية والمسلمين.

المبحث الثاني: وسائل دعوة الصابئة وأساليبها قديمًا.

المطلب الأول: وسائل دعوة الصابئة.

المطلب الثاني: أساليب دعوة الصابئة.

المبحث الثالث: أبرز القضايا في دعوة الصابئة.

المطلب الأول: التنجيم.

المطلب الثاني: إنكار النبوة.

المبحث الرابع: أهم المعوقات والمقترحات حول مستقبل دعوتهم إلى الإسلام في العصر الحاضر.

المطلب الأول: أهم معوقات دعوتهم إلى الإسلام في العصر الحاضر.

المطلب الثاني: أهم المقترحات حول مستقبل دعوتهم إلى الإسلام في العصر الحاضر.

وبعد فهذا جهد المقل، وحسبي أني جمعت معلومات لا بأس بها استفدت منها شخصيًا، وارتأيت الإفادة منها، وأرجو أن تكون بداية لدراسة أوسع وأشمل، مع دعائي الصادق لكل من كان له يد عون لي، وأسأل الله التوفيق والسداد وقبول الأعمال إنه ولي ذلك والقادر، وصلى الله وسلم على إمام الدعاة وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث التمهيدي: تعريفات ومقدمات

المطلب الأول

تعريف الصابئة

أولًا: معنى الصابئة عند أهل اللغة:

أن الصابئة مشتقة من الفعل صبأ: أي خرج، بمعناه العربي خرج من دين إلى دين، ويقال صبأت النجوم إذا طلعت. وصبأت ثنية الغلام إذا خرجت. ولذلك كانو يسمون النبي ﷺ الصابئ[1].

ثانيًا: معنى الصابئة عند المفسرين:

ورد ذكر الصابئية في القرآن في ثلاث آيات فقط، في سياق ذكر أهل الديانات السماوية في آيتين هما قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[3].

وفي سياق أهل الديانات السماوية والمجوس والذين أشركوا في آية واحدة وهي قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[4]. ولم أجد فيما اطلعت عليه من أقوال المفسرين من أشار إلى

---

(١) انظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مادة صبأ، ص٥٦. وتاج العروس، الزبيدي، ١/١٥٨.

(٢) سورة البقرة، ٦٢.

(٣) سورة المائدة، ٦٩.

(٤) سورة الحج، ١٧.

هذين السياقين واستنباط مدلولاتها. أما أقوالهم في تفسير هذه الآيات فتتلخص في الآتي:

١- أنهم طائفة من أهل الكتاب. ولم يحدد أصحاب هذا القول هل هم من اليهود أم من النصارى، وعلى ذلك فلا بأس بذبائحهم ومناكحة نسائهم، قال السدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كلامه على سبب نزول آية البقرة: نزلت في أصحاب سلمان الفارسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، إذ ذكر أصحابه عند النبي ﷺ فقال: كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون بك، فقال ﷺ: يا سلمان مِنهم أهل النار. فأشتد ذلك على سلمان، فنزلت هذه الآية[١]. وهو قول ابن راهويه، وأبي حنيفة رحمهم الله[٢].

٢- أنهم من جملة فرق النصارى وهو اختيار ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣].

٣- أنهم قوم يشبه دينهم دين النصارى إلا أن قبلتهم نحو مهب الريح، يزعمون أنهم على دين نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو قول الخليل[٤].

٤- أنهم قوم تركب دينهم بين اليهودية والمجوسية، لا تؤكل ذبيحتهم، وهو قول مجاهد والحسن رحمهم الله[٥].

٥- أما خلاصة قول القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فهو: الذي تحصل من مذهبهم أنهم موحدون في بعض مسائل العقيدة معتقدون تأثير النجوم وأنها فعالة[٦].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/ ٩٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١/ ٤٣٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي، ١/ ٤٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١/ ٤٣٤.

(٥) المرجع السابق، ١/ ٤٣٥.

(٦) المرجع السابق، ١ / ٤٣٥.

ثالثًا: معنى الصابئة عند المحققين وعلماء الملل والنحل

١- يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (أما الصابئون الحنفاء فهم في الصابئين بمنزلة من كان متبعًا لشريعة التوراة والإنجيل قبل النسخ والتبديل من اليهود والنصارى، وهؤلاء ممن حمدهم الله وأثنى عليهم، ووهب بن منبه من أعلم الناس بهم، قال: الصابئ هو الذي يعرف الله وحده، وليست له شريعة يعمل بها، ولم يحدث كفرًا.... ثم يقول ابن تيمية: لم يرد بذلك أنهم كفار، فإن الله قد أثنى على بعضهم، فهم مستمسكون بالإسلام المشترك، وهو عبادة الله وحده، وإيجاب الصدق والعدل وتحريم الفواحش والظلم، ونحو ذلك مما أتفقت الرسل على إيجابه وتحريمه... إلى أن قال: أما من قال أنهم من أهل الكتاب فهم يريدون من دخل في اليهودية أو النصرانية منهم فهو يقسمهم إلى صابئة حنفاء موحدين، وصابئة مشركون، فالأولون هم الذين أثنى الله عليهم في آيتي سورة البقرة والمائدة، أما الذين ابتدعوا الشرك ومالوا إلى الفلاسفة فهم مشركون... ولذلك ذكر الله في آية سورة الحج الملل الست الأربع المذكورة في آيتي البقرة والمائدة والمجوس والذين أشركوا، وأخبر أنه يفصل بينهم يوم القيامة، ولم يذكر في الست من كان مؤمنًا، إنما ذكر ذلك في الأربعة فقط)[١].

٢- يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (المقصود أن هذه الأمة قد شاركت جميع الأمم وفارقتهم، فالحنفاء منهم شاركوا أهل الإسلام في الحنيفية، والمشركون منهم شاركوا عباد الأصنام ورأوا أنهم على صواب)[٢].

---

(١) الرد على المنطقيين، ابن تيمية، ص ٢٨٧ - ٢٨٩.

(٢) إغاثة اللهفان، ابن القيم، ٢/ ٢٥١.

٣- يقول أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني عالم الملل والنحل المشهور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هم قوم يقولون بالمحسوس، والمعقول، والحدود، والأحكام. ولا يقولون بالشريعة والإسلام)[١].

أسباب اختلاف العلماء في تعريفهم:

١- أن لغة هذه الديانة اللغة الآرمية القديمة وهي لغة بائدة.

٢- خصوصية تعاليم الصابئة، فلا يحق للأتباع تعلم شيء مباشرة من كتب الصابئة إلا من خلال رجال الدين.

٣- إنزواء الصابئية عن غيرهم من الطوائف وعدم مخالطتهم لغيرهم.

٤- أنهم يعتبرون أنفسهم جنسًا مميزًا لا ينبغي لأحد مشاركتهم في عقيدتهم.

٥- أن من دينهم التقية وبها يتعاملون مع غيرهم من أهل الديانات.

٦- أنهم لا يدعون إلى ديانتهم ولايُحبون أن ينتمي إليها غيرهم.

٧- أنهم لا يهتمون بالرد على مخالفيهم، وهذا أدى إلى عدم تَبين حقيقة أفكارهم[٢].

رابعًا: معنى الصابئة في كتابات المعاصرين والمستشرقين:

١- يقول الأستاذ عباس محمود العقاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يشتركون مع أصحاب الأديان في شعائر كثيرة، ولا يعرف دين من الأديان تخلو عقيدة الصابئة من مشابهة له في إحدى الشعائر.. فهم يشبهون البراهمة والمجوس

---

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، ص ٢٥٨.

(٢) انظر: الصابئون أصولهم وعقائدهم، د. فهد الفائز، ص ١٤، ١٥. ومدخل في قواعد اللغة المندائية، نعيم بدوي، ص ١٥ - ٣٦.

والاورنيين (أصحاب النحل السرية) كما يشبهون اليهود والنصارى والمسلمين.. والفلاسفة وأصحاب المذاهب العقلية في تفسير الوجود والموجودات.. وهم كما يشبهون الجميع يخالفون الجميع)[1].

٢- يرى آخرون أنها مشتقة من كلمة (صباؤث) العبرية بمعنى جند السماء، دلالة على أنهم يعبدون الكواكب[2].

٣- يرى آخرون أنها مشتقة من (صبغ) العبرية بمعنى غطس إشارة إلى شعيرتهم الرئيسية وهي التعميد أو الغطس في الماء الجاري[3].

٤- يرى آخرون أنها مشتقة من الفعل (صبا) الآرمي بمعنى: يرتمس، يغتسل، يتعمد[4] وهذا الرأي يؤيده غالب الذين كتبوا في هذه الديانة من المتأخرين، وهم المستشرقة الليدي دراور، والتي تخصصت في دراسة هذه الديانة وتنقلت بين معتنقيها عدة سنوات كعادة المستشرقين، والأستاذ أوليري، والأستاذ عباس محمود العقاد رَحِمَهُ اللَّهُ، وأيد ذلك الدكتور/ رشدي عليان أستاذ الأديان في جامعة بغداد وقال: هو الأرجح لأمور:

١- لمطابقة ما عليه الصابئة اليوم من الارتماس والاغتسال في الماء الجاري.

٢- لورود هذه الكلمة بهذا المعنى في كثير من طقوسهم الدينية بلغتهم الآرمية القديمة.

---

(١) إبراهيم أبو الأنبياء، عباس محمود العقاد، ص ١٠٩.

(٢) انظر: الصابئون حرانيين ومندائيين، د. رشدي عليان، ص ٢٦.

(٣) انظر: دائرة المعارف الإسلامية، ١٤/٨٨.

(٤) انظر: الصابئون حرانيين ومندائيين، د. رشدي عليان، ص٢٨.

٣- أيد ذلك العقاد فهو يقول: سموا بالصابئة لكثرة الاغتسال في شعائرهم الدينية، وملازمتهم شواطئ الأنهار من أجل ذلك[١].

خامسًا: وهناك من يرد التسمية إلى أسم شخص هو صابئ بن متوشلخ حفيد النبي إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو على التوحيد كجده[٢].

وقد وضع الدكتور/ فهد الفايز تعريفًا جيدًا فقال:

الصابئية: ديانة من أقدم الديانات على وجه الأرض تدين لله بالتوحيد، ثم طرأ عليها التحريف بعد ذلك، وأنها تتخذ من آدم وشيث وإدريس ويحي عَلَيْهِ السَّلَامُ أنبياء لها على معنى النبوة عندهم[٣].

---

(١) المرجع السابق، ص٢٧ - ٣١.

(٢) الموجز في تاريخ الصابئة، عبد الفتاح الزهيري، نقحه فريد عبد الزهرة، ص٣٥.

(٣) الصابئون أصولهم وعقائدهم، د. فهد الفائز، ص ٦٨ .

المطلب الثاني

حجم الصابئة بين الديانات

في هذا العصر الذي تكاثر فيه أعداد البشرية، وكثرت تبعًا لذلك أعداد المتسبين للديانات والملل، وظهر فيه انتصار أصحاب كل ملة لملتهم، إلا أنني بعد البحث تبين لي أن هذه الديانة صغيرة من حيث عدد أتباعها ومن حيث مكانة ديانتها بين الأديان، ومن حيث مواقع انتشارها، فهي لاتُعرف كما تُعرف الأديان، ولا مكانة لمعتنقيها مقارنة بالأديان الأخرى.

وقد بينت في المطلب السابق أسباب اختلاف العلماء في تعريف هذه الديانة، وهو مما يبين ضعف حجمها بين الديانات بالإضافة إلى ذلك فإن من الأسباب أنه لم يُعرف عبر التاريخ وخاصة بعد ظهور الإسلام أن الصابئة كان لهم دولة مستقلة، والملة إذا قامت لها دولة سياسية تتبناها إزداد تمكينها وعُرفت بين الديانات والملل وهذا لم يتوفر للصابئة.وقد زخرت المكتبات بالمؤلفات في تاريخ الأمم إلا هذه الديانة فإن المؤرخين قد أهملوا تاريخها، وهذا دليل ضعف حجمها وضعف مكانتها بين الديانات. ومن الأسباب أيضًا أن ديانة الصابئة مليئة بالخرافات والتنجيم والكهانة وقراءة الكف والأمور التي لا يقرها العقل السليم مما أضعف قبولها بين الناس في زمن العلم(١).

ومما يثبت صغر حجمها بين الديانات ما قالته جامعة بغداد في تقييمها لكتاب الدكتور/ رشدي عليان المنشور عام ١٩٧٦م وهو تقييم أكاديمي

---

(١) الصابئون أصولهم وعقائدهم، د. فهد الفائز، ص٦٩٣.

تقول: (أن هذا الكتاب اتبع الطريقة العلمية الحديثة في اعتماده على المصادر الأساسية القديمة والحديثة، وأنه مفيد جدًا لدراسة هذه الديانة حيث أن معظم الصابئة في العراق على قلتهم. وكذلك لقلة الكتب المؤلفة فيهم، وهي على قلتها بعيدة في معالجتها عن الروح العلمية)[١].

أما أبناء هذه الطائفة فإنهم يعترفون أنهم أقلية في العالم كله، فضلًا عن موطنهم الأصلي العراق. يقول عربي الخميسي أحد أبناء هذه الطائفة، والمستشار القانوني لطائفة الصابئة المندائيين، بعد غزو قوات التحالف للعراق، بعدما بدأ العراقيون في وضع دستورهم الجديد: . (نؤكد والألم يحز في قلوب أبناء الطائفة المندائية، على الصيغة التي أتى بها الدستور المؤقت المعلن، فان عدم إعطاء حق هذه الاقلية وذكرهم في الدستور يعد خرقًا لحقوق المواطنة ومبادئ الديمقراطية، طالما كانت هي العتبة التي يقف عندها الشعب العراقي، للولوج إلى خط الشروع بجميع مكوناته بلا استثناء لبناء العراق الحديث. والسؤال المطروح هل من حق الأكثرية الحكم والتحكم بالاقلية؟ ربما يكون ذلك صحيحًا في مجال التجارة وحساب الربح والخسارة على أساس حيازة أكثرية الأسهم في بورصة المساومات أثناء عمليتي البيع والشراء، ولكن ليس في أمور الحق والعدل والمساواة، وحقوق الإنسان، وتقرير مصائر الناس، إن هذه الأمور لا تباع ولا تشترى أيها السادة.

إن طائفة الصابئة المندائيين لن تطلب المستحيل وهي تدرك جيدًا المرحلة الصعبة التي تمر بها البلاد ولكنها تشعر بمدى الغبن والإجحاف

---

(١) الصابئون حرانيين ومندائيين، د. رشدي عليان، ص ١٠.

حين لم يرد ذكرها في الدستور صراحة. ولا نعتقد أن خبراء القانون والمشرعين لهذا الدستور فاتهم ما يعنيه عدم ذكرهم، وما سيترتب على ذلك من أمور خطيرة هي مسألة حياة أو موت بالنسبة لهذه الطائفة وهو إنذار مبكر لها وما عليها إلا أن تفتش عن الملاذ الآمن للحفاظ على حياة أبنائها منذ الآن وقبل أي شيء آخر وقبل فوات الأوان)[١].

---

(١) www.faylee.info.Articles

المطلب الثالث

مواقع الانتشار وإحصائيات أعدادهم

تفيد الدراسات التي كتبت فيهم مع قلتها، وما اطلعت عليه من كتابات الصابئة أنفسهم وخاصة في الشبكة العنكبوتية الإنترنت، أنهم يعيشون على ضفاف الأنهار لأن شعيرتهم هي الارتماس في الماء الجاري. وموطنهم الأصلي ضفاف دجلة والفرات إلى الجهات الجنوبية من العراق، وشط العرب ومنطقة الأهوار وهذا أكثر تواجدهم، وجزء آخر يستوطنون جنوب إيران على ضفاف نهري الكارون والدز، والمدن الساحلية الإيرانية.

ولا تزال الغالبية العظمى منهم تسكن في هذه المناطق، إلا أنه في السنوات الأخيرة من القرن العشرين اتجهوا لسكنى المدن الكبرى في العراق طلبًا للرزق، ونزح قسم كبير منهم إلى بعض العواصم العربية كدمشق، وبيروت، والقاهرة، وهاجر قسم منهم إلى أوروبا وأمريكا وأستراليا، ويبدو أن من الأسباب التي دفعتهم للهجرة ما تعرضت له بلاد الرافدين في العقدين الماضيين من أحداث مؤلمة سببت ضغطًا قويًا على مواطنيه جعلتهم ينزحون خارج بلادهم. ومما يذكر أن هؤلاء بدأوا يتسامحون في الكثير من شعائرهم الدينية، إلا أنهم يفخرون بانتسابهم إلى هذه الديانة القديمة.

وإذا نظرنا إلى عدد الصابئة فنجده قليلًا جدًا، فقد نشرت مجلة المشرق في عام ١٩٠١م أنهم يسيرون إلى الانقراض سيرًا حثيثًا، حتى إنه لايوافينا منتصف القرن الجديد إلا وقد محوا من سفر الوجود ولم يبق منهم باق. وإن كانت هذه نظرة كانت متوقعة إلا أن الرحالة الفرنسي نافارنيه يقول: إن تحسن الرعاية الصحية والاجتماعية ساعدت على بقاء هذا الجنس، وذكرت

المستشرقة الليدي دراور وهي التي عاشت سنوات عدة تتنقل بينهم أن إحصائية عام ١٩٣٢م بلغت (٤٨٠٥) نسمة، وترجم كتابها صابئيان هما نعيم بدوي، وغضبان رومي فقالا إن إحصائية عام ١٩٥٧م بلغت (١١٩١٢) نسمة، وإحصائية عام ١٩٦٥م بلغت (١٤٥٥٠) نسمة، ويرى الشيخ سلوان الصابئي أمين سر المجلس الروحاني لهذه الطائفة: أن عددهم اليوم بلغ (١٠٠٠٠٠) نسمة موزعون في محافظات العراق والشام ومصر وتركيا وأوروبا وأمريكا[١].

وتقول أحد مواقعهم الألكترونية على الشبكة العنكبوتية: (كان الصابئة المندائيون منذ زمن قديم يسكنون مناطق عديدة تمتد على رقعة جغرافية كبيرة، ولكنهم الآن يعيشون بشكل رئيسي في العراق والأحواز، وهناك جاليات صابئية في أوربا وأمريكا واستراليا وأقطار أخرى. أما عددهم فلا يتجاوز مئة ألف نسمة، ورغم قلة عددهم فقد كان لهم دور بارز في مجالات العلم والأدب والمعرفة منذ العصر العباسي وحتى الآن)[٢].

---

(١) انظر: الصابئون أصولهم وعقائدهم، د. فهد الفائز، ص ٦٩٦-٦٩٩.
(٢) www.mandaeans.org.framelow.htm

المطلب الرابع
تاريخ النشأة

يصعب على الباحث الجزم بالبداية الحقيقية لدين الصابئة، لتضارب الكتابات التاريخية في ذلك، وبما أن هذه الكتابات على قلتها ليس لها سند فهي تبقى من الأخبار التي لا تصدق ولا تكذب، ولعل الأقرب إلى الصواب أنهم من حيث الجنس يرجعون إلى أصل واحد فهم من الأقوام الآرمية التي تسكن ما بين النهرين، وأن جزءًا منهم هاجر إلى حران واستقر فيها، وجزء آخر ارتحل إلى نهر الأردن، وهناك تأثرت ديانتهم باليهود، ثم اضطرهم اليهود إلى الخروج فعادوا مرة أخرى إلى جنوب العراق مساكنهم الأولى، وسموا البطائحية. وسبب التسمية بالبطائحية: أن مياه دجلة والفرات فاضت فيضانًا شديدًا، فتبطح الماء في الديار، في ما بين واسط شمالًا والبصرة جنوبًا حتى تكونت بطائح كثيرة، وسكنها هؤلاء فسموا صابئية البطائح[1]. وتأكدت التسمية لأن ديانتهم تقوم على التعميد وهو الانغماس في مياه الأنهار. ومنهم من التحق بأخوتهم الذين هاجروا إلى حران وتسموا بالحرانيين نسبة إلى حران[2].

وإذا أردنا تحديد المراحل التي مرت بها الديانة فنقول إنهم كانوا على الحنيفية، عبادة الله وحده ويسمون الصابئة الأولى، أو صابئة الفطرة، أو الحنفاء. وبعد موت إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ بمدة دخل عليهم الشرك، واعتقدوا في الكواكب والأجرام السماوية، وخاصة الأجرام السبعة حيث يعتقدون

---

(١) البطائح: ممرات السيول، يقال تبطحت المياه إذا سالت واتسعت في الأرض.

(٢) حران: مدينة قديمة، ولا زالت تعرف بهذا الاسم إلى اليوم، وهي تقع في الشمال الغربي من العراق، مما يلي الحدود التركية، فُتحت في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهي قصبة الصابئة وموطن ديانتهم وكعبتهم، وكانت تحميها قلعة مبنية من الحجر المنحوت. (انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٢/ ٢٣٥).

أن القوى المدبرة للكون متعددة، وهناك قوة عظمى أعلى تهيمن على هذه القوى وتديرها وبنوا لها هياكلًا، فسموا أصحاب الهياكل وهم الحرانيين.

ولعل أصوب الأقوال في تحديد نشأتهم قول الذين استدلوا بآيات القران الكريم على نشأة الصابئة. يقولون: إنهم هم قوم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأنه قد ناظر أهل أور[1] الكلدانيين، فأبطل حججهم، بعد أن جعل أصنامهم جذاذًا، وأرادوا به كيدًا فنجاه الله كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ إلى أن قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[2].

ثم سافر إلى حران، وأهلها هم أصحاب الهياكل، وناظرهم أيضًا فأبطل حججهم، وقد حكى ذلك القرآن الكريم كما في قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي

---

(١) مدينة من أصقاع رامهرمز بخوزستان. (انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ١/٢٧٨).

(٢) سورة الأنبياء، ٥٢، والآيات من ٥٨. ٦٩.

فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1].

ويرى كثيرٌ من الباحثين أن هذه المسميات وأهلها قد انقرضوا ولم يبق إلا المندائيون. وهم الموجودون الآن على العقيدة الصابئية المندائية في أماكن تواجدهم التي ذكرناها في المطلب السابق.

وكلمة مندائي ترجع إلى مندا الآرمية ومعناها: المعرفة، والعلم، أو الإلهام، والوحي، والدين السماوي، والكشف. ويطلق على كل فرد من الصابئة الآن مندائي بمعنى العارف بالدين الحق. وهذا ما أيده أغلب من بحث في تاريخ هذه الديانة على قلتهم، وأيد ذلك من كتب في الصابئة من الصابئين أنفسهم. وقد وجدت فيما وقفت عليه من مواقعهم على الشبكة العنكبوتية أنهم لابد أن يضيفوا إلى كلمة صابئ كلمة مندائي. وكذلك كل ما اطلعت عليه من المؤلفات في الصابئة عندما يتكلمون عن لغة هذه الديانة يقولون: اللغة المندائية[2].

---

(١) سورة الأنعام، ٧٥. ٨١.

(٢) انظر: الموجز في تاريخ الصابئة المندائيين، عبد الفتاح الزهيري، ص ٣٦. والصابئيون حرانيين ومندائيين، د. رشدي عليان، ص ٤٨. وتتمة المختصر في أخبار البشر تاريخ ابن الوردي، تحقيق أحمد رفعت، ٢/١٥٧. واعتقادات فرق المسلمين والمشركين، فخر الدين الرازي، ص ٢٣١. والصابئون أصولهم وعقائدهم، د. فهد بن موسى الفايز، ص ٣٧٥، ٤١٦ - ٤٨٠. وبعض المواقع على الشبكة العنكبوتية للصابية وأشهرها موقع الأستاذة/ نادية المراني الصابئية.

المطلب الخامس
أبرز المعتقدات والأفكار

١- عقيدتهم في الخالق: يعترفون بوجود الخالق، ويعزون حكم العالم للكون السماوي وأجرامه التي يعتبرونها كائنات حية تضر وتنفع. كما أنهم يصرفون جزءًا من الربوبية للملائكة. وعلى ذلك فلا يقرون بصفات الله لأنهم يعتمدون على زنادقة الفلاسفة فيأتون بما لا تقبله العقول السليمة.

٢- عقيدتهم في الملائكة: يقولون الملائكة خلقوا بالانبثاق أي أنهم ليسوا مخلوقين كبقية الكائنات الحية، ولكن الله ناداهم بأسمائهم فخُلقوا، وتزوجوا بنساء من صنفهم وأصبح لهم أولاد وبنات، وقد وكل الله إليهم تدبير هذا العالم فهم يعلمون الغيب ويشاركون الله في الخلق ويسمونهم (أصحاب الروحانيات) فيعبدونهم ويقربون لهم القرابين ويعتقدون فيهم الضر والنفع.

٣- عقيدتهم في الأنبياء: يعتبرون من يعترفون به من الأنبياء رجلًا صالحًا فقط، لأنه من البشر مثلهم، فالنبوة عندهم ليست كما في الأديان الأخرى. وينسبون كتابهم المقدس (الكنزبرة) أي: الكنز العظيم إلى آدم. ويقولون إن دينهم بعده انتقل إلى شيث، أما إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ فهو أول من بنى الكعبة، وهي بيت زحل أعلى الكواكب السيارة. وأما نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ فيحيكون حوله قصصًا خرافية منها أنه زنا بامرأة من الجن فأنجبت له ثلاثة من الأبناء. وأما إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يعتبرونه خرج على ديانتهم، وناصبهم العداء، لأنه استمد قوته من الظلام، وأُبتلي بدمل فختن نفسه. لذلك ديانتهم ترى أن المشوهين والذين فيهم أي عاهة خلقية ناقصي عقول، وغير طاهرين، ولا يقومون بعملية الذبح. وأما يحي عَلَيْهِ السَّلَامُ فهو الذي

كان عهده منعطفًا تاريخيًا عند الصابئية. فقد كان معلمًا عظيمًا، يمارس عملية التعميد، وخففت الصلاة في عهده. وأما عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد كان صابئيًا فخرج عنها وحرف كلمات النور. وأما محمد ﷺ فيلقبونه ملك العرب، ولا يعتقدون نبوته كبقية الأنبياء.

٤- عقيدتهم في النجوم: يقدسونها ويعبدونها ويتوجهون للنجم القطبي عند الصلاة.

٥- العبادات: يؤدون ثلاث صلوات في اليوم لها طقوس مخصوصة، يتطهرون قبلها.

٦- الزواج: فرض عند الصابئية، ويتزوج الرجل ما يشاء بأي عدد كان، ومما يتفقون مع الإسلام فيه أن المحرمات من النساء هن المحرمات عند المسلمين كما في آية النساء، والطلاق غير مشروع، ويحل محله الهجر المستمر.

٧- التعميد: وهو الإغتسال في الأنهار ويكون يوم الأحد، وفي كل عيد من أعيادهم، وعلى الأقل مرة واحدة في السنة.

٨- أما أركان ديانتهم فهي خمسة أركان وهي:

الصدقة، والصوم، والصلاة، والتعميد، والتوحيد[1].

---

(١) ينظر في هذا المبحث: الصابئون في حاضرهم وماضيهم، عبد الرزاق الحسني، ص٤٣- ٥٥. والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي. والصابئة قديمًا وحديثًا، ص٢٧. والصابئون حرانيين ومندائيين، ص ٨٤- ١٠٤. والصابئة المندائيون، سليم برنجي، ترجمة: جابر أحمد، ص ٢٤- ٢٨. وتاريخ الصابئة المندائيين، محمد بن عمر حمادة، ص٤٠. والصلاة المندائية وبعض الطقوس الدينية، رافد عبد الله نجم، ص٥٦. ومفاهيم صابئية مندائية، ناجية مراني، ص١١٩. وأحد مواقعهم المعروفة على الشبكة العنكبوتية الإنترنت www.faylee.info.articles.

المطلب السادس
أبرز شخصيات الصابئة قديمًا وحديثًا

أولًا: أبرز شخصياتها قديمًا

لم يكن هناك ظهورًا يذكر لأعلام الصابئة كبقية الأمم والطوائف ولهذا أسباب بيناها في المطالب السابقة، إلا في مجال الطب فقد اشتهروا به بين الناس في القديم، وكان سببًا في تقريب بعضهم إلى الخلفاء وخاصة بني العباس، وكذلك البلاغة والأدب فقد ظهر منهم أسماء لامعة في هذا المجال، ومن هذه الشخصيات الأسماء التالية:

١- أبو الحسن ثابت بن قرة المتوفى عام ٢٨٨ هـ كان بارعًا في الطب، وهو أول من دخل في البلاط العباسي من الصابئية، وكان يلقبه المعتضد العباسي الأستاذ، وأدخله في جملة المنجمين فسكن بغداد. ذكر الرازي أن له قرابة ١٥٠ مؤلفًا أغلبها في الطب، والفلك والموسيقى والفلسفة التي أغلبها ترجمة لكتب سقراط وبطليموس.

٢- إبراهيم بن ثابت بن قرة الصابئي بلغ رتبة أبيه في صناعة الطب.

٣- إبراهيم بن سنان بن ثابت بن قرة كان بارعًا في الطب والهندسة.

٤- أبو إسحاق إبراهيم بن هلال بن زهرون الصابيء قال فيه أهل التراجم أوحد العراق في البلاغة، وأثنوا على علمه وروعة بيانه، توفي عام ٣٨٤هـ وله مؤلفات في الأدب والشعر، ذُكر أنه كان كاتب الإنشاء عن الخليفة، وعن عز الدولة بن بختيار الديلمي. وقد كان متشددًا في دينه، وشدد عليه عز الدولة أن يسلم فأبى، مع أنه كان يحفظ القرآن ويستعمله في الرسائل.

ثانيًا: أشهر من أسلم من الصابئية قديمًا

١- هلال بن المحسّن المتوفى عام ٤٤٨ هـ، وكان جده أبو إسحاق كاتب الخليفة ورئيسًا لديوان الإنشاء،ويتمنى أن يخلفه حفيدة في هذا المنصب، مع محافظته على ديانته، ولكن الله كتب له الإسلام، فأسلم وهو أول من أسلم من قبيلته، فأبعد باختياره عن الديوان وحسن إسلامه، وله مؤلفات كثيرة.

٢- سنان بن ثابت بن قرة أبوسعيد توفي مسلمًا عام ٣٣١ هـ كان طبيب المقتدر، كان يختبر الأطباء، ويطرد الدجالين، وكانت له منزلة عظيمة عند الأمراء، وتولى رئاسة المستشفيات.

وذكر صاحب الموجز في تاريخ الصابئية أن عددًا كبيرًا من أبناء آل زهرون وهي أكبر بطون الصابئية أسلموا رغبة لا رهبة، بعد أن عُرض الإسلام عليهم من المسلمين، وخاصة بعد إسلام هلال بن المحسّن الطبيب المشهور وكاتب الإنشاء عند الخليفة[1].

ثالثًا: أبرز شخصيات الصابئة حديثًا

لم أجد في المصادر الموثقة الحديثة أسماء ذات ظهور من الصابئية، سوى الأسماء التالية:

١- نعيم بدوي.

٢- غضبان رومي له كتاب تعاليم دينية لأبناء الصابئية.

٣- نادية المراني باحثة في الأدب.ولها كتاب مفاهيم صابئية مندائية.

---

(١) الوجيز في تاريخ الصابئة، عبد الفتاح الزهيري، ص ٢٠٣.

ذكرهم الدكتور/ رشدي عليان في كتابه الصابئون حرانيين ومندائيين وأثنى على علمهم ومكانتهم في الصابئية في العراق، وقد قاموا بترجمة ما كتبه المستشرقون عن الصابئية.

٤- الدكتور/ عبد الجبار عبد الله السام ولد في العمارة عام ١٩١٢م، وتخرج في جامعة بغداد وحصل على الدكتوراه في الفيزياء من أمريكا، وكان بارعًا في الفيزياء والرياضيات، ويجيد كثيرًا من اللغات، وله كثير من البحوث، وقد شغل رئاسة جامعة بغداد فترة من الزمن، توفي في أمريكا ونقل إلى بغداد ودفن في مقبرة الصابئية في بغداد عام ١٩٦٩م.

٥- الدكتور أنيس زهرون داغر.

٦- الشاعرة لميعة عباس يمجدونها ولاتكاد تجد موقع على الشبكة إلا ولها فيه تمجيد ومدح، عاشت في أوروبا وأغلب شعرها حنين إلى العراق.

٧- عمارة عباس[١].

وقد لاحظت أن أبناء هذه الديانة مع قلتهم، يحاولون إبراز ديانتهم، وإبراز ذوي المكانة الاجتماعية من أبناء الطائفة في المجتمع العراقي، فما من موقع على الشبكة إلا ضمن مفرداته قسم خاص بعنوان (الأوائل) يعنون أول من حصل على الدكتوراه، أول من تخرج طبيبًا، أول من سافر خارج العراق، ويذكرون أسماء لا تتجاوز في مجموعها سبعة أسماء. ونجد قائمة أخرى فيها حوالي (٢٦) اسم أغلبها من الأسماء التي ذكرناها[٢].

---

(١) انظر في هذه الأسماء: المرجع السابق، ص ١٨٣ . ٢٠٣. والصابئون أصولهم وعقائدهم، د. فهد الفائز، ص ٥٠٦ . ٥١٦.

(٢) www.mandaeans.org.mandfigurs.htm

رابعًا: الشخصيات الدينية المعاصرة

١ - الشيخ عبدالله بن الشيخ سام.

٢- الشيخ نجم الشيخ زهرون وهما أعلى درجة في الدين الصابئ والمسماة: (كنزبرة) في هذا العصر وقد توفيا في العقد الأخير من القرن العشرين.

٣- الكنزبرا الحالي هو: الشيخ ستار جبار حلو، وهو رئيس الطائفة وله مكانة رفيعة عند أتباع الطائفة، يدل على ذلك أن أخباره وزياراته الرسمية والخاصة تتصدر المواقع الألكترونية للصابئة[1].

---

(١) www.sabianmandaean.com/news.php?readmore

المطلب السابع
مصادر ديانة الصابئة

للصابئية أربعة عشر كتابًا هي مرجع ديانتهم، وجميعها مكتوبة باللغة المندائية التي هي فرع من اللغة الآرمية، وهم شديدوا الحرص ألا يطلع عليها غير المندائيين، ولذلك أخفق كثير من المستشرقين في الحصول على نسخ من هذه الكتب، وهذا تعريف موجز بأربعة من كتبهم:

١ - كنزه ربه أو الكنزبرا أي الكنز العظيم، أو الكتاب العظيم، ويعتقدون أنه صحف آدم، وهوقسمين: قسم يحتوي نظام الكون، وتكوين العالم والتطورات البشرية. وقسم يعالج شؤون الموتى.

٢- سدرة أد نشماتة: أي كتاب التعميد، وفيه نصوص الصلوات، والتراتيل التي يقرأها رجال الدين في حفلات التعميد.

٣- النياني: أي كتاب الأناشيد والأذكار.

٤ - قلستا: أي كتاب عقد الزواج، ويحتوي رسوم عقد الزواج وشعائره واحتفالاته وما إلى ذلك[(١)] ولرجال دينهم ثلاث مراتب لا يصل إليها مريدها إلا بعد جهد تدريبي، ودراسة خاصة، ورياضة روحية خاصة، يعقب ذلك امتحان خاص وهذه الدرجات هي:

١ - ترميدة: وهي أولى مراتب رجال الدين.

٢- الكنزبرا: وهي درجة أعلى من الترميدة.

٣- ريش أمة: أي رئيس أمة وليس في الصابئية من يشغل هذا المنصب اليوم، لأنه لابد لهذه الدرجة من علم وفير، وأن يكون قد قام بتكريس سبعة علماء بدرجة ترميدة، ويحضر حفل تكريسة سبعة علماء بدرجة كنزبرة[(٢)].

---

(١) الصابئون حرانيين ومندائيين، د. رشدي عليان، ص١٢٣، ١٢٤.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢٧ .١٣٣. والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ص ٣١٩.

المطلب الثامن

المؤلفات التي كُتبت في الصابئة

تُعد الكتابات التي كُتبت في هذه الطائفة على قِدمها من أقل ما كُتب عن أتباع الطوائف والملل، وهذا يؤدي تبعًا إلى صعوبة الكتابة عنهم، وفي نفس الوقت يعتبر حافزًا لمن أراد أن يكون ممن له قصب السبق في دراسة هذه الطائفة. ويعتبر الدكتور فهد الفائز أفضل من كتب عن عقيدة الصابئة، وهو الباحث الحاصل على درجة الدكتوراه في العقيدة في بحثه المعنون: الصابئون عقائدهم وأصولهم من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وقد ذكر أنه لم يجد مؤلفات مستقلة عن الصابئة إلا هذه الكتب وهي:

١. أساطير وحكايات صابئية المستشرقة الليدي دراور ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي ط ١٩٧٣م بغداد.
٢. أقوام تجولت بينها فعرفتها، محمد الفرماني، ط ١٣٤٩هـ، دمشق.
٣. التعميد المندائي، الشيخ رافد الشيخ عبدالله نجم، ط ١٩٩٠م، بغداد.
٤. جذور الديانة المندائية، خزعل الماجدي، ط ١٩٩٧م، بغداد.
٥. ديوان الأساطير، قاسم الشواف، ط ١٩٩٦م.
٦. الصابئية المندائيون، الليدي دراور، ط ١٩٦٩م، بغداد.
٧. الصابئية المندائيون سليم برنجي ترجمة جابر أحمد ط ١٩٩٧م بغداد
٨. صابئية حران وأخوان الصفا محمد الحمد ط ١٩٩٨م دمشق.
٩. الصابئيون حرانيين ومندائيين رشدي عليان ط ١٩٧٦م.
١٠. الصابئيون في حاضرهم وماضيهم عبدالرزاق الحسيني ط ١٩٨٤م بغداد.

١١. الصلاة المندائية الشيخ رافد عبدالله الشيخ نجم ط ١٩٨٨م بغداد.
١٢. مدخل في قواعد اللغة المندائية نعيم بدوي ط ١٩٩٣م بغداد.
١٣. مفاهيم صابئية مندائية ناجية مراني ط ١٩٨١م بغداد.
١٤. مندائي أو الصابئية الأقدمون عبدالحميد عبادة ط ١٩٢٧م بغداد.
١٥. الموجز في تأريخ الصابئية، عبد الفتاح الزهيري، تنقيح فريد عبد الزهرة المنصور، مطبعة أركان، بغداد، ط١، ١٩٨٣م.
١٦. هل المندائية لهجة من العربية، ناجية مراني.
١٧. النشؤ والخلق في النصوص المندائية كورت رودولف ترجمة الدكتور صبيح مدلول السهيري ط ١٩٩٤م بغداد.

وقد يسر الله تعالى لي الاطلاع على بعض هذه المؤلفات.

المبحث الأول

تاريخ دعوة الصابئة إلى الإسلام

المطلب الأول

تاريخ دعوة الصابئة عبر العصور الإسلامية

أولًا: عصر الخلفاء الراشدين

بعد سقوط دولتي الفرس والروم، وقيام دولة الإسلام على منهاج النبوة وما تحمله من صفاء عقدي، وشمول في تعاليم الدين الحنيف لجميع جوانب الحياة، وعدل وتسامح، فإنه من الطبيعي أن ينعم الناس بعدل هذا الدين، فمن دخل الإسلام فهو كالمسلمين له مالهم وعليه ما عليهم، ومن بقي على دينه فهو لا يظلم ولا تنتهك حرمته، ينعم بنعمة الأمن، ويحيى حياة هانئة، والصابئة من هؤلاء الناس فلا شك أن فيهم من أسلم، إلا أنه لقلة هذه الطائفة من جانب، ولظلم الفرس والروم لمن لم يكن على ديانتهم، فإن الصابئة بقوا منزوين لا يستطيعون إظهار شعائر ديانتهم، بل قد يتظاهرون بديانة هذه الدول الظالمة. ويبدو -والله تعالى أعلم- أن هذا الإنزواء استمر في هذا العصر تأمُّلًا في تعاملات هذه الدولة الجديدة، ولأنه أيضًا من تعاليم هذه الطائفة التقية.

وقد رحب الناس بالعرب حبًا في الخلاص من ظلم الحكام أولًا، ورغبة في إعفائهم من الخدمة العسكرية ثانيًا، ثم أملًا في تمتعهم بالحرية الدينية آخر الأمر، وذلك لأن الإسلام كان يبيح لغير المسلمين من يهود ومسيحيين وصابئة أن يتدينوا بما يرضون لأنفسهم من دين على أن يدفعوا

الجزية للمسلمين[١].

وكان أكثر المسلمين يعدون الصابئة من طوائف النصارى كما ذكر ذلك بعض المفسرين كما مر معنا في المبحث التمهيدي، ولذلك لم يذكر التاريخ وقائع وأحداث بين هذه الطائفة والمسلمين، فعومل الذين لم يدخلوا دين الإسلام منهم كمعاملة النصارى المسالمين.

ولم أعثر فيما تمكنت من الإطلاع عليه من كتب التاريخ، ما يحدد أعداد المسلمين منهم أو ظهور أعلام منهم ساهموا في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية في تلك الفترة أو شاركوا في الفتوحات الإسلامية. إلا ما ذكره عبد الفتاح الزهيري في كتابه الموجز في تاريخ الصابئية المندائيين: أن أساطيرهم تروي أنهم من أصحاب الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأنهم وجدوا حسن المعاملة منهم لأنهم عرفوا أنهم على دين إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ فآزروهم وساهموا في رد الدعايات المغرضة عن الإسلام[٢]. وهذه من أساطيرهم المكتوبة باللغة المندائية الآرمية القديمة لاتقوم بها حجة.

ثانيًا: العصر الأموي

يقول صاحب الموجز في تاريخ الصابئية: (قد برز نفر من الصابئة في هذا العصر بعد أن ظلوا مجهولين قرونًا تحت ظلم الاستعمار الذي استولى حتى على أماكن عبادتهم، وذكر عددًا من الأسماء، ولم يذكر من أسلم

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم، ١/ ٢٢٢.

(٢) انظر: الموجز في تاريخ الصابئة، عبد الفتاح الزهيري، ص ٨٠.

منهم)[1].

ويبدو والله تعالى أعلم أن هذا العصر بدأوا في الظهور وإن لم يكن ظهورًا واضحًا، ولكنهم تأكدوا ولمسوا حسن تعامل المسلمين، ورأوا التطبيق العملي للإسلام في أخلاق المسلمين وتعاملاتهم بعد أن كانوا يختفون خشية أن يُظلموا كما كانوا يُظلمون في العهد الفارسي والروماني.

ثالثًا: العصر العباسي

من خلال استقراء بعض المصادر يتبين أن الظهور الحقيقي للصابئة كان في العصر العباسي، فقد قربهم الخلفاء لما اشتهروا به من علم الطب والرياضيات والكيمياء والحساب، وكان من نتائج هذا التقريب أن أسلم بعضهم. بل ذُكر أن قبيلتين هما آل قرة وآل زهرون أسلم أكثرهم رغبةً لا رهبة، منهم:.

سنان بن ثابت بن قرة الذي كان طبيبًا للمقتدر ثم للظاهر الذي دعاه للإسلام وألح عليه في ذلك فأمتنع فهدده فانهزم إلى خراسان، ولكنه أسلم طواعية ثم عاد إلى بغداد ومات فيها مسلمًا عام ٣٣١ هـ. وهنا يتبين حرص خلفاء بني العباس على إسلام هؤلاء لما يتمتعون به من كفاءة في كثير من العلوم وخاصة العلوم الطبيعية والطبية، بل قد يصل الأمر إلى استخدام القوة كما فعل الخليفة الظاهر مع سنان بن ثابت.

وقد كان بداية دخولهم البلاط العباسي في أواسط القرن الثالث الهجري على يد ثابت بن قرة الذي قربه المعتضد، وكان يلقبه بالأستاذ

---

(١) المرجع السابق، ص ٨١.

لبراعته في الطب. ولكنه لم يسلم.

وهلال بن المحسّن المتوفى عام ٤٤٨ هـ والذي كان كاتب الديوان عند الخليفة كتب الله له الإسلام وكان سببًا في دخول أكثر قبيلته آل زهرون الإسلام[١].

وجابر بن حيان الكيميائي المشهور ذُكر أن آباءه كانوا من الصابئة[٢]. وذكر ابن تيمية - رحمه الله تعالى - الصابئة وأنهم من أهل الفلسفة والطب وكثير منهم لم يسلموا، ورد عليهم ضمن رده على المنطقيين والفلاسفة[٣].

رابعًا: العصر العثماني

يصف صاحب الموجز في تاريخ الصابئة ما بعد سقوط الدولة العباسية بأنه الفترة المظلمة في تاريخ الصابئة، فقد قتل كثير منهم التتار، وضاعت مؤلفاتهم، وعادوا يخفون ديانتهم، وعادوا إلى مدينة حران موطنهم الأصلي بعد أن عاشوا حضارة المسلمين، وشاركوهم في بناء تلك الحضارة، وأسلم منهم من أسلم[٤].

---

(١) روي في قصة إسلامه أنه رأى الرسول ﷺ في المنام وأمره أن يتوضأ، ثم أمره أن يصلي معه وقرأ سورة النصر والإخلاص، وقال له: أنت رجل عاقل والله يريد بك خيرًا فلم تدع الإسلام الذي قامت عليه الدلائل، وقال له: قل أسلمت وجهي لله وأشهد أن لاإله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله. ويقول أيضًا: ورأيته مرة أخرى فأخبرت والدي فقال:هذه بشرى محمودة لكن لا تظهر هذا الأمر فجأة، ثم أسلم وحسن إسلامه. (انظر: الموجز في تاريخ الصابئية، عبد الفتاح الزهيري، ص ١٧٨ . ١٨٠ . والصابئية أصولهم وعقائدهم د. فهد الفايز، ص٥٠٨)

(٢) انظر: الموجز في تاريخ الصابئة، عبد الفتاح الزهيري، ص٨٣.

(٣) انظر: الرد على المنطقيين، ابن تيمية، ص ٢٨٧ - ٢٩٠.

(٤) انظر: الموجز في تاريخ الصابئة، عبد الفتاح الزهيري، ص ٨٨ - ٩١.

ويبدو والله تعالى أعلم أن هذه الفترة، ضعف تأثير الإسلام في هذه الطائفة، لأن الذين فروا إلى حران من المسلمين الذين كانوا على الديانة الصابئية تأثروا بأبناء عمومتهم، خاصة مع الضعف الديني الذي كان ظاهرًا في العالم الإسلامي، وظهور الخرافة والشعوذة، وهي مما تقره الديانة الصابئية، فتعاقبت الأجيال على هذا الوضع، إلى عصر الاستعمار الذي زاد الطين بلّة.

خامسًا: العصر الحاضر

نحدد بداية هذا العصر ببداية الاستعمار الموجه للعالم الإسلامي، والذي مهدت له الحروب الصليبية. وجاب المستشرقون الديار الإسلامية، ومنهم الذين تخصصوا في هذه الديانة من أمثال المستشرقة الليدي دراور، والتي كتبت كثيرًا من البحوث والدراسات الميدانية بين الصابئة، وترجمة ما استطاعت الحصول عليه من كتبهم التي كتبت باللغة المندائية الآرمية، ولعلها هي أول من كتب عن هذه الطائفة في هذا العصر، ولذلك كل من كتب عنهم جعل كتاباتها مرجعًا يرجع إليه، مع أن كتاباتها تشعل الفتنة ضد المسلمين الذين هم الأغلبية الساحقة في العراق، وتتهمهم بظلم هذه الطائفة القليلة. ولذلك لم يذكر التاريخ دورًا للمسلمين في دعوة هذه الطائفة التي تعيش بين ظهرانيهم خلال هذه الفة ة من الزمن. ثم جاء دور الثورة العراقية عام ١٩٥٨م بقيادة حزب البعث، الذي جعل الحزب ديانة يوالي ويعادي عليها، وألغى دور الدعوة الإسلامية وجثم على العراق أربعة عقود ونيفًا. إلا أن الصابئة يعتبرون هذه الفترة من العصور الذهبية في تاريخهم، والواقع يؤيد ذلك فقد كانت أعدادهم قبل الثورة بسنتين عشرة

آلاف نسمة، فقد قفزت بعد الثورة بسبع سنوات إلى قرابة خمسة عشرة نسمة بنسبة زيادة بما يقرب ٥٠٪[١].

فقد جاء في الدستور أن الصابئة من طوائف المجتمع العراقي وأنهم متساوون مع غيرهم في الحقوق والواجبات، يقول قرار الاعتراف: أن الصابئة في العراق من الطوائف المعترف بها اعترافًا قانونيًا وواقعيًا.. ويذكر أسباب ذلك ويبين أهميته البالغة بالنسبة لهم بعد ما لاقوه من تعسف في العهد الملكي[٢].

وهم الآن يصلون قرابة المائة ألف نسمة، ولم يتعرضوا لمضايقات في ديانتهم ولم يؤذوا كما أُوذي المسلمون طيلة الحكم البعثي. وبلغوا مراتب عليا في الدولة، وفي نفس الوقت لم يكن للمسلمين دور بارز في دعوتهم في هذه الفترة، ولعل مبررها مضايقة الحزب الحاكم للإسلام وأهله.

---

(١) سبق بيان ذلك ص ١٠.

(٢) انظر: الموجز في تاريخ الصابئة، ص ٩٣.

المطلب الثاني

مظاهر التأثر والتأثير بين الديانة الصابئية والمسلمين(١)

أولًا: مظاهر تأثير الصابئة على المسلمين

١- أن الجهمية أخذوا عن الجعد الذي هو من أهل حران وبها أئمة الصابئة الفلاسفة أهل الشرك ونفات الصفات والأفعال(٢).

٢- أن الرافضة ترجع بعض أصولهم إلى صابئية الفلاسفة الخارجين عن متابعة المرسلين(٣).

٣- أن غالب ائمة الرافضة من فلاسفة الصابئة كالنصير الطوسي، وسنان البصري وغيرهم وأنهم اخذوا التقية من الصابئة(٤).

ومن هذا يتبين أن أهل الكلام قد تأثروا بفلاسفة الصابئة.

ثانيًا: مظاهر تأثير المسلمين على الصابئة

عاش أتباع هذه الطائفة نعمة الأمن والعدل والمعاملة الحسنة في الدول الإسلامية، وبرزوا في المجالات العلمية التي عُرفوا بها، ومن نتائج ذلك أن أسلم الكثير منهم رغبة لا رهبة وهذا أهم تأثير من الإسلام عل هذه الطائفة، لكن ظهر في طقوسهم الدينية وعاداتهم ما يتشابه مع العبادات في الدين الإسلامي ويبدو أنهم تأثروا بالإسلام في هذا الأمر، أو أنه بقايا تأثير الحنيفية السمحة ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وخاصة في الأخلاق والمعاملات

---

(١) هذا العنوان مقتبس من رسالة الدكتور فهد الفايز، الصابئة أصولهم وعقائدهم، غير مطبوعة.

(٢) انظر: منهاج السنة، ابن تيمية، ١/١٩٢.

(٣) انظر: المرجع السابق، ١/٥.

(٤) الصابئة أصولهم وعقائدهم، د. فهد الفايز، ص٤٧٥.

فقد رأوا فوائد ذلك أثناء معاملة المسلمين لهم ومن ذلك:

١- يسبق صلواتهم وضوء كصلاة المسلمين مع اختلاف هيئاتها فهم يستقبلون الشمال.

٢- يهتمون بالصدقة ويشترطون فيها أن تكون لله تعالى.

٣- المحرمات من النساء هن المحرمات عند المسلمين.

٤- يحرمون القتل والزنا والسرقة والخيانة وغيرها مما يقره الإسلام وتتفق عليه الديانات السماوية[1].

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٤٧٩.

المبحث الثاني
وسائل دعوة الصابئة وأساليبها قديمًا
المطلب الأول
وسائل دعوة الصابئة

من خلال استقراء تاريخ هذه الطائفة، وتحليل مضمونه نستنبط بعض وسائل دعوة هذه الطائفة التي قام بها المسلمون قديمًا، وسأذكر ما استطعت استنباطه مدعومًا بالدليل التاريخي في الآتي:

الوسيلة الأولى: الرد على أفكارهم من خلال المؤلفات العلمية

جاء في التراث الإسلامي المؤلفات التي تبين معتقداتهم الباطلة وتفندها واحدة واحدة. ومثال ذلك ما ورد في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تخصيص هذه الطائفة بالرد وبيان بطلان الملة. فقد ألف كتابه الرد على المنطقيين وضم إليهم الفلاسفة من الصابئة وغيرهم يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة كتابه هذا: (أما بعد فإني كنت دائمًا أعلم أن المنطق اليوناني لا يحتاج إليه الذكي ولا ينتفع به البليد، ولكن كنت أحسب أن قضاياه صادقة لما رأيت من صدق كثير منها، ثم تبين لي فيما بعد خطأ طائفة من قضاياه، وكتبت في ذلك شيئًا، ثم لما كنت في الإسكندرية أجتمع إلي من رأيته يعظم الفلاسفة بالتأييد والتهويل فذكرت له بعض ما يستحقونه من التجهيل والتضليل)[1]. ثم يبين سوء معتقدهم في مكان آخر فيقول: (ثم إن الصابئين ابتدعوا الشرك فصاروا مشركين، والفلاسفة المشركون من هؤلاء المشركين)[2]. ويقول:

---

(١) الرد على المنطقين، ابن تيمية، ص ٣، ٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٨٩.

(فإن الصابئية كفارًا من جهة تبديلهم لما أنزل الله، ومن جهة كفرهم بما أنزل الله على محمد ﷺ،...فإذا كان اليهود والنصارى قد يكونون مشركين فالصابئيون أولى، وذلك بعد تبديلهم)[١]. ورد عليهم الشهرستاني في كتابه الملل والنحل وعقد مناظرة بين الحنفاء والصابئة[٢].

الوسيلة الثانية: استخدام الشدة في دعوتهم

هذه قصة يتبين من خلالها حرص خلفاء بني العباس على إسلام هؤلاء لما يتمتعون به من كفاءة في كثير من العلوم وخاصة العلوم الطبيعية والطبية، بل قد يصل الأمر إلى استخدام القوة كما فعل الخليفة الظاهر مع سنان بن ثابت بن قرة الذي كان طبيبًا للمقتدر ثم للظاهر الذي دعاه للإسلام وألح عليه في ذلك فأمتنع فهدده فانهزم إلى خراسان، ولكنه أسلم طواعية بعد ذلك ثم عاد إلى بغداد ومات فيها مسلمًا عام ٣٣١هـ[٣].

وهذه قصة أخرى ذُكر فيها أن المأمون اجتاز ديار مضر يريد غزو الروم، فتلقاه جماعة من الحرانيين، فأنكر المأمون زيهم فقال لهم: من أنتم من الذمة؟.قالوا: نحن الحرانيين. فقال: أنصارى أنتم؟. قالوا: لا. قال: أيهود أنتم؟. قالوا: لا. قال: أمجوس أنتم؟. قالوا: لا. قال: أفلكم كتاب أو

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ١٢/١٤ - ٢١.

(٢) انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ص ٢٥٩ - ٢٩٨.

(٣) انظر: الموجز في تاريخ الصابئة، عبد الفتاح الزهيري، ص ١٦٧. ومع أن القصة ليس لها سند إلا أنه يبدو أن الخليفة الظاهر يرى أنهم وثنيين، وهذا يبيح قتالهم لأن الجزية لا تؤخذ إلا من الكتابيين على أصح أقوال أهل العلم. (انظر: أقوال العلماء في هذه الديانة ص ٣،٤ من هذا البحث).

نبي؟ فحجموا في القول. فقال لهم: فأنتم إذن زنادقة، عبدة الأوثان. وأنتم حلال دماؤكم ولا ذمة لكم. فقالوا: نحن ندفع الجزية قال: إنما تؤخذ الجزية من أهل الأديان الذين ذكرهم الله في كتابه، ولهم كتاب. وأمهلهم إلى أن يرجع من غزو الروم إما يدخلون الإسلام أو يقتلهم. فدخل كثير منهم الإسلام، وتنصر منهم آخرون[1].

(١) انظر: الصابئة أصولهم وعقائدهم، د. فهد الفايز، ص ٦٠. ومع أنه ضعّف القصة ورأى أنها لا تثبت إلا على سبيل الذكر والاستشهاد على سبيل التثبت، لكن القصة التي قبلها تبين أن خلفاء بني العباس يتخذون ما يرونه مناسبًا لدعوة الصابئة حتى وإن أدى ذلك إلى استخدام القوة.

المطلب الثاني
أساليب دعوة الصابئة

سأذكر بعض الأساليب التي رأيتها من خلال دراسة واستقراء هذا التاريخ، وتحليل مضامينه، والتي استخدمها المسلمون في دعوة الصابئة بما يدل أنها كانت المؤثرة في دعوة هذه الطائفة، وهي على النحو الآتي:

الأسلوب الأول: المعاملة الحسنة

ضرب المسلمون أروع الأمثلة في حسن معاملة غير المسلمين، وهو ما أمر الله به وأمر به نبيه ﷺ، وكان ذلك من أسباب دخول الناس في دين الله أفواجًا. وفي خصوص الصابئة فهم كغيرهم من الناس لم يُظلموا، وعاشوا في عدل الإسلام، وقد أثبت التاريخ كيف أكرم الخلفاء البارزين من الصابئة في علوم الطب والرياضيات والحساب والفلك وقربوهم وعرضوا عليهم الإسلام، وأسلم منهم الكثير رغبة في هذا الدين العظيم[١].

وقد أثبتنا في المبحث الثالث من هذا البحث كيف كانت الصابئية في أوائل هذا القرن لا يتجاوزون ٤٠٠٠ نسمة[٢]، بما يدل على أن من أسباب قلة أعداد الصابئة دخولهم في الإسلام خلال العصور الإسلامية المتتابعة، وقد أسلمت قبيلة آل زهرون وآل قرة من قبائل الصابئة طواعية ورغبة في هذا الدين العظيم.

---

(١) انظر: المطلب السادس من المبحث التمهيدي، ص ١٤، ١٥.

(٢) انظر: المطلب الثالث من المبحث التمهيدي، ص ١٠.

الأسلوب الثاني: تولية المناصب العلمية والإدارية لمن يستحقها

حب المكانة الاجتماعية والوجاهة محببة للنفس البشرية، وقد يتنازل الإنسان عن مبادئه في سبيل الحصول على المنصب الاجتماعي أو المحافظة عليه. وقد أمّر النبي ﷺ عيينه بن حصن الفزاري على سرية إلى بني العنبر[١]، ومواقف عيينه الخاطئة معروفة مع النبي ﷺ، لكنه فعل ذلك استجلابًا لقلوب أتباعه الذين يرضون لرضاه ويسخطون لسخطه،لأنه سيدًا في قومه[٢]. وقد كان للصابئة وجودًا في المناصب الإدارية في دولة بني العباس، وبغض النظر عن حكم تولية غير المسلم والاستعانة به في الدولة الإسلامية إلا أننا ننضر لها من جانب دعوي، فقد كانت سببًا في إسلام بعضهم، وتألفت قلوبهم، وأسلم الكثير من قبائلهم عندما مُنحوا هذه المكانة، وهم كانوا لا يعرفونها أيام الدولة الفارسية، بل كانوا يُمتهنون وتسند لهم أعمال الخدمة والأعمال الوضيعة كغيرهم من طبقات الشعب.

أما في الدولة العباسية فمنهم من تولى رئاسة ديوان الإنشاء، ومنهم من تولى إدارة المستشفيات يُعين فيها من يرى فيه الكفاءة، وقد كانت هذه المهمة من أسباب إسلامه[٣]. فتولية المناصب الإدارية لمن يستحقها رجاء إسلام المدعو لها أثرها وفائدتها وهي أسلوب دعوي ناجع.

الأسلوب الثالث: المناظرة

المناظرة أسلوب قرآني، ولاشك أنه من أنجع الأساليب في دعوة

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة عيينة إلى بني العنبر، ٥/١١٥.

(٢) انظر: دعوة النبي ﷺ للأعراب، حمود بن جابر الحارثي، ص ٢٥٦، ٢٥٧.

(٣) انظر: الصابئة أصولهم وعقائدهم، د. فهد الفائز، ص ٥٠٦ - ٥١٥.

الصابئة، وقد ورد هذا الأسلوب في دعوتهم، نذكر منها مناظرتين هما:

الأولى: مناظرة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع سلف هذه الطائفة كما وردت في سورة الأنعام في قول تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1]. فقد كانت أحسن وأبين مناظرة، تدرج فيها عَلَيْهِ السَّلَامُ من الكوكب الصغير حتى وصل إلى أكبرها وهو الشمس، وكلها أفلت والإله لايليق به أن يأفل. فلا بد أن يكون شاهدًا لايغيب، وغالبًا قاهرًا غير مغلوب ولا مقهور، ولا يكون ذلك إلا لله وكل معبود سواه باطل. وعندما ألجمهم بالحجة الواضحة المشاهدة الموافقة للعقول السليمة وقفوا مستسلمين لا يستطيعون الجدال. فعند ذلك انتقل إلى خالق هذه الأفلاك فإنه المستحق للعبادة فقال: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾. وهنا عادوا إلى محاجة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في

---

(١) سورة الأنعام، ٧٥ - ٨١.

ربه، فقال: أتريدون صرفي عن عبادة ربي الذي أبان لي الحق حتى استبان كالعيان؟، فالمحاجة هدفها الانتقال من الباطل إلى الحق، ومجادلتكم إياي تتضمن خلاف ذلك. فعند ذلك انتقلوا إلى أمر آخر فخوفوه بآلهتهم فقال لهم: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ﴾. فإن آلهتهم أقل وأحقر من أن تضر من كفر بها وجحد عبادتها، ثم رد المشيئة إلى الله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗا﴾. والمعنى أني لا أخاف آلهتكم لأنه لا مشيئة لها ولا قدرة، فمن أحق أن يعبد أهو الله الخالق أم هذه الآلهة المخلوقة، ثم وجه الخطاب للعقول: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ثم قال: ﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.

وهذا من أحسن قلب الحجة وجعل حجة المبطل بعينها دالة دلالة قوية على فساد قوله وبطلان مذهبه، فإنهم خوفوه بآلهتهم التي لم ينزل الله عليهم سلطانًا بعبادتها، وقد تبين بطلان إلاهيتها ومضرة عبادتها، ومع هذا فلا تخافون شرككم بالله وعبادتكم معه آلهة أخرى، فأي الفريقين أحق بالأمن وأولى بأن لا يلحقه الخوف فريق الموحدين أم فريق المشركين[1].

يقول العلامة عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عُني إبراهيم الخليل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بالدعوة إلى الإسلام ووجه جلّ همه وأعظم عنايته إلى إيضاح التوحيد وبيانه وإقامة الحجة عليه، فبدأ به وكرر الدعوة مع اختلاف لهجته في ذلك لينًا وشدة، وذكر أنواعًا من الأدلة على التوحيد وسلك طرقًا شتى في الاستدلال بها عليه إتمامًا لإقامة الحجة وزيادة الاعذار إلى الأمة، وأملًا في

---

(١) انظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، محمود الألوسي، ٢/٢٢٣ - ٢٢٨.

أن يجد كل نوع منها أو وجه من وجوه الاستدلال بها منفذًا إلى قلوب جماعة، وقد بصر الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالدلائل الكونية الدالة على وحدانيته في ربوبيته وألوهيته)[١].

الثانية: مناظرة أبو الفتح محمد الشهرستاني للصابئة[٢]: وقد كتب الإمام الشهرستاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الصابئة، تبين من خلالها دعوته للصابئة والأسلوب الذي اتخذه في دعوتهم هو المناظرة، فقد أورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ مناظرتين:

الأولى: مناظرة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لهم كما في القرآن.

والثانية: مناظرة بين الحنفاء والصابئة، وتدور حول مسألة المفاضلة بين الأرواح العلوية والأنبياء، أثبت فيها أفضلية الأنبياء، وعرض لآراء هذه الطائفة بدقة وأمانة، وبين بطلان مذهبهم وعقائدهم، ولم يفتر عليهم وإنما أورد ما في مذهبهم من فساد عقدي وانحراف فكري[٣].

---

(١) نقلًا من الصابئة أصولهم وعقائدهم، د. فهد الفايز، ص ٥٣١، ٥٣٢.

(٢) أبو محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، ٤٦٧ .٥٤٨ هـ. كان كثير الحفظ، قوي الفهم، يُعد شيخ أهل الحكمة والكلام، صاحب الكتاب الشهير (الملل والنحل)، قال فيه ابن تيمية من أجمع وأكثر الكتب المصنفة في المقالات). (انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٠ / ٢٨٦ . ٢٨٨).

(٣) انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ص ٢٦٣ .٢٩٨. والصابئة أصولهم وعقائدهم، د: فهد الفايز، ص ٥٤٩.

المبحث الثالث

أبرز القضايا في دعوتهم

سأتحدث عن قضيتين هامتين أرى أنها من أبرز القضايا التي تحول بين الصابئة وقبولهم الإسلام، ولأنها يندرج تحتها قضايا جزئية أخرى، وقد أشرت إلى بعض معتقداتهم في المطلب الخامس من المبحث التمهيدي.

المطلب الأول: التنجيم

أشركت الصابئة في النجوم، وقالوا إنها مكان الروحانيات، وبنوا لها الهياكل، وعبدوها من دون الله، وبيّنا كيف جادلهم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وأبطل حججهم.ثم أشتهروا بالتنجيم والسحر وما يترتب على ذلك من إدعاء لعلم الغيب، والكهانة والشعوذة والكذب، وهذه الأمور منطلقها أن الكواكب لها تأثير وأن الله قد كلفها بمهمة تسيير الكون وما فيه، وهي تعلم الغيب وتضر وتنفع، فهم مشركون في الربوبية أصلًا، ومشركون في الألوهية. وعلى ذلك أختلف العلماء هل هم من أهل الكتاب فتؤخذ منهم الجزية؟ أم أنهم مشركون وثنيون؟ على ثلاثة أقوال تتلخص في الآتي:.

١ - أنهم من أهل الكتاب وهو قول لأمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢ - أنهم ليسوا من أهل الكتاب.

٣- التفصيل فإن وافقوا أهل الكتاب في أصل دينهم فهم منهم، وإن خالفوهم في أصل دينهم فليسوا منهم.

وبناءً على هذه الأقوال جاء الاختلاف هل تؤخذ منهم الجزية أم لا؟ على ثلاثة أقوال:

١ - أنها تؤخذ منهم وهو رأي من قال أنهم من أهل الكتاب.

٢- أنها لا تؤخذ منهم لأنهم عبدة كواكب.

٣- التفصيل فإن وافقوا النصارى في الأصول أخذت منهم الجزية وإن خالفوهم فلا. مع أن هناك قول آخر لأهل العلم أن الجزية تؤخذ من كل كافر كتابي أووثني أوصابئي[1]. وليس هذا موضع بسطه. ولكن فيما يبدو والله تعالى أعلم أن اختلاف تعاملات الخلفاء معهم كما مر معنا مبني على هذا الاختلاف.

وما يهمنا هنا هو ما يجب أن يعرفه الداعية حيال هذه القضية، فقد كان يقول ﷺ لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنك تأتي قومًا أهل كتاب، ليكون على استعداد مسبق لاختيار الأسلوب المناسب لهم، وأنهم أهل علم وشبهات يستعد الداعية لمواجهتها.

وهذه القضية قد فصل فيها القول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في مفتاح دار السعادة، ورد على المنجمين وأبطل مذاهبهم فقال: (فأما قولهم إن الموجودات في العالم السفلي مركبة في تأثير الكواكب والروحانيات وفي اتصالها سعود ونحوس، فقائل هذا القول مردود عليه من وجوه وذكر اثني عشر وجها آخرها قال: الثاني عشر: شواهد التاريخ ووقائعه الدالة على كذبهم.. وذكر ما حصل لأمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين خرج إلى صفين فقال المنجمون إنه يُقتل ويُقهر جيشه، فظهر كذبهم وانتصر. ومنها عندما قال المنجمون بعد بناء بغداد إن طالعها يقضي بأن لا يموت فيها خليفة حتى قال الشاعر:

---

(١) انظر: زاد المعاد، ابن القيم، ٥/ ٨٢ - ٨٥.

يهنيك منها بلدة تقضي بها إن الممات بها عليك حرام
لما قضت أحكام طالع وقتها أن لا يرى فيها يموت إمام

فقُتل فيها الأمين، فبطل ما أصلوه وظهر الزور الذي لفقوه فقال الشاعر:

كذب المنجم في مقالته التي نطقت به كذبًا على بغدان
قُتل الأمين بها لعمري يقتضي تكذيبهم في سائر الحسبان

ومات ببغداد جماعة من الخلفاء كالواثق والمتوكل والمعتضد والناصر وغيرهم. ومن ذلك اتفاقهم أن المعتصم ستدورعليه الدوائر عندما خرج إلى عمورية، فرزقه الله النصر والفتح، وكذب المنجمون.

وقال أبو تمام:

السيف أصدق أنباءً من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
أين الرواية أم أين النجوم وما صاغوه من زخرف منها ومن كذب
تخرصـــًا وأحاديثـــًا ملـــفقة ليست بنبع إذا عدت ولا غرب)[1].

فمسألة التنجيم عندهم تنطلق من عقيدة، وليست من باب الدجل والاحتيال، ولذلك هي قضية أساسية، وإذا وفق الداعية لبيان فسادها بالدليل الشرعي والعقلي والحسي والواقع المشاهد، فهو يضرب أتباع هذه الديانة في مفصل، والله تعالى أعلم.

(١) انظر: مفتاح دار السعادة، ابن القيم، ٢ / ١٢٧. ١٣٦.

المطلب الثاني

إنكار النبوة

من المبادئ الأساسية في الفكر الصابئي إنكار النبوة البشرية،لأن الأنبياء أمثالنا في النوع والصورة، يشاركوننا في المادة، يأكلون ويشربون مما نأكل ونشرب، فكيف لنا طاعتهم. ويندرج على ذلك إنكار الوحي والرسل ويعدون الرسل معلمين أوحكماء، وليست هذه المهمة محصورة في أشخاص بعينهم، ويبدو أن الفلاسفة استقوا نظرتهم للنبوة من الصابئة، فقالوا لا فرق بين النبي والفيلسوف[١]. وهذه القضية تحدث عنها القرآن في مواضع منها قول الله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾[٣]، ثم رد الله عليهم مقررًا لزوم بشرية الرسل في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[٥].

وحاجة البشرية إلى الرسل معلومة، وفوق كل حاجة، بل أعظم من حاجتهم إلى الماء والهواء الذي لا حياة لهم بدونه[٦]. ويرد ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ

---

(١) انظر: الصابئة أصولهم وعقائدهم، د. فهد الفايز، ص ٦٢٣.

(٢) سورة الإسراء، ٩٤.

(٣) سورة المؤمنون، ٣٣، ٣٤.

(٤) سورة النحل، ٤٣.

(٥) سورة الإسراء، ٩٣.

(٦) انظر: مفتاح دار السعادة، ابن القيم، ٢ / ١١٨.

على منكري النبوات بالقرآن، ويرى أننا إذا فهمنا ما جاء عن الله استطعنا الرد عليهم، ثم يرد عليهم باستدلالات عقلية فيقول: (فإذا كان العقل قد أدرك حسن بعض الأفعال وقبحها فمن أين له معرفة الله بأسمائه وصفاته، ومن أين له معرفة تفاصيل شرعه، ومن أين له معرفة تفاصيل مواقع محبته ورضاه، ومن أين له معرفة الغيب الذي لم يظهر الله عليه أحدًا من خلقه إلا من ارتضاه من رسله إلى غير ذلك مما جاءت به الرسل وبلغته عن الله، وليس في العقل طريق إلى معرفته فكيف يكون معرفة حسن بعض الأفعال وقبحها بالعقل مغنيًا عمّا جاءت به الرسل. ولهذا قال بعض الأعراب وقد سُئل بماذا عرفت أن محمدًا رسول الله، فقال: ما أمر بشيء فقال العقل ليته نهى عنه، ولا نهى عن شيء فقال العقل ليته أمر به. أفلا ترى هذا الأعرابي كيف جعل مطابقة الحسن والقبح الذي ركب الله في العقل إدراكه لما جاء به الرسول شاهدًا على صحة رسالته وعلمًا عليها ولم يقل أن ذلك يقبح طريق الاستغناء عن النبوة بحاكم العقل)[1].

وقضية إنكار النبوة عند الصابئة من أخطر القضايا التي تحتاج إلى منهج وأسلوب خاص، ينطلق فيها الداعية من نصوص القرآن، وسيرة الرسول ﷺ ويبني عليها استدلالاته العقليه والحسية ليبين فساد هذه العقيدة.

إن هاتين القضيتين التنجيم وإنكار النبوة من القضايا الكبيرة في ديانة الصابئة أشرت إليها باختصار، وغيرها قضايا أخرى هامة لا يمكن استقصاؤها في هذا البحث.

---

(١) المرجع السابق، ٢ / ١١٧، ١١٨.

المبحث الرابع
أهم المعوقات، والمقترحات حول مستقبل دعوتهم إلى الإسلام في العصر الحاضر

المطلب الأول
أهم معوقات دعوتهم إلى الإسلام في العصر الحاضر

يظهر من خلال هذه الدراسة المختصرة والسريعة لتاريخ دعوة الصابئة، وما كتبه علماء المسلمين الأوائل عنهم، وما كُتب عنهم في هذا العصر أن دعوتهم إلى الإسلام يكتنفها كثير من الصعوبات والمعوقات التي لا بد لمن أراد دعوتهم إلى الإسلام أن يسعى إلى تذليلها أو على الأقل أخذها في الحسبان. و أهم هذه المعوقات ما يأتي:

أولًا: اللغة: فلغة هذه الديانة اللغة المندائية التي هي من لهجات اللغة الآرمية القديمة وقد اندثرت هذه اللغة من مئات السنين، ومن قبل ظهور الإسلام، وجميع كتبهم الدينية كُتبت بهذه اللغة، وتنقل بنفس اللغة، إضافة إلى ذلك فإن معتنقوا هذه الديانة لابد أن يتعلموها لأن جميع طقوسهم الدينية بهذه اللغة ولا تبيح لهم ديانتهم أن يؤدوا شعائرهم إلا بهذه اللغة. فهي مشقة على أبناء هذه الديانة لأنهم يعيشون في مجتمعات لا تتحدث بهذه اللغة ولا تعترف بها فيتعلمون في مدارس لغاتها غير لغة ديانتهم، ومشقة على من أراد دراسة هذه الديانة ومعرفة طقوسها ودعوتها إلى الإسلام.

ثانيًا: ندرة المؤلفات القديمة الخاصة بهم مقارنة بغيرها من الطوائف:
إن هذه الطائفة تندر المؤلفات الخاصة بهم عند مقارنتهم بغيرهم من الطوائف سواءً من علماء المسلمين أو من غيرهم، وكل ما كتبه عنهم علماء المسلمين عبارة عن إشارات ضمن مؤلفات عامة، فقد أشار إليهم شيخ

الإسلام ابن تيمية في مواضع من مؤلفاته كالرد على المنطقيين ومنهاج السنة، وتلميذه ابن القيم في مفتاح دار السعادة، والشهرستاني في الملل والنحل.

ثالثًا: قلة الدراسات الميدانية في هذا العصر عن هذه الطائفة: اشتهرت في هذا العصر الدراسات الميدانية وعُنيت الطوائف بإعداد الدراسات الميدانية عن أنفسهم، أما الصابئة فقد قلّت الدراسات الميدانية عنهم إلا ما كتبه بعض المستشرقين، وهي تنحو منحى الدراسات التاريخية، ناهيك عمّا تحمله من أهداف سيئة ضد العرب والمسلمين فتذكي نار الفتنة بإحياء العصبية ورمي التاريخ العربي والمؤرخون العرب بعدم المصداقية، إضافة إلى إدعاء ظلم الأقليات غير الإسلامية من قبل العرب خاصة والمسلمين، وعلى هذا تكون هذه الدراسات غير علمية وغير دقيقة، فهي إضافة إلى قلتها قليلة الجدوى.

رابعًا: أن الدين عند الصابئة حكر على رجال الدين: عامة الصابئة لا يستطيعون تعلم ديانتهم، فلا يعلمها إلا خواص منهم، ولا يصلوا إلى هذه الدرجة إلا بعد جهد جهيد، وطقوس ومراسم، فرجال دينهم هم الذين يتولون عملية التعميد، وعملية النكاح، وعملية الدفن للموتى. وعباداتهم يؤدونها بنفس لغتها التي دونت بها قديمًا.

خامسًا: انزواؤهم وتكتمهم على أداء طقوسهم وتفرقهم ين المجتمع: طبيعة الصابئة الانزواء، وكذلك عدم وجود أماكن معروفة ظاهرة لإداء طقوسهم، وهذا الأمر يعتبر عقبة في طريق من أراد التوصل إليهم أو دراسة ديانتهم.

سادسًا: أنهم أساتذة التنجيم: مما أُبتُليت به الأمم خاصة في هذا العصر التنجيم عبر وسائل الإعلام المختلفة وقراءة الكف والكهانة وما تدره من أرباح مادية. ويُعد رجال دين الصابئة أساتذة هذا البلاء، وهذا يجعلهم أشد تمسكًا بديانتهم وخاصة رجال الدين حفاظًا على مكانتهم.

المطلب الثاني

أهم المقترحات حول مستقبل دعوتهم الى الإسلام في العصر الحاضر

لاشك أن الدعوة إلى الإسلام واجبة على الأمة كل بقدر طاقته وعلمه، وبها تتحقق الخيرية. وأتباع الديانة الصابئية أقل الديانات بحسب ما توصلت إليه من بحث، وهم من أصول عربية ويتحدثون بالعربية ويعيشون في البلاد العربية، وليس لهم قوة سياسية تتبنى ديانتهم وتدافع عنها أو حتى تكون حجر عثرة في طريق من يدعوهم إلى أي ديانة أخرى كل ذلك يعظم المسؤولية على دعاة الإسلام لإنقاذ هؤلاء من النار، وقد كان المسلمون الأوائل يقولون جئنا لنخرج من شاء من العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة.

ولم أجد من خلال البحث ما يثبت أنهم قد دُعوا إلى الإسلام في هذا العصر بطريق مباشر بالحوار والمناظرة ونحوها، ولا بطريق غير مباشر من خلال الانترنت أو تأليف الكتب المتخصصة في دعوتهم، رغم أن وسائل الدعوة قد تيسرت في الوقت الحاضر. فمن هذا المنطلق أُقدم هذه المقترحات أحسب من خلال دراستي العجلى لهذه الديانة أنها مفيدة حول مستقبل دعوتهم إلى الإسلام:

أولًا: الدراسات الميدانية لتحديد أماكن تواجدهم على نحو التحديد لتكون من أسباب التوصل إليهم بأقل جهد ممكن.

ثانيًا: الدراسات العلمية المتخصصة لأصول هذه الديانة وبيان معتقداتهم القديمة وما طرأ عليها من تغيير على مر العصور وخاصة هذا العصر. وتعتبر الدراسة العلمية لمعتقداتهم والتي تقدم بها الدكتور/ فهد الفايز في قسم العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مرجعًا جيدًا في هذا الباب ينبغي الإطلاع عليها لمن أراد دراسة هذه الديانة أو دعوتها.

ثالثًا: الدراسات التاريخية لبداية هذه الديانة ومراحل تطورها والمؤثرات التي أثرت فيها سلبًا وإيجابًا، ومعرفة تاريخ دعوتها إلى الإسلام والشخصيات الإسلامية العلمية والسياسية التي كان لها دور في دعوتها أو مناظرتها، واستقراء نتائج هذا التاريخ بعد تحليله ومعرفة نتائجه، والإفادة منها في دعوتهم في هذا العصر.

رابعًا: الاعتماد على القرآن الكريم ودراسة العرض القرآني للقضايا الأساسية في عقيدتهم، وكيف عرض وعالج مسألة بشرية الأنبياء، وكيف عرض وعالج مسألة الاعتقاد في النجوم والتنجيم، وكيف عرض وعالج مسألة الربوبية والألوهية، وكيف عرض وعالج مسألة الملائكة وغيرها من القضايا الأساسية في عقيدة هذه الطائفة يدرسها الداعية وتكون له زادًا عند دعوتهم.

خامسًا: دراسة أسلوب المناظرة في العموم والتركيز على مناظرة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه وما فيها من فوائد عظيمة، خاصة وأنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يناظر عبدة النجوم وهي ديانة الصابئة.

سادسًا: التطبيق العملي لهذه الدراسات هو النزول إلى ميدان الدعوة لهذه الطائفة عبر المتاح من الوسائل وخاصة الوسائل الإعلامية، وأخص الشبكة العنكبوتية فقد وجدت الكثير من المواقع الخاصة بهذه

الطائفة، يعرضون من خلالها مبادئهم والمشاكل التي يواجهونها ويتنادون من خلالها إلى التكاتف من أجل أن يكون لهم مكان في المجالس النيابية والمناصب الإدارية في العراق، كغيرهم من طوائف المجتمع العراقي ولاشك أنه إذا عُرضت الدعوة عليهم بالأسلوب العلمي الهادئ، ورُد على الشبهات والأفكار المنحرفة في هذه الديانة سيكون لها الأثر ومما تبرأ به الذمة إن شاء الله تعالى.

سابعًا: العمل الجاد للوصول إلى الطبقة المثقفة منهم، وقد وجدت بعض الأسماء في المؤلفات التي تمكنت من الحصول عليها وفي الكثير من المواقع على الشبكة العنكبوتية، فمنهم الأطباء ومنهم الحاصلين على أعلى المؤهلات في الكيمياء والفيزياء والأدب ومنهم من كان مديرًا لجامعة بغداد، وهم الآن منتشرون في بعض الدول الأوروبية وبعض الدول العربية وتركيا. والتخاطب مع هؤلاء عبر المراسلة الدعوية أو التعارف عبر أي وسيلة ممكنة، خاصة وأنهم انفتحوا على العالم، والتخاطب معهم بلغة عصرية سيكون له الأثر الجيد إن شاء الله تعالى. بعكس رجال الدين المنغلقين المنزوين على ديانتهم وكذلك عامة الطائفة. والطبقة المثقفة سيكون لها الأثر المستقبلي على بقية أتباع هذه الديانة. خاصة وأنني لمست أنهم يفخرون بهم كثيرًا ويتناقلون أخبارهم عبر الشبكة العنكبوتية.

ثامنًا: الثناء على المبادئ الصحيحة في الديانة الصابئية فقد ورد في الديانة الصابئية بعض المبادئ التي يقرها الإسلام ويدعو إليها، وبينت في المبحث الأول بعض هذه المبادئ، وأنها قد تكون بتأثير الإسلام، واحتكاكهم بالمسلمين خلال العصور الإسلامية الماضية، خاصة وأنها

تتوافق مع الفطر الإنسانية السليمة، وتقرها العقول السليمة. فعلى سبيل المثال الإسلام يدعو الإنسان إلى العلم والتعلم، وهم ينتسبون إلى مندا وهو في لغتهم صاحب العلم والمعرفة.

ومن الآداب والأخلاق أنهم يحرمون الظلم، وأكل الحرام، والربا، والرشوة، وشهادة الزور، والزنا، والنظر إلى الأجنبية، وخيانة الأمانة، والسرقة، والنميمة، وشرب الخمر، والمحرمات من النساء في الإسلام هن المحرمات عندهم، وغير ذلك من المبادئ والآداب التي يقرها الإسلام ويأمر بها، بل يقيم الحدود على مرتكبيها.

وهذه تعتبر قواسم مشتركة بين الإسلام والصابئية ويمكن توظيفها في دعوتهم، فيُثنى عليها وتعزز وتُتخذ منطلقات وقواعد يُستفاد منها في دعوتهم وأنهم أقرب إلى الإسلام من خلال هذه المبادئ، ويترتب على ذلك توطيد العلاقات ومن ثم الاستماع إلى الدعوة، حتى وإن لم يقبلها المدعو. وذلك أدعى للقبول، والثناء محبب للنفوس. فقد أثنى الرسول ﷺ على حلف الفضول الذي تعاهد فيه المتحالفون على نصرة المظلوم، وشهده ﷺ في الجاهلية، وبعد أن أكرمه الله بالرسالة قال مؤيدًا هذا الحلف: **«لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفًا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعيت لمثله في الإسلام لأجبت»**[١]. وفي ذلك الاعتراف بالحق والخير أينما وجد، حتى وإن خالف أهله في المعتقد، والمسلم داعي خير، يعترف بالخير ويساند كل من يدعو إليه[٢].

---

(١) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د: مهدي رزق الله أحمد، ص ١٣٠، وقال: إسناده صحيح مرسل يتقوى بإسناد آخر رواه الحميدي بإسناد صحيح. وانظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٢/ ٢٩١. وسبل الهدى والرشاد، الصالحي، ٢/ ٢٠٩. والرحيق المختوم، المباركفوري، ص٦٨.

(٢) انظر: فقه السيرة، د. زيد الزيد، ص ٨١ - ٨٦.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فها أنا أصل إلى نهاية هذا التطواف السريع في دراسة تاريخ الصابئة، وعقيدتها وتاريخ دعوتها. وبعد استقراء وتحليل عجل لهذا التاريخ أزعم أنني حصلت على فائدة علمية تعرفت من خلالها على شيء من معتقدات هذه الديانة وتاريخها ووسائل وأساليب دعوتها، إلى أن توصلت إلى أهم العقبات في طريق دعوتها ثم إلى اقتراح بعض المقترحات المستقبلية حول دعوتها بناءً على ما استفدته من خلال هذه الدراسة العجلى. وقد ظننت في بداية بحثي أن هذه الطائفة عدد قليل وفي اضمحلال، وبعد الدراسة تبين أنهم في ازدياد سريع، فقد كانوا قبل ثلاثين سنة أربعة آلاف نسمة، بينما هم اليوم في العام الهجري ١٤٣١هـ يتجاوزون مائة ألف نسمة. فأصبحت على يقين بأن هذه الديانة تستحق دراسة علمية دعوية يُفيد منها الدعاة في دعوة هذا الصنف من أصناف المدعوين، خاصة وأنه قد قُدم فيها دراسة علمية في الجانب العقدي في قسم العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وكانت هي الدراسة العلمية المتخصصة والتي لم تُسبق حسب ما توصلت إليه من بحث، وأصبح الجانب الدعوي والذي يُعنى به الدعاة لم يُدرس بعد، ويعتبر ما كتبته في المبحث الرابع يُعد نتيجة هذه الدراسة حيث بينت أهم المعوقات والمقترحات حول مستقبل دعوتهم إلى الإسلام في العصر الحاضر. وهذه الديانة معتنقوها من أبناء القطر العراقي وأعدادهم في ازدياد خاصة في السنوات الأخيرة. فأسأل الله جل وعلا أن يبارك فيما كتبت ويجعله من الذخر عنده، إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم...

السلبية في نصح ولاة الأمر
وآثارها على المجتمع

السلبية في نصح ولاة الأمر وآثارها على المجتمع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفرد بالجلال، الكبير المتعال، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير. أحمده حمدًا يليق بجلاله، وأثني عليه الخير كله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فبالنصيحة تنجو السفينة، وبتركها تغرق ويغرق بغرقها المجتمع، وربانها هم ولاة الأمر. وقد وصفها النبي ﷺ وصفًا بليغًا عندما قال: «**مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْمُدْهِنِ**[1] **فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فِي الْبَحْرِ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا يَصْعَدُونَ فَيَسْتَقُونَ الْمَاءَ فَيَصُبُّونَ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلاَهَا فَقَالَ الَّذِينَ فِي أَعْلاَهَا لاَ نَدَعُكُمْ تَصْعَدُونَ فَتُؤْذُونَنَا فَقَالَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا فَإِنَّا نَنْقُبُهَا مِنْ أَسْفَلِهَا فَنَسْتَقِي فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ فَمَنَعُوهُمْ نَجَوْا جَمِيعًا وَإِنْ تَرَكُوهُمْ غَرِقُوا جَمِيعًا**»[2].

والنصيحة دين كما قال الرسول ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لِمَنْ؟**

---

(١) المدهن: المحابي المصانع.

(٢) رواه الترمذي، كتاب الفتن، باب ١٢، ٣ / ٣٤٣، رقم ٢٣٢٨. وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٣ / ١٧٣.

قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[١].

ولما أراه من عدم الفهم عند الكثير بآداب وضوابط مناصحة الحكام، خاصة في هذا الزمان الذي كثرت فيه الفتن، وتقاربت فيه أطراف المعمورة وكأنها بلدة واحدة من خلال تطور وسائل الاتصال وتقنياته، فأصبحت هذه المسألة مباحة لكل قائل، بعد أن كانت حمى لا يرعاه إلا أهله من أهل العلم والفضل، فأصبحت مسألة المناصحة يتجاذبها منهجان، المنهج الغالي، والمنهج الجافي، في غياب ملموس لأهل منهج الوسط العدول الذين أشار الله إليهم في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[٢]. لهذا السبب وغيره كانت فكرة كتابة هذا البحث بعنوان «السلبية في نصح ولاة الأمر وآثارها على المجتمع».

وهو مكون من مقدمة تبين أهمية الموضوع وسبب اختياره، وأربعة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: مفهوم السلبية في نصح ولاة الأمر وأدلتها من القرآن والسنة.

المبحث الثاني: أسباب السلبية في نصح ولاة الأمر.

المبحث الثالث: آثار السلبية في نصح ولاة الأمر على المجتمع.

المبحث الرابع: علاج السلبية في نصح ولاة الأمر.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدين النصيحة،١/ ٥٣، رقم ٢٠٥.

(٢) سورة البقرة الآية ١٤٣.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وأسأل الله جل وعلا أن يوفقنا لقول الحق والعمل به، والنصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم. والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول

مفهوم السلبية في نصح ولاة الأمر وأدلتها من القرآن والسنة

أولًا: مفهوم السلبية:

ورد أصل الكلمة (سلب) في اللغة العربية بمعان عدة منها:

سلب: السين واللام والباء أصل واحد، وهو أخذ الشيء بخفة واختطاف.

السلب: نزع الشيء من الغير خلسة أو قهرا.

والسلب: المسلوب. وفي الحديث: **«من قتل قتيلا فله سلبه»**. والسليب: المسلوب.

السلب: ما يسلب يقال أخذ سلب القتيل ما معه من ثياب وسلاح ودابة.

السالب: الناقة أو المرأة التي سلبت ولدها وأسقطته لغير تمام. والجمعُ: سُلُبٌ وسَلائبُ ورُبَّما قالوا امْرأةٌ سُلُبٌ قال الرَّاجز:

ما بالُ أصْحابِكَ يُنْذِرُونَكِ أأَنْ رأَوْكِ سُلُبًا يرْمُونكِ

السلب: لحاء الشجر تعمل منه السلال والحبال.

وأسلب الشجر: ذهب حملها وسقط ورقها.

السلب: من الذبيحة جلدها وأكارعها وبطنها والجمع أسلاب.

وفرسٌ سَلْبُ القوائمِ: خَفيفُها

السليب: المسلوب ورجل سَلِيبٌ مُسْتَلَبُ العَقْلِ والجمعَ سَلْبَى، فيقال: رجل سليب العقل، أو المستلب العقل.

والسِّلابُ والسُّلُبُ: ثيابٌ سُودٌ يلْبَسُها النِّساءُ للإِحدادِ واحدتُها سَلَبَة

وسَلَبَتِ المرأةُ وهي مُسَلِّبٌ وتسلبتْ لبست السِّلابَ.

المُسَلِّبُ والسَّليبُ والسَّلُوبُ التي يموتُ زوجُها أو حَميمُها فتَسَلَّبُ عليْهِ[١].

السَّلْب: بالفتح وسكون اللام ما يقابل الإيجاب[٢].

السلبية عند الفلاسفة:

حال نفسية تؤدي إلى البطء والتردد في الحركة وقد تنتهي إلى توقفها وتطلق أيضًا على اتجاه عام يقوم على الإضراب وعدم التعاون[٣].

السلبية عند علماء العقيدة:

بعض العلماء يقسم صفات الله تعالى إلى ثبوتية وسلبية. مع أنهم ينصون على أنه لا يوجد في صفات الله عز وجل صفة سلبية محضة، فيقولون الصفات السلبية: هي النفي متضمنة لثبوت ضدها على وجه الكمال، فينفى عنه الخفاء لكمال علمه، وينفى عنه اللغوب لكمال قوته، وينفى عنه العجز لكمال قدرته، وما أشبه ذلك. فإذا نفى الله عن نفسه شيئًا من الصفات، فالمراد انتفاء تلك الصفة عنه لكمال ضدها، كما قال تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[٤] السنة: النعاس، والنوم: الإغفاء العميق، وذلك

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣ / ٩٢، ٩٣. والقاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص ١٢٥. والمحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، ٨ / ٥٠٤، ٥٠٥. والمعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ١ / ٤٤١. والتوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص ٤١١.

(٢) انظر: دستور العلماء، القاضي عبد رب النبي، ٢ / ١٢٩.

(٣) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ١ / ٤٤١.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

لكمال حياته وقيوميته، إذ لو كان ناقص الحياة لاحتاج إلى النوم، ولو نام ما كان قيومًا على خلقه، لأنه حين ينام لا يكون هناك من يقوم عليهم[١].

السلبية عند أهل البديع:

السلب والإيجاب هو في البديع أن يبنى الكلام على نفي شيء من جهة وإثباته من جهة أخرى والأمر من جهة والنهي من جهة أخرى وما أشبه ذلك كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا﴾[٣].

وفي الشعر نحو قوله:

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول[٤].

معنى السلبية في هذا البحث:

عند تأمل المعاني اللغوية، والمعاني الأخرى نجد أنها تدور حول المعاني الآتية:

الخفية، الخفاء، عدم الكمال، ذهاب الفائدة، التردد والبطء، الاضطراب، علامات الحداد. ومن خلال النظر في تلك المعاني، وإطلاقات الواقع يمكننا استخلاص معنى السلبية في النصيحة فنقول هي: **إخفاء ما ينبغي إيضاحه وإبلاغه وإعلانه من نصيحة الولاة خوفًا أو مجاملة أو مداراة أو مداهنة بما يؤدي إلى عدم تحقق أهداف النصيحة الشرعية وتضرُّر المجتمع.**

---

(١) انظر: القول المفيد، العثيمين، ١ / ٥٦٢. وشرح العقيدة الطحاوية، ابن جبرين، ١/ ١٨١.

(٢) سورة المائدة، الآية ٤٤.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٢٣.

(٤) انظر: الكليات، أبو البقاء الكفومي، ص ٨١٠.

ثانيًا: الدليل من القرآن على ذم السلبية:

قال الله تعالى: ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾[1]. يرى جمهور المفسرين: أن بني إسرائيل افترقت ثلاث فرق، فرقة عصت وصادت، وكانوا نحوا من سبعين ألفا. وفرقة اعتزلت ولم تنه ولم تعص، وإن هذه الطائفة قالت للناهية: لم تعظون قوما- تريد العاصية- الله مهلكهم أو معذبهم على غلبة الظن، وما عُهد من فعل الله تعالى حينئذ بالأمم العاصية. فقالت الناهية: موعظتنا معذرة إلى الله لعلهم يتقون. ثم إن الطائفة التي لم تنه ولم تعص هلكت مع العاصية عقوبة على ترك النهي، وهو قول لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[2]. وهذه هي الطائفة السلبية التي لم تنه مع أنها لم تعص، ولكنها عوقبت بالهلاك مع الطائفة العاصية، لأنها لم تأمر بالمعروف ولم تنه عن المنكر.

ثالثًا: دليل ذم السلبية من السنة:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَمَّا وَقَعَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الْمَعَاصِي نَهَتْهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ فَلَمْ يَنْتَهُوا فَجَالَسُوهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ وَوَاكَلُوهُمْ وَشَارَبُوهُمْ فَضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ وَلَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا**

---

(١) سورة الأعراف، الآيات ١٦٣ ـ ١٦٥.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٧ / ٣٠٧.

عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ». قَالَ: فَجَلَسَ رَسُولُ ﷺ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى تَأْطُرُوهُمْ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا»(١).

يُحدِّث النبي ﷺ عن بني إسرائيل عندما وقعوا في المعاصي نَهَتْهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ أَوَّلًا فَلَمْ يَقْبَلُوا النَّهْيَ وَلَمْ يَتْرُكُوا الْمَنْهِيَّ، وتظهر سلبية العلماء هنا في عدم الاستمرار في المناصحة والهجر، فَقد جَالَسوا الْعُصَاة وساكنوهم ووَاكَلُوهُمْ وَشَارَبُوهُمْ فَضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وَفي رواية: بِبَعْضٍ: أَيْ خَلطَ قُلوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، يُقَالُ ضَرَبَ اللَّبَنَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ: أَيْ خَلَطَهُ، وَقِيل: الْبَاءُ لِلسَّبَبِيَّةِ،أَيْ سَوَّدَ اللهُ قَلْبَ مَنْ لَمْ يَعْصِ بِشُؤْمِ مَنْ عصَى، فَصَارَتْ قُلُوبُ جَمِيعِهِمْ قَاسِيَةً بَعِيدَةً عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ أَوْ الرَّحْمَةِ بِسَبَبِ الْمَعَاصِي وَمُخَالَطَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا. وَمُقْتَضَى الْبُغْضِ فِي اللهِ أَنْ يَبْعُدُوا عَنْهُمْ وَيُهَاجِرُوهُمْ وَيُقَاطِعُوهُمْ وَلَمْ يُوَاصِلُوهُمْ، فلعن الله الْعَاصِينَ وَالسَّاكِتِينَ الْمُصَاحِبِينَ بِأَنْ دَعَا عَلَيْهِمْ داود عَلَيْهِ السَّلَامُ فَمُسِخُوا قِرَدَةً. وجلوس النبي ﷺ بعد أن كان مُتَّكِئًا دليل على أهمية الموضوع، وفي قوله ﷺ: لَا، أَيْ لَا تُعْذَرُونَ أَوْ لَا تَنْجُونَ مِنْ الْعَذَابِ، أَنْتُمْ أَيُّهَا الْأُمَّةُ خَلَفُ أَهْلِ تِلْكَ الْأُمَّةِ. وحدد لهم طريق النجاة والسلامة بقوله: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى تَأْطِرُوهُمْ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا: أَيْ حَتَّى تَمْنَعُوا أَمْثَالَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ، أَيْ لَا تَنْجُونَ مِنْ الْعَذَابِ حَتَّى تَمِيلُوهُمْ مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ، أَيْ تَمْنَعُوهُمْ مِنْ الظُّلْمِ وَتُمِيلُوهُمْ عَنْ الْبَاطِلِ إِلَى الْحَقِّ، ولَا تُعْذَرُونَ حَتَّى تُجْبِرُوا الظَّالِمَ عَلَى الْإِذْعَانِ لِلْحَقِّ وَإِعْطَاءِ النَّصَفَةِ لِلْمَظْلُومِ(٢).

---

(١) رواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة، ٥/٢٥٢، رقم ٣٣٢٢. وقال: هذا حديث حسن غريب. ورواه أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَهْ،

(٢) انظر: تحفة الأحوذي، المباركفوري، ٧/٣٦٩.

المبحث الثاني

أسباب السلبية في نصح ولاة الأمر

سأحاول من خلال هذا المبحث بيان رؤيتي لأهم أسباب السلبية دون حصرها، ومعرفة هذه الأسباب مبني على دراسة تاريخ الأمة الماضي والحاضر، وما أظهرته أحداث الواقع المعاصر بنظرة علمية بحثية.

أولًا: عدم معرفة أهمية النصيحة ومكانتها في الإسلام.

و ردت مادة (نصح) بصيغ متعددة في القرآن ثلاث عشرة مرة، كما أنها وردت على ألسنة بعض الأنبياء كنوح وهود وصالح - عليهم السلام - بما يدل على أهميتها، وقال فيها رسولنا ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»[١]. ففي جملة تامة مختصرة مكونة من كلمتين مبتدأ وخبر تحمل قوة البلاغة النبوية وتؤكد أهمية الأمر الذي يفهمه العربي بسليقته بدون عناء بحث وسؤال، وهكذا كان يفعل النبي ﷺ في ثوابت الدين وأصوله، بما يؤكد الأهمية، يقول النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (معنى الدين النصيحة أي عماد الدين وقوامه النصيحة، كقوله ﷺ: الحج عرفة: أي عماده ومعظمه عرفه)[٢]. وبالنصيحة تنجو سفينة الأمة، وتتحقق الخيرية المنشودة فيها كما في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[٣]. وليست النصيحة خاصة بأحد دون الآخر بل هي واجبة على كل مسلم بقدر طاقته، وتتأكد

---

(١) سبق تخريجه، ص ١.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢ / ٣٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١١٠.

في حق أهل العلم كما في حديث جَرِير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»(١). هذا نزر يسير من النصوص الدالة على أهمية النصيحة ومكانتها في الإسلام ووجوبها على كل مسلم، فإذا لم يستشعر المسلم ذلك سقط اعتبارها عنده، بما يؤدي إلى عدم فاعليته وسلبيته في المجتمع، بل أصبح مشاركًا في غرق سفينة المجتمع وهلاكهم.

ثانيًا: عدم فهم النصوص الشرعية وإنزالها على غير منزلها.

توارث البعض خاصة في العصور المتأخرة عمليًا أن مسائل طاعة ولي الأمر من مسائل أصول الدين مطلقًا، التي يحذر المسلم خوض دقائقها، وأن الطاعة لولي الأمر طاعة مطلقة، معتمدين على نصوص عدة منها: قول النبي ﷺ وهو يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «**وَلَوْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا**»(٢)، وحديث حُذَيْفَة بْن الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «... ثُمَّ تَنْشَأُ دُعَاةُ الضَّلَالَةِ، فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ يَوْمَئِذٍ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةٌ جَلَدَ ظَهْرَكَ، وَأَخَذَ مَالَكَ فَالْزَمْهُ، وَإِلاَّ فَمُتْ وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَى جِذْلِ شَجَرَةٍ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: يَخْرُجُ الدَّجَّالُ بَعْدَ ذَلِكَ.... الحديث»(٣)، وحديث أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ**

---

(١) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب هل يبيع حاضر لباد، رقم ٢٠١٢.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، رقم ٣٤٢١.

(٣) رواه الإمام أحمد من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ٥ / ٤٠٣، رقم ٢٣٤٧٦. وحسنه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند.

وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ. قَالُوا: أَفَلاَ نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: لاَ مَا صَلَّوْا»[1]. وحقيقة الأحاديث ليس فيها ما يدل على الطاعة المطلقة، إنما هي مقيدة بقوله ﷺ في الحديث الأول: يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وفي الحديث الثاني: فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ يَوْمَئِذٍ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةٌ، وشرط الخلافة الشرعية أن تكون قائمة على كتاب الله، وكذلك الحديث الثالث ليس فيه حجة على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتقديم النصيحة للحاكم والأمير بل نص صراحة على أن من أنكر سلم، واشترط للحاكم أن يقيم الصلاة، وهي من أظهر شعائر الإسلام، وإنما نهى عن الخروج عليهم بالقتال، وكفى هذا الأمر بيانًا تبويب النووي له بقوله: باب وجوب الإنكار على الأمراء. وهذا هو المراد من كلام الفقهاء قديمًا في طاعة ولي الأمر الذي لا يتجاوز عدم الخروج عليه بالسيف، وأن الطاعة في المعروف، وأن الصحيح في مسألة الإمامة أنها من فروع الدين وليست من أصوله إلا عند الرافضة. يقول العلامة يحي العمراني رَحِمَهُ اللَّهُ: (والكلام في الإمامة من فروع الدين والمسائل الفقهية التي تكلم بها أهل العلم)[2].

وكذلك الإغراق في فهم السرية مع صعوبة الوصول إلى الحكام، والخوف من الفتنة العامة بسبب الجهر بالنصيحة اعتمادًا على قول الرسول ﷺ: **«مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ نَصِيحَةٌ لِذِي سُلْطَانٍ فَلا يُكَلِّمْهُ بِهَا عَلانِيَةً، وَلْيَأْخُذْ بِيَدِهِ فَلْيَخْلُ بِهِ، فَإِنْ قَبِلَهَا قَبِلَهَا، وَإِلا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي لَهُ وَالَّذِي عَلَيْهِ»**[3]. ولا يُنكر أن

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء، ٦ / ٢٣، رقم ٤٩٠٦.

(٢) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية، يحي العمراني، ٣ / ٨١٥.

(٣) المعجم الكبير، الطبراني، ١٢ / ٣٤٤، رقم ١٤٤١٥.

الأصل في نصيحة الحاكم السرية إذا كانت النصيحة تتعلق بشخصه، أما إن كانت النصيحة تتعلق بأمر الرعية، والأخطاء متكررة، والرعية تستمري المنكرات، والحاكم يقرها بلسان حاله أو مقاله، فلا بأس بالجهر بقصد تحذير الناس من المنكر مع تجنب ذكر الأسماء، والبعد عن المنابذة بالقوة، فهذا هو الفهم الصحيح للحديث، كما أن المبالغة في تقدير درء المفسدة قد ينتج عنه مفسدة أكبر. والإسرار والجهر منهج قرآني ينبغي فهمه وإنزاله منازله الصحيحة كما قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾[(١)].

ومن الأمثلة على عدم فهم النصوص أيضًا عدم فهم قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾[(٢)]، فيقال ليس علينا واجب الأمر والنهي لأن الله أمرنا بالاهتمام بأنفسنا، ولا يضرنا ضلال الآخرين. بينما الفهم الصحيح للآية أن الضرر لا يصيب من كان مهتديًا، ولا تتحقق الهداية ولا تكتمل إلا إذا أدى المسلم ما أوجبه الله عليه، ومما أوجبه عليه الأمر والنهي، والذي لا يقوم بذلك لا يكون مهتديًا، ولذلك يقول حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إذا أمرتم ونهيتم)[(٣)]، ويقول سعيد ابن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ: (إذا أمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، لا يضرك من ضل إذا اهتديت)[(٤)]. هذا الفهم الخاطىء يساعد على الاستمرار على

---

(١) سورة نوح، الآيتان ٨، ٩.

(٢) سورة المائدة، الآية، ١٠٥.

(٣) جامع البيان، الطبري، ١١ / ١٤٨.

(٤) المرجع السابق، ١١ / ١٤٨. وانظر: شبهات حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. فضل إلهي، ص ١٣ ـ ١٧.

الأخطاء، أو تبريرها، أو السكوت عنها بفهم منكوس لحديث اسمع وأطع.

ثالثًا: الغلو في طاعة ولاة الأمر.

لاشك أن منهج أهل السنة وجوب طاعة ولي الأمر في المعروف، ولكن الظروف التي أملتها الحكومات الظالمة، والجهل في مسائل طاعة ولاة الأمر أوصل القضية إلى درجة الطاعة في معصية الله بحجة أن الله تعالى يغفر لهم ذنوبهم لمكانتهم في الأمة، أو المبالغة في درء المفسدة التي يمليها الخوف على الوظيفة والمكانة الاجتماعية توصَّل إلى الغلو في الطاعة، حتى أصبح تقبيل يد الحاكم وتعظيمه من المعروف الذي ينبغي فعله.

ومن الأمثلة على ذلك في عصور الأمة الماضية ما يقوله ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (فكثير من أتباع بني أمية أو أكثرهم كانوا يعتقدون أن الإمام لا حساب عليه ولا عذاب وأن الله لا يؤاخذهم على ما يطيعون فيه الإمام بل تجب عليهم طاعة الإمام في كل شيء والله أمرهم بذلك وكلامهم في ذلك معروف كثير وقد أراد يزيد بن عبد الملك أن يسير بسيرة عمر بن العزيز فجاء إليه جماعة من شيوخهم فحلفوا له بالله الذي لا إله إلا هو أنه إذا ولى الله على الناس إمامًا تقبل الله منه الحسنات وتجاوز عنه السيئات، ولهذا تجد في كلام كثير من كبارهم الأمر بطاعة ولي الأمر مطلقًا، وأن من أطاعه فقد أطاع الله، ولهذا كان يضرب بهم المثل يقال طاعة شامية)[1]. ورسخ هذا الغلو بعض الإرث الأدبي المنحرف في تاريخ الأمة، الذي يتعاقب على قراءته الناس وخاصة جلساء الحكام ويجعلونه مرجعًا لإجادة التعامل مع

---

(١) منهاج السنة، ابن تيمية، ٦ / ٣٠٤، ٣٠٥.

الحكام، وكسب ودهم، كما في مؤلفات ابن المقفع وغيره. يقول ابن المقفع: (فلا تكونن صحبتك للملوك إلا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عندك، وموافقتهم في ما خالفك، وتقدير الأمور على أهوائهم دون هواك... وعليك التلطف لحاجتهم، وتصديق قولهم، وتثبيت حجتهم، والتزيين لرائهم،... وعلى قلة الاستقباح لما فعلوا إذا أساءوا، والمقاربة لمن قاربوا وإن كانوا بعداء، والمباعدة لمن باعدوا وإن كانوا أقرباء.... فإن كنت حافظًا إن بلوك، جلدًا إن قربوك، أمينًا إن ائتمنوك.... تشكرهم ولا تكلفهم الشكر، بصيرًا بأهوائهم، مؤثرًا لمنافعهم، ذليلًا إن ظلموك، راضيًا إن أسخطوك، وإلا فالبعد منهم كل البعد، والحذر منهم كل الحذر)[1]. ويقول في موضع آخر: (.. فذلل نفسك باحتمال ما خالفك من رأي السلطان، وقررها على أن السلطان إنما كان سلطانًا لتتبعه في رأيه وهواه وأمره، ولا تكلفه إتباعك وتغضب من خلافه إياك)[2].

وبسبب هذا الغلو تدرج الضعف في الاحتساب على الحكام، وازداد ظهورًا في هذا العصر حتى انعدم في بعض البلاد، وانعكس الأمر حتى أصبح العلماء يتلقون التعليمات المخالفة للشرع من الحكام فيلتزمون بها وكأنهم دمى في أيدي الحكام يوجهونهم إلى حيث أرادوا باسم المصلحة، والبعد عن الفتنة، ومراعاة الظروف العالمية، مع تقبيل الأيدي، والانحناء المحرم، مع أن الواجب الشرعي الصحيح هو التزام الحكام بمشورة علماء الأمة.

---

(١) الأدب الكبير، عبد الله بن المقفع، ص ٥.

(٢) المرجع السابق، ص ١٠.

رابعًا: طغيان الحكام.

من تاريخ ذلك الطغيان الذي يحمل الناس وخاصة العلماء على السلبية قصة المأمون رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد أظهر المأمون القول بخلق القرآن، وقرب القائلين به من الجهمية والمعتزلة، وَآلَ بِهِ الحَالُ أَنْ حَمَلَ الأُمَّةَ عَلَى القَوْلِ بِخَلْقِ القُرْآنِ، وَامتَحنَ العُلَمَاءَ، وَوُجِّهَ بِمَنْ امتنعَ إِلَى الحَبْسِ، فَأَجَابَ القَوْمُ جَمِيْعًا غَيْرَ أَرْبَعَةٍ: الإمام أحمد، وَمُحَمَّدِ بنِ نُوحٍ، وَالقَوَارِيْرِيِّ، وَالحَسَنِ بنِ حَمَّادٍ.ثُمَّ أَجَابَ إثنان، وَبَقِيَ أحمد بن حنبل وَمُحَمَّدٌ بن نوحٍ فِي الحَبْسِ أَيَّامًا، ثُمَّ حُملا مقيدين للحاكم، ثم أجاب محمد خوفًا من بطش الخليفة، وثبت الإمام أحمد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يقول مُحَمَّدِ بنِ إِبْرَاهِيْمَ بنِ مُصْعَبٍ، وَهُوَ من أصحاب الشُرطَةِ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا لَمْ يُدَاخِلِ السُّلْطَانَ، وَلاَ خَالَطَ المُلُوْكَ، كَانَ أثبتَ قَلْبًا مِنْ أَحْمَدَ يَوْمَئِذٍ، مَا نَحْنُ فِي عَيْنِهِ إِلاَّ كَأَمْثَالِ الذُّبَابِ[1]. وفي هذا العصر أخذت الحكومات الإسلامية بأنظمة تتحكم في شعوبها تحكمًا مركزيًا دقيقًا، وتنظم كافة أمور الأفراد والمجتمعات بطريقة إدارية استخباراتية صارمة، فأصبح الفرد لا يستطيع أن يقوم بأي عمل، ولا يقول قولًا إلا بإذن وتصريح من السلطات الحاكمة، في تقييد وقتل لإبداعات الأمة باسم طاعة ولي الأمر، وإن لم يلتزم عرض نفسه للسجن والتعذيب والتسفير. فأصبح الوصول إلى الحاكم ولو لأداء واجب النصيحة، أو الحسبة، أو الدعوة إلى الله مما يصعب حصوله، إلا بإذن مسبق يندر الحصول عليه إلا بشق الأنفس، مع الهيمنة الظالمة

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢١ / ٢٨٠.

والتخويف المستمر الذي يرعب الناصح ويمنعه من إقامة حجة النصيحة إبراء للذمة، فيضطر إلى المداهنة المغطاة بغطاء المداراة المشروعة.

خامسًا: الخوف على الوظيفة ومصدر الرزق.

يعتمد أكثر العلماء والدعاة وأئمة المساجد في البلاد الإسلامية في زماننا هذا في أرزاقهم على ما يجريه عليهم الحاكم، الأمر الذي فتح باب المجاملة للحاكم خوفًا على المنصب والوظيفة ومصدر الرزق. وهذا كله قلل من الجهر بكلمة الحق أمام السلطان، وتقديم النصح له، وقلل من الإخلاص في البعض، فذهبت هيبتهم ومكانتهم وقبول نصحهم.

يقول مقاتل بن صالح الخراساني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (دخلت على حماد بن سلمة فإذا ليس في البيت إلا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ منها، فبينما أنا عنده جالس إذا دق داقٌ الباب فقال: يا صبية اخرجي فانظري من هذا؟ فقالت: رسول محمد بن سليمان، قال: قولي له يدخل وحده، فدخل فناوله كتابا فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن سليمان إلى حماد بن سلمة أما بعد: فصبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته، وقعت مسألة فأتنا نسألك عنها والسلام. قال يا صبية هلمي الدواة ثم قال لي: اقلب الكتاب واكتب أما بعد: وأنت فصبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته إنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحدًا فإن كانت وقعت مسألة فأتنا واسألنا عما بدا لك وإن أتيتني فلا تأتني إلا وحدك ولا تأتنى بخيلك ورجلك فلا أنصحك ولا أنصح نفسى والسلام.

فبينا أنا عنده دق داق الباب فقال يا صبية اخرجي فانظري من هذا

فقالت: محمد بن سليمان قال: قولي له ليدخل وحده، فدخل فسلم ثم جلس بين يديه فقال: مالي إذا نظرت إليك امتلأت ر عبًا فقال حماد بن سلمة: سمعت ثابتًا البناني يقول: سمعت أنس بن مالك يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله عز وجل هابه كل شيء، وإذا أراد أن يكتنز به الكنوز هاب من كل شيء)[1].

(١) صفة الصفوة، ابن الجوزي، ٣ / ٣٦١، ٣٦٢. والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، ٢ / ٤٥٩.

المبحث الثالث

آثار السلبية في نصح ولاة الأمر على المجتمع

سأذكر في هذا المبحث بعض ما أراه أثرًا ينتج عن السلبية في نصح ولاة الأمر، مستدلًا بنصوص الوحي، وما هو مشاهد في واقع المسلمين.

أولًا: انتشار الفساد والانحرافات الأخلاقية.

لا يشك عاقل أن الأمة إذا تخلت عن أداء واجب النصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن ذلك لا محالة سيؤدي إلى استمراء المعاصي، والجرأة على ارتكابها، ومع مرور الزمن وتعاقب الأجيال يصبح المنكر معروفًا، والمعروف منكرًا. يقول الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يكون مع أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بصيرة وثبات على الحق، ويعلم أنه سيصيبه شيء، وإذا لم يعمل ذلك زاد البلاء فيما بعد، فإن المنكرات ما تفشت إلا بسبب أن أول شيء يوجد يتساهل به، فيكون الأول قد نسى وصار كعادة وصعب إزالته، وتأتي الأمور الأخرى وهكذا. والفعل له تأثير أعظم من القول، وولاة الأمور قد يكون منهم زلل، وإذا زل أحد فمرجعه إلى الحق، لتعطل المفاسد، كما يجب على الجانب الآخر الذين ما عندهم قوة باليد البيان للمنكرات)[1].

وقد نهى الله عن الإفساد في الأرض في كثير من الآيات منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾[2]. وإن كل أمة أُهلكت من

---

(١) فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ٦ / ١٥٩، رقم ١٤٥٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٥٦.

السابقين قد كان سبب هلاكها ظلمها لنفسها وأخذها أسباب الترف وإفسادها في الأرض كما في قول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مَآ أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[1]، وفي ذلك عبرة وموعظة لعصاة المسلمين الذين ظلموا أنفسهم بنشر فسادهم في الأمة.

ومن واقع الأمة المعاصر في بلاد العالم الإسلامي والعربي خاصة شُيدت محاكم الحكم بغير ما أنزل الله، وتعامل الناس بالربا علانية، وسموه بغير اسمه، بل تعدى الأمر إلى التحايل على استباحته، وسُميت الخمر بغير اسمها وعرضت للبيع علانية، وأُذِن لدور الغناء والرقص العاري، واختلط الرجال والنساء على الشواطىء بملابس لا تكاد تحجب السوءاة المغلظة.

واختفى الآمرون بالمعروف ضعفًا أو خوفًا أو مداهنة، بل تأثر أهل العلم بواقع ما يعيشون فبرروا لبعض المنكرات. وأصبح الدين وأهله غرباء في بلادهم وهو مصداق قول النبي ﷺ: **«بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»**[2]. ومع هذا فإن العلماء مأمورون بالصدع بالحق، والبعد عن القول على الله بغير حق، أو المداهنة، يقول الرسول ﷺ لأبي ثعلبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«يا أبا ثعلبة مروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فإذا رأيت شحًا مطاعًا وهوى متبعًا ودنيا مؤثرة ورأيت أمرًا لا بد لك من طلبه**

---

(١) سورة هود، الآية ١١٦.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، ١ / ٣٠٥، رقم ٢٠٨.

فعليك نفسك ودعهم وعوامهم فإن وراءكم أيام الصبر، صبر فيهن كقبض على الجمر للعامل فيهن أجر خمسين يعمل مثل عمله»[1]، ومن صبر واحتسب واستمر في نصحه غيرة على الأمة، وتبرئة للذمة، وثبت على ذلك، فكل ما يصيبه فهو في سبيل الله، وهو مع سيد الشهداء كما قال الرسول ﷺ: **«سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَرَجُلٌ قَالَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ»**[2].

ثانيًا: التطرف والانحراف الفكري

كما قيل لكل فعل ردة فعل، وسلبية النصيحة لولاة الأمر، ينتج عنها تطرف وانحراف فكري، في جانبين متضادين هما غلو ديني تدفعه غيرة دينية جاهلة لا تعرف منهجًا شرعيًا صحيحًا للنصيحة والأمر بالمعروف، غاظها انحراف وفساد أخلاقي ينتشر في المجتمعات انتشار النار في الهشيم، وخروج على نظام الدين والخلق الإسلامي، يقابلها تطرف منحرف متنكر للإسلام وتعاليمه، مستحل للمنكرات، متجرٍ على الدين وأهله، متبنٍ لأفكار وافدة غريبة على مجتمع الإسلام، ومدافع عن الأفكار الوافدة المنحرفة، فجعل الله بأس الأمة بينها، في حين غفلة أو تغافل، أو غياب أو تغييب من علماء الأمة، مع تأييد من ولاة الأمر للانحراف الثاني بلسان حالهم أو مقالهم، فإن من أهم أسباب التطرف الديني الذي مُنيت به الأمة وما ترتب عليه من إفساد، واتخذه الأعداء ذريعة للتداعي على الأمة

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، ٤ / ٣٥٨، رقم ٧٩١٢، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الذهبي.

(٢) المرجع السابق، ٣ / ١٩٥، رقم ٤٨٨٤، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

الإسلامية هو التطرف المقابل الذي يقوم على محاربة الدين وأهله، ومعاندة الله علانية، والإغراق في الفساد الأخلاقي، مع تخلي بعض علماء الأمة عن واجبهم حتى تدرج الأمر إلى الكفر الصراح، كما في الكتاب الأخضر[١]، وقصيدة الآخر في مدح والده الرئيس تجعله إلهًا من دون الله[٢]، ناهيك عن ظلم الناس والبطش بهم.

فلا يشك عاقل أبدًا أن مثل هذا التطرف كان سببًا هامًا في التطرف الفكري الديني.

ثالثًا: تدني مكانة الحكام في نفوس المجتمعات.

أمر الإسلام بإنزال الناس منازلهم، واحترام مكانة المسلمين عامة، كما في قول الرسول ﷺ: «**أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ**»[٣]. ويزداد هذا الأمر أهمية في جانب ولاة الأمر، لتعزيز مكانتهم وهيبتهم واحترام الرعية لهم. لكن لا يُعزز هذه المكانة إلا عدل وصدق ولي الأمر. وفي تاريخ الأمة من الولاة العدول الكثير كما ورد في سيرة عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) كتاب ألفه معمر القذافي عام ١٩٧٦م، جعله مرجعًا تشريعيًا لليبيا، واعتبره مقدسًا، وألزم الناس بتعلم ما فيه، ونصب له التماثيل في الميادين العامة لتتربى الأجيال على تقديسه.

(٢) جمال ابن الرئيس المخلوع محمد حسني مبارك. يقول في أبيه قول كفر نبرأ إلى الله من ذلك، وما نقلته هنا إلا لتأكيد ما أقوله، واستغفر الله من ذلك، وكما قيل: ناقل الكفر ليس بكافر. يقول:

يحيا الرئيس للأبد..... يحيا هو الفرد الصمد.

له صفات ربنا...... لكنه له ولد.

موجود بالصوت والصورة في حفل أمام الملأ في كثير من المواقع الألكترونية.

(٣) رواه أبو داود، كتاب الطب، باب في تنزيل الناس منازلهم، ٤ / ٤١١، رقم ٤٨٤٤. ذكره الإمام مسلم في أول صحيحه تعليقًا.

(دخل المسجد فصعد المنبر واجتمع الناس إليه فقال: يا أيها الناس إني قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأي كان مني فيه ولا طلبة له ولا مشورة من المسلمين، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاختاروا لأنفسكم. فصاح المسلمون صيحة واحدة قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك فلِ أمرنا باليمن والبركة. فلما رأى الأصوات قد هدأت ورضي به الناس جميعًا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ وقال: أوصيكم بتقوى الله فإن تقوى الله خلف من كل شيء ليس من تقوى الله عز وجل خلف، فاعملوا لآخرتكم فإنه من عمل لآخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمر دنياه، وأصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم، وأكثروا ذكر الموت وأحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم فإنه هادم اللذات، وإن من لا يذكر من آبائه فيما بينه وبين آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أبا حيًا لمعرق في الموت، وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها عز وجل ولا في نبيها ولا في كتابها إنما اختلفوا في الدينار والدرهم، وإني والله لا أعطي أحدًا باطلًا ولا أمنع أحدًا حقًا. ثم رفع صوته حتى أسمع الناس فقال: يا أيها الناس من أطاع الله فقد وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعوني ما أطعت الله فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم)[١]، من كانت هذه صفاته، وهذا منهجه في حكم رعيته فقد أجبر الرعية على حبه وطاعته. وإذا انحرف ولي الأمر عن منهج الإسلام، ورضي بالفساد والمنكر، أو تخلى عن إنكاره رضًا به، أو ضعفًا، أو مداهنة، ولم يُقم حدود الله ويعدل بين رعيته، ضعفت أهليته لقيادة المجتمع، ومن ثم تدنت

---

(١) صفة الصفوة، ابن الجوزي، ٢ / ١١٤، ١١٥.

مكانته في نفوس رعيته، وقد ذم النبي ﷺ هذا الصنف من الولاة فقال: «إِنَّ خِيَارَ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَإِنَّ شِرَارَ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ، وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَدْعُونَ عَلَيْهِمْ وَيَدْعُونَ عَلَيْكُمْ»[١]. وإذا قرب الناصحين الصادقين، واتخذ البطانة الصادقة الناصحة الأمينة، الذين يؤيدونه في المعروف، وينهونه عن المنكر، استقام أمره وأمر رعيته، ومكنه الله في الأرض وأعانه، كما في قول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[٢].

رابعًا: حلول غضب الله وعقابه: من تخلى وحاد عن أمر الله حاكمًا أو محكومًا أو عالمًا فهو مهدد بعقاب الله تعالى، في الدنيا أو في الآخرة، ولكنا نعني هنا عقوبة الله في الدنيا، كما في قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾[٣]، أي فلما تركوا العمل بما أمرناهم به، بدلنا مكان البأساء الرخاء والسعة في العيش، ومكان الضراء الصحة والسلامة في الأبدان والأجسام، استدراجًا منًا لهم، حتى تأتيهم عقوبة الله في الدنيا أو في الآخرة[٤]، ويقول الله تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن

---

(١) مسند البزار، ٧ / ١٨٤، رقم ٢٧٥٢.

(٢) سورة الحج، الآية ٤١.

(٣) سورة الأنعام، الآية ٤٤.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري، ١١/٣٥٧ - ٣٦٠.

﴿كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾[1].

إن العدل سبحانه وتعالى لا يحابي أحدًا - تعالى الله عن ذلك - فقد توعد الله نبيه داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إن حاد عن الحق في الحكم بين الناس، وغلبه الهوى فقال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾[2]. وإن الأمة إذا قصرت في واجبها تجاه ولاة أمرها، وتخلت عن النصيحة الصادقة، فهي آثمة وسيحاسبها الله على تقصيرها، وخاصة علماؤها، ولا تعذر كونها أقامت لها حاكمًا أو نوابًا يقومون بهذا الأمر عنها، لقوله ﷺ: «**كَلاَّ وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ**»[3].

خامسًا: الخروج على الحكام: إن الله يمهل ولا يهمل، ولن نذهب بعيدًا في الاستدلال على صدق هذا الأثر من آثار السلبية، فإن فيما حدث لبعض رؤساء الدول العربية في هذه الأيام عبرة لمن اعتبر، وتصديقًا مؤكدًا لما نقول. فقد أقروا المنكرات في بلادهم، وبارزوا الله بالمعاصي وظلم الناس علانية، حتى أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وأذلهم بعد عز، وأهانهم بعد قوة، وما هي من الظالمين ببعيد. وهذه سنة الله فيمن تجاوز حدوده كما

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ٤٠.

(٢) سورة ص، الآية ٢٦.

(٣) رواه أبو داود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم ٤٣٣٨. وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود.

في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾[1]. ولم يسلم المجتمع من نتائج تلك الثورات، فقد قُتِل العشرات، وجُرح المئات، وخاف الآمنون. وما يقال لهم إلا ذلك بما كسبت أيديكم.

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فصل جزاء الفسوق: ما زلت أسمع عن جماعة من الأكابر وأرباب المناصب إنهم يشربون الخمور ويفسقون ويظلمون، ويفعلون أشياء توجب الحدود. فبقيت أتفكر أقول متى يثبت على مثل هؤلاء ما يوجب حدًا؟ ولو ثبت فمن يقيمه؟. وأستبعد هذا في العادة لأنهم في مقام احترام لأجل مناصبهم.

فبقيت أتفكر في تعطيل الحد الواجب عليهم، حتى رأيناهم قد نكبوا وأخذوا مرات، ومرت عليهم العجائب. فقوبل ظلمهم بأخذ أموالهم، وأخذت منهم الحدود مضاعفة بعد الحبس الطويل، والقيد الثقيل، والذل العظيم. وفيهم من قتل بعد ملاقاة كل شدة، فعلمت أنه ما يهمل شيء، فالحذر الحذر فإن العقوبة بالمرصاد)[2].

سادسًا: المبالغة في الأخذ بالرخص وتطبيقها في غير موضعها.

إن التيسير الوارد في الشريعة في نصوص كثيرة منها قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[3]، وقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ

(١) سورة الأنعام، الآية ٦.

(٢) صيد الخاطر، ابن الجوزي، ص٤٨

(٣) سورة البقرة، الآية ١٨٥.

تُؤْتَى رُخَصُهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ»[1]. دليل على أن مبنى الشريعة على التيسير، لكنه إما متعلق بظروف التكليف فتراعي قدرة المكلف وحاله وظروفه، فما يكون واجبًا على شخص قد يسقط عن الآخر للفوارق، وإما مبني على اختيار العبد في شأن ما يناسبه من كفارات،و إما بتقديم بدائل تراعي ميول الناس. أما تمييع الثوابت وتحويلها إلى قضايا فرعية، أو استبدالها بمحدثات ليست من التيسير في شيء إنما هو تمييع ممنهج لثوابت الدين يقوم به محسوبون على العلم والفتوى، أو مفكرون لا يملكون أدوات الفهم الصحيح للدين.

كما أن ترك العزائم والزهد فيها فتح باب التيسير على الناس والترخص على مصراعيه بدون ضوابط ونظرة حكيمة مستقبلية، فبُدِيء بالتنازلات في مسائل الفروع وغض النظر عنها، تيسيرًا على الناس ومواكبة للعصر، ولكنه تجاوز فروع الدين حتى أصبح بابًا مفتوحًا للخروج من مسلمات الدين وثوابته وأصوله بحجة التيسير والرخصة، فأوجد رأيًا متساهلًا في كل مسألة دينية. وهذا مكّن الحكام من تمرير آرائهم الفاسدة، والسعي لقبول برامج التغيير الاجتماعي وفقًا لبرامج التغريب المفروضة.

سابعًا: زعزعة ثقة الأمة في علمائها.

كثُرت المخالفات التي تصدر في تحريمها فتاوى علماء الأمة، ثم لا تتغير هذه المخالفات، ولا يأخذ الحكام على أيدي أصحابها، مع أنها تساهم في زعزعة ثوابت الأمة، فأصبحت الفتاوى لا تجد قبولًا بين أكثر طبقات

---

(١) رواه الإمام أحمد، ٢ / ١٠٨، رقم ٥٨٧٣. وصححه شعيب الأرنؤوط.

المجتمعات لأن المخالفات أصبحت أمورًا مألوفة، وكأن دور العلماء لا يتجاوز إصدار الفتوى، بسبب خشيتهم من أن الجهر بالنصيحة لولاة الأمر سيؤدي إلى مفسدة، وأثبت الواقع أن درءَهم للمفسدة أدى إلى مفسدة أعظم، بينما الواجب استمرار المناصحة والمطالبة بتغيير المخالفات وتحمل ما يترتب على المناصحة من أذى.

كل ذلك وغيره أدى إلى زعزعة الثقة في العلماء، وتعدى الأمر إلى الاستهزاء بهم، وبفتاواهم، وتحويلها إلى نُكتٍ مضحكة يتبادلها السذج عبر الرسائل الألكترونية أو في المجالس والأندية، في رضا بلسان الحال أو المقال من الحكام.

وخلاصة هذا المبحث أن الأمة لو سلمت من سلبيتها تجاه ولاة الأمر، وكان لعلماء الأمة وللآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر كلمة صدق وحق في بلاد الإسلام عامة عبر هيئاتها ومؤسساتها الرسمية وغير الرسمية الكثيرة المعروفة المنتشرة في العالم الإسلامي والعربي خاصة في إعلان كلمة الحق بعد إسرارها، وتجاوزوا حواجز الحدود القطرية فيما يتعلق بقول كلمة الحق والصدع بها بعيدًا عن المبالغة في المداراة، وإلقاء المسؤولية على علماء كل بلد بخاصة، وهم يعيشون الظلم والقتل والتشريد، لما بلغت الأمة هذا المبلغ ولخاف الظالم وارتدع، مع إيماننا بسنن الله الكونية، ولكن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1].

---

(١) سورة الرعد، الآية ١١.

المبحث الرابع

علاج السلبية في نصح ولاة الأمر

سأعرض في هذا المبحث بعض ما أراه علاجًا للسلبية الموجودة في نصح ولاة الأمر:

أولًا: التربية على ممارسة النصيحة الصادقة عبادةً لله.

واقع التربية على الطاعة لولاة الأمر في هذا العصر يُقدم بصورة نظرية جامدة، ليس لها من الواقع العملي إلا الخوف من سطوة الأنظمة، وحينئذٍ تُتخذ بعض نصوص الأمر بالطاعة مبررًا للسكوت على المنكرات، والتخلي عن واجب النصيحة، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[1]، وقول الرسول ﷺ لأبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**اسْمَعْ وَأَطِعْ وَلَوْ لِحَبَشِيٍّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**»[2]، وحديث حُذَيْفَة بن الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ: «... **ثُمَّ تَنْشَأُ دُعَاةُ الضَّلَالَةِ، فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ يَوْمَئِذٍ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةٌ جَلَدَ ظَهْرَكَ، وَأَخَذَ مَالَكَ فَالْزَمْهُ، وَإِلاَّ فَمُتْ وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَى جِذْلِ شَجَرَةٍ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: يَخْرُجُ الدَّجَّالُ بَعْدَ ذَلِكَ....** الحديث»[3].

بينما الواجب الشرعي أن تتربى الأجيال على التطبيق العملي لعبادة التناصح والتآمر بالمعروف المنضبط بضوابط الشرع، البعيد عن الجفاء

---

(١) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٢) رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب إمامة المفتون والمبتدع، ١ / ١٧٨، رقم ٦٩٦.

(٣) سبق تخريجه والكلام عليه ص ٨.

والغلظة والخروج عن جماعة المسلمين وعلى ولاتهم، الذي يعترف بحقوق أفراد المجتمع وطبقاته، والذي ينطلق من حب الخير للمسلمين رعاة ورعية. بحيث تبدأ هذه التربية بدءًا من الأسرة، والمدرسة، والجامعة، وبقية مؤسسات المجتمع لتصل إلى رأس الهرم ولي أمر المجتمع في منظومة مترابطة كالجسد الواحد، بحيث يستشعر الفرد هذه العبادة، ويتيقن أن نتيجتها ليست مقصورة على الفرد نفسه، بل هي متعدية للمجتمع بأسره، فيسلم من الفساد والفتن والفرقة واستجلاب عقوبة الله.

ثانيًا: أن يشعر المجتمع المسلم وعلماؤه بواجبهم تجاه الدين والنصيحة.

الأمة بأسرها مخاطبة بجميع أصول الشريعة وفروعها، وأدلة ذلك لا تُحصى من الكتاب والسنة، وقد بُدئت غالب النصوص بمخاطبة عموم الناس، كقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وقول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[1]، وقوله ﷺ: «**تَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ**»[2]، فالخطابات لعموم الأمة، وليس لخصوص أفرادها، وهذا يدل على أنها لا تُعذر بإقامتها الحكام ومبايعتهم فقط، بل يجب عليها استمرارية نصح الحكام، والصبر على أذاهم، حتى يستقيم اعوجاجهم بالمعروف، وهذه الأدلة قطعية على أن الأمة بأسرها هي المعنية بالمحافظة على الملة والشريعة، كما نص على ذلك ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: (يجب أن تكون الأمة حافظة للشرع، وحفظ الشرع يحصل بمجموع الأمة كما يحصل

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١١٠.

(٢) المعجم الكبير، الطبراني، ١٦ / ٩٢.

بالواحد بل الشرع إذا نقله أهل التواتر كان خيرًا من أن ينقله واحد منهم)[١]. ولو أن المغرمين بدراسة السياسة وتأسيس الأحزاب السياسية بدعوى مصلحة الأمة، فقهوا آداب وضوابط وأهمية النصيحة لوجدوا فيها الغنية، ولكانوا من أسباب صلاح الأمة ورفعتها يقول الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أما النصيحة فهي تحل محل التحرك السياسي في أي بلد يحكم بالشرع من خلال المشورة أو من خلال إبدائها بالتي هي أحسن بالضوابط الشرعية بعيدًا عن لغة الإلزام أو التشهير، فالبلاغ يقيم الحجة ويبرئ الذمة)[٢].

ثالثًا: إبراز مكانة العلماء وفضلهم في الأمة.

مكانة العلماء وفضلهم ليست هبة أو منحة شخصية يقدمها ويتفضل بها أفراد الناس حكامًا أو محكومين، إنما هي أمر إلهي ونبوي في كثير من نصوص القرآن والسنة كما في قول الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[٤]، وقول الرسول ﷺ: «**إِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»[٥]، وغيرها الكثير.

---

(١) منهاج السنة، ابن تيمية، ٦ / ٣٢٥.

(٢) التوحيد أولًا يا دعاة الإسلام، محمد ناصر الدين الألباني، ص ١٧.

(٣) سورة المجادلة، الآية ١١.

(٤) سورة فاطر، الآية ٢٨.

(٥) رواه أبو داود وغيره، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، ٣ / ٣٥٤، رقم ٣٦٤٣. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

فهل تعي المجتمعات المسلمة هذه المكانة ويقدرونها حق قدرها تعبدًا لله، أم تكون أعراض العلماء والقدح فيهم والحط من قدرهم والعمل على إسقاطهم حمىً مباحًا لأصحاب الأهواء كما هو الحال اليوم الذي يتجرأ فيه المعروفون بالفسق وقلة الديانة والولاء للأعداء على العلماء في كتاباتهم ونقدهم الجارح ويستعدون عليهم الحكام، ويحرفون آراءهم ويُشككون في نياتهم وولائهم دون وازع من دين أو حياء أو أدب.

إن الواجب الشرعي يقتضي إنزال العلماء منزلتهم التي وهبهم الله إياها، والذب عن أعراضهم، واحترامهم، مع التسليم أنهم ليسوا معصومين، ولا مانع من نقدهم النقد العلمي الهادف المعتمد على الدليل، والذي يقوم به المعروفون بالعلم والصدق والأدب.

رابعًا: إبراز مكانة الأمراء والحكام وفضلهم في الأمة.

الحفاظ على عظمة السلطان المسلم ومكانته ينتج عنه حفظ أمن الأمة وسلامتها من الفرقة والتشتت، وينتج عنه أيضًا رفع مكانة الأمة وإظهار قوتها وهيبتها بين الأمم، وذهاب مكانته وفضله وقوته يزعزع الأمن، ويُحدث الفرقة، ويطمع في الأمة الطامعون وما يتبع ذلك من آثار سيئة على الأمة. فطاعته واجبة في المعروف كما مر في ثنايا البحث. يقول القرافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ضبط المصالح العامة واجب، ولا تنضبط إلا بعظمة الأئمة في نفس الرعية، ومتى اختلفت عليهم أو أُهينوا تعذرت المصلحة)[1].و يقول الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن الثمرة المطلوبة من الإمام تطفئة الفتن الثائرة من

---

(١) الذخيرة، القرافي، ١٣ / ٢٣٤.

تفرق الآراء المتنافرة)[١]. ويقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ودلت نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة أن ولي الأمر يطاع في مواضع الاجتهاد، وليس عليه أن يطيع أتباعه في موارد الاجتهاد، بل عليهم طاعته في ذلك وترك رأيهم لرأيه، فإن مصلحة الجماعة والائتلاف ومفسدة الفرقة والاختلاف أعظم من أمر المسائل الجزئية)[٢].

خامسًا: استقلالية مؤسسات وهيئات العلماء عن الحكومات ماليًا وإداريًا.

يعيش علماء الأمة وقادة مؤسساتها العلمية ومفكروها تحت هيمنة الحكام، فالمرتبات بأيديهم، والتعيينات بأيديهم، والرأي والفتوى التي لا تتفق مع توجهات الحكام صاحبها مطرود من وظيفته، محروم من رزقه، إن لم يلق به غياهب السجون، وهذا لا شك مؤثر على حرية الرأي والفكر والصدع بالنصيحة. ومؤدٍ عند بعض العلماء إلى تغليب المصلحة الشخصية حفاظًا على الوظيفة والراتب والمكانة على مصلحة الأمة، واتخاذ التبريرات المؤدية إلى المداهنة بحجة المداراة ودرء المفسدة. وحينئذٍ أرى أن الفرصة مواتية في أغلب بلاد المسلمين تزامنًا مع هذه الثورات الشعبية في البلاد العربية إلى العمل الجاد على استقلالية الهيئات والمؤسسات العلمية والمجامع الفقهية ودور الإفتاء وهيئات العلماء إداريًا وماليًا، بحيث يأمنون على مصادر رزقهم، ولا يصل إليهم طغيان الحكام، مع بناء أنظمة إدارية ينضبط بموجبها اختيار الهيئات العلمية والعلماء وفق ضوابط وقواعد

---

(١) الاعتصام، الشاطبي، ٢ / ١٢٧.

(٢) جامع المسائل، ابن تيمية، ٥ / ٢٧٣.

علمية وشرعية وزمانية تمنح الفرصة لمشاركة أصحاب العلم والفكر الريادي الذين يقدمون النفع العام على المكتسبات الشخصية، وتغليب المصلحة المستقبلية بعيدة المدى على النظرات القصيرة المستعجلة، حتى لا تكون المجتمعات الإسلامية رهينة مفاجآت لا يعلم عنها سوى حكام متخاذلون إن كانوا يعلمون!، وكما قيل: الاستعداد والتخطيط المسبق أمر معدود من الحكمة وحسن التدبير.

سادسًا: استقلالية السلطات التشريعية والقضائية.

سيطرت الحكومات العربية المعاصرة سيطرة تامة على السلطات التشريعية والقضائية، فأصبحت الأحكام والأنظمة تمليها الحكومات بقيادات شخصية، وكثرت المظالم، وانتشر الفساد الأخلاقي، ونُهبت ثروات البلاد ومقدرات الأمة، ووقع عامة الشعوب فريسة للضرائب والغلاء والفقر، ناهيك عن الأحكام التعسفية المؤبدة أو الإعدام، ولو وجد في السلطات التشريعية والقضائية من ينكر ذلك عرض نفسه للفصل من عمله، أو قطع لراتبه أو تقييد لحريته، أو اعتقال لذاته. وأدى الوقوع في هذه المظالم إلى حلول عقوبة الله على التي ذكرها الرسول ﷺ عندما قال: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا»**[1]. وفي رواية: **«إنما أهلك من كان قبلكم»**[2].

---

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كراهية الشفاعة في الحد، رقم ٦٧٨٨.

(٢) رواه البيهقي في السنن، رقم ٥٢٧٥.

نظام الإسلام لا يستثني أحدًا مهما كان شأنه من المثول أمام القضاء، وهذا يؤدي إلى أن يتساوى جميع الأفراد أمام القضاء، ولا يفرق بين الناس في إيقاع العقوبات المستحقة.

ولم يجعل الإسلام للكبراء والحكام أي ميزة خاصة في هذا الجانب، كما أن هذا يعزز هيبة القضاة، ويزيد من ثقتهم في أنفسهم، والتزامهم بحكم العدل. ومن أمثلة ذلك في تاريخ الإسلام المشرق أن الخلفاء الراشدين مثلوا أمام القاضي الذي يمثل أمامه عامة الناس. وقد رسم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الدستور العملي للقضاء كما في رسالته لأبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين ولاه القضاء قال فيها: (... أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ وَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ فَافْهَمْ إِذَا أُدْلِيَ إِلَيْكَ فَإِنَّهُ لاَ يَنْفَعُ تَكَلُّمٌ بِحَقٍّ لاَ نَفَادَ لَهُ وَآسِ بَيْنَ النَّاسِ فِي وَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ وَعَدْلِكَ حَتَّى لاَ يَيْأَسَ الضَّعِيفُ مِنْ عَدْلِكَ، وَلاَ يَطْمَعَ الشَّرِيفُ فِي حَيْفِكَ الْبَيِّنَةُ عَلَى مَنِ ادَّعَى وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ وَالصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ النَّاس إِلاَّ صُلْحًا أَحَلَّ حَرَامًا أَوْ حَرَّمَ حَلاَلًا لاَ يَمْنَعَنَّكَ قَضَاءٌ قَضَيْتَهُ رَاجَعْتَ فِيهِ نَفْسَكَ وَهُدِيتَ فِيهِ لِرُشْدِكَ أَنْ تُرَاجِعَ الْحَقَّ فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ وَمُرَاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ...)(١).

وكان بين عمر وبين أُبيّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا خصومة. فقال عمر: أجلع بيني وبينك رجلًا، فجعلا بينهما زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فأتياه فقال عمر: أتيناك لتحكم بيننا وفي بيته يُؤتى الحَكَمُ. فلما دخلا عليه وسَّع له زيد عن

---

(١) سنن الدارقطني، ٥ / ٣٦٨، رقم ٤٤٧١. وانظر: فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب، د. علي محمد الصلابي، ١ / ٢٥٩.

صدر فراشه فقال: ها هنا أمير المؤمنين. فقال له عمر: هذا أول جَوْر جُرْت في حكمك، ولكن أجلس مع خصمي، فجلسا بين يديه. فادّعى أُبيّ وأنكر عمر، فقال زيد لأبيّ: اعفِ أمير المؤمنين من اليمين وما كنت لأسألها لأحد غيره، فحلف عمر، ثم أقسم: لا يدرك زيدٌ القضاءَ حتى يكون عمرُ ورجلٌ من عُرْض المسلمين عنده سواء. وفي قصة أخرى أخذ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فرسًا من رجل على سوم فحمل عليه فعطب، فخاصم الرجل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال له: اجعل بيني وبينك رجلًا، فقال الرجل: إني أرضى بشريح القاضي، فقال شريح لعمر: أخذته صحيحًا فأنت له ضامن حتى ترده صحيحًا مسلمًا، فأدّى عمر ثمنه للرجل. ومن أمثلة ذلك أيضًا: أن الخليفة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو حاكم المسلمين وخليفتهم يفتقد درعه فيجدها لدى يهودي يعرضها في السوق فلا يأخذها منه قهرًا وإنما يقول له: بيني وبينك قاضي المسلمين فجاء به إلى شريح القاضي فتحاكما إليه وقال علي إنها درعي ولم أبع ولم أهب، فسأل اليهودي: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟ قال اليهودي: ما الدرع إلا درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب، فالتفت شريح إلى علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسأله: يا أمير المؤمنين هل من بينة، فضحك علي وقال: أصاب شريح ما لي بينة، فقضى شريح لليهودي بالدرع، فأخذها ومشى إلا أنه لم يخط خطوات حتى عاد يقول: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء، أمير المؤمنين يدنيني إلى قاضيه فيقضي عليه، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله،

الدرع درعك يا أمير المؤمنين اتبعت الجيش وأنت منطلق من صفين فخرجت من بعيرك الأورق فقال علي: أما إذ أسلمت فهي لك[1]. هذه صور القضاء المستقل الذي لا يتأثر بمكانة حاكم أو والي، وهذا هو التراث الثقافي والحضاري الزاخر الذي يُقتدى به، وهكذا يجب أن يكون قضاء المسلمين.

(١) انظر هذا القصص في: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢ / ٤٣٥. وحياة الصحابة، الكاندهلوي، ٢ / ٢٢٦.

أهم النتائج والتوصيات:

أختصر نتائج البحث في النقاط التالية:

١- أن السلبية في نصح ولاة الأمر ظاهرة مذمومة في تاريخ الأمة المسلمة تظهر إذا تخلى علماء الأمة عن واجبهم، وتسلط حكامها على شعوبهم، وتختفي أحيانًا إذا صدق العلماء في نصحهم لولاتهم وثبتوا وصبروا على الأذى، أداءً لأمانة النصح، وحفاظًا على نجاة سفينة الأمة.

٢- أن النصيحة دين يُتعبد الله بها، فالإخلاص فيها شرط، ولهذا يجب أن تسلم من حظوظ النفس، ورغبات الهوى، لتكون نتائجها إيجابية، وأُكُلها طيب.

٣- أن مسؤولية العلماء تجاه الأمة أهم وأعظم من مسؤولية الحكام فهم ورثة الأنبياء والموقعون عن الله، وهم ولاة الأمر المشرعون عن الله، وهم أهل الشورى والحل والعقد عبر تاريخ الأمة المجيد، فواجب الأمة حفظ مكانة علمائها واحترامهم وإنزالهم منازلهم.

٤- أن الفهم العلمي الصحيح للنصوص الشرعية وإنزالها منزلها الصحيح وتقدير المصالح والمفاسد مهمة العلماء الربانيين، وأن المبالغة في تطبيق قاعدة درء المفاسد قد يتسبب في وقوع مفاسد أعظم خاصة مع عدم قبول الولاة للنصيحة...

٥- أن منهج أهل السنة في وجوب طاعة ولي الأمر في المعروف واضح بيّن، وسط بين الإفراط والتفريط، يجب أن يتربى عليه الأجيال، ويستشعروا أهميته ونفعه العائد على المجتمع، فيؤدونه عبادة لله تعالى.

٦- أن التخلي عن أداء واجب النصيحة لولاة الأمر خوفًا أو مبالغة في

المداراة أو مداهنة يؤدي إلى فساد المجتمع، وانتكاس المفاهيم بحيث يصبح المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، فيُستجلب غضب الله.

٧- أن المبالغة في التيسير على الناس والأخذ بالرخص وتطبيقها في غير مواضعها الشرعية سبب مؤكد من أسباب تمييع ثوابت الدين ومسلماته، والاستسلام لبرامج التغريب الممنهجة التي تستهدف الأمة في دينها وأخلاقها.

٨- أنه يجب على العلماء الاستفادة من أحداث الواقع المؤلم وما نتج عنها من اضطراب الأمن وقتل الأبرياء وتشتت الرأي، فيجمعوا كلمتهم، ويبادروا بتنظيم الهيئات والمؤسسات العلمية والقضائية والسعي لاستقلاليتها لتكون فاعلة في المجتمع، وصادقة جادة في نصح ولاة الأمر وتقويم اعوجاجهم.

وفي الختام فبعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهل، والإقرار بتوفيقه أولًا وآخرًا، فهذا ما جاد به الفكر وخطه البنان، غيرة على الأمة ومقدراتها، من خلال نظرة علمية واقعية لحال أمتنا المكلومة، مع أن نظرة التفاؤل بحمد الله هي الغالبة، والخير متأصل في أبناء الأمة، وسنة الله ماضية. وما أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب. ثم أنني لا أُبريء نفسي من الخطأ، فإنما أنا بشر بذلت جهدي فما كان من صواب فهو من الله وتوفيقه، وما كان من نقص أو خطأ فهو مني فأستغفر الله وأتوب إليه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مراجع الابحاث

١. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي وآخرون، دار الراية، الرياض، ط٢، ١٤١٥هـ.

٢. الإبداع في مضار الابتداع، علي محفوظ، تحقيق: سعيد بن نصر بن محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢١هـ.

٣. إبراهيم أبو الأنبياء، الأستاذ عباس محمود العقاد.

٤. الآحاد والمثاني، ابن أبي عاصم، تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الدراية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١١هـ.

٥. الأحكام السلطانية، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، صححه السيد محمد بدر الدين الحلبي، ط١، ١٣٢٧هـ.

٦. أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١.

٧. إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار المعرفة، بيروت، بدون معلومات أخرى.

٨. الآداب الشرعية، عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ.

٩. الأدب الصغير والكبير، عبد الله بن المقفع، كتاب ألكتروني.

١٠. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الاسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ.

١١. أسباب النزول، أبي الحسن علي الواحدي النيسابوري، دار الباز للنشر والتوزيع، مكه المكرمة، ١٣٨٨هـ، بدون ذكر رقم الطبعة.

١٢. الأصول من علم الأصول، العلامة محمد بن صالح العثيمين، نشر مؤسسة الشيخ محمد الصالح العثيمين الخيرية.

١٣. الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

١٤. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، فخر الدين الرازي تحقيق، د. محمد زينهم عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ.

١٥. إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ابن القيم، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م، بدون ذكر رقم الطبعة.

١٦. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ.

١٧. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. ناصر عبدالكريم العقل، مكتبة الرشد، الرياض.

١٨. إكمال إكمال المعلم للإمام محمد بن خليفة الأبي، مع شرحه المسمى مكمل إكمال الإكمال، للإمام محمد بن محمد بن يوسف السنوسي الحسني، صححه محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ.

١٩. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، يحيى بن أبي الخير العمراني، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، نشر أضواء السلف، الرياض، ١٩٩٩م.

٢٠. أنوار الربيع في أنواع البديع، صدر الدين علي بن أحمد الحسيني المدني المعروف بعلي خان بن مرزا، كتاب إلكتروني.

٢١. إيقاظ الأفهام في شرح عمدة الأحكام، سليمان بن محمد اللهيميد، نشر مكتبة مشكاة الإسلامية الإلكترونية.

٢٢. الباعث على إنكار البدع والحوادث، أبي القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، الطائف، ط١، ١٤١٢هـ.

٢٣. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الإدريسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ.

٢٤. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د.أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ١٤٠٨هـ.

٢٥. البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها، د. عزت علي عطية،

دار الكتاب العربي، بيوت، ط ٢، ١٤٠٠هـ.

٢٦. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى، بدون معلومات أخرى.

٢٧. بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، السيد محمود شكري الألوسي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٨. تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د. ط).

٢٩. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن إبراهيم حسن.

٣٠. تاريخ الصابئة المندائيين، محمد بن عمر حمادة، مطبعة دار السلام، بغداد، د. ط.

٣١. التاريخ الكبير، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦م.

٣٢. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تأليف: أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

٣٣. تتمة المختصر في أخبار البشر، تاريخ ابن الوردي، تحقيق أحمد رفعت، دار المعرفة بيروت، ١٣٨٩هـ.

٣٤. التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.

٣٥. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلى محمد عبد الرحمن المباركفوري، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٣٦. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبارك فوري أبو العلا، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٧هـ.

٣٧. التدريب وأهميته في العمل الإسلامي، د. محمد موسى الشريف، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط٤، ١٤٢٤هـ.

٣٨. التدمرية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٦، ١٤٢١هـ.

٣٩. التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٤٠. تفسير القرآن العظيم، للإمام أبي الفداء إسماعيل ابن كثير، توزيع مكتبة المعارف، الرياض، ط١.

٤١. التفسير القيم، للإمام ابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، دار السنة المحمدية للطباعة، القاهرة، مصر الجديدة، بدون ذكر رقم الطبعة ولا التاريخ.

٤٢. تفسير الماوردى المسمى النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون معلومات أخرى.

٤٣. التفسير الموضوعي للقرآن، د. أحمد الشرقاوي، نشر مجموعة الكتاب والسنة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة.

٤٤. تفسير غريب ما فى الصحيحين، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الحميدي، تحقيق الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ.

٤٥. تقويم طرق تعليم القرآن الكريم في مراحل التعليم العام والتعليم الجامعي، د. محمود بن إبراهيم الخطيب. بدون ذكر دار نشر أو رقم طبعة أو تاريخ.

٤٦. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.

٤٧. التوحيد أولًا يا دعاة الإسلام، محمد ناصر الدين الألباني. كتاب ألكتروني.

٤٨. التوقيف على مهمات التعاريف، تأليف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر، بيروت، ودار

الفكر المعاصر، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ.

٤٩. تيسير أصول الفقه، عبد الله بن يوسف الجديع، كتاب ألكتروني.

٥٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، العلامة عبدالرحمن بن سعدي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

٥١. التيسير بشرح الجامع الصغير، الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ.

٥٢. جامع الأحاديث، عبد الرحمن بن أبو بكر جلال الدين السيوطي. بدون معلومات.

٥٣. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.

٥٤. الجامع الصحيح، المسمى صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٥٥. جامع العلوم والحكم، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي، الشهير بابن رجب، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٥٦. جامع المسائل، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد

السلام بن تيمية، تحقيق: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ.

٥٧. الجامع لأحكام القرآن المسمى تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ.

٥٨. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ.

٥٩. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع،أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ.

٦٠. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

٦١. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: د.علي حسن ناصر، د. عبد العزيز إبراهيم العسكر، د. حمدان محمد، دار العاصمة، الرياض الطبعة١، ١٤١٤هـ.

٦٢. حقيقة البدعة وأحكامها، د. سعيد بن ناصر الغامدي، مكتبة الرشد، الرياض، ط٤، ١٤٢١هـ.

٦٣. حلية الأولياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار

الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
٦٤. الحوار آدابه ومنطلقاته، محمد شمس الدين خوجة، طبع ونشر مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، ط ٤، ١٤٣٠هـ.
٦٥. حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، كتاب ألكتروني.
٦٦. خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه رضي الله عنهم، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٠هـ.
٦٧. دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
٦٨. دائرة المعارف الإسلامية موسوعة علمية أكاديمية، لمجموعة من المستشرقين، أصلها بالإنجليزية وعُرِّب بعض أجزائها، طبع مركز الشارقة للإبداع الفكري، الإمارات العربية، الشارقة، ط١، ١٩٩٨م.
٦٩. الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م، بدون ذكر رقم طبعة.
٧٠. الدرة العثيمينية بشرح فتح رب البرية بتلخيص الحموية، محمد الصالح العثيمين، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ١٤٢٧هـ.
٧١. دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، للقاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري، حققه وعرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
٧٢. الدعاء، سليمان بن أحمد الطبراني أبو القاسم، تحقيق: مصطفى عبد

القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

٧٣. دعوة النبي للأعراب، حمود بن جابر الحارثي، دار المسلم، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

٧٤. الذخيرة، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، تحقيق: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٤م.

٧٥. ذيل طبقات الحفاظ للذهبي، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بدون معلومات أخرى.

٧٦. الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار الوفاء، مصر، المنصورة، ط٢، ١٤٢٠هـ.

٧٧. الرد على البكري، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد علي عجال ابن تيمية، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٧هـ.

٧٨. الرد على المنطقين، شيخ الإسلام ابن تيمية، دار المعرفة، بيروت.

٧٩. رفع الملام عن الأئمة الأعلام، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الله بن ابرهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت.

٨٠. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ.

٨١. زاد الداعية إلى الله، محمد بن صالح العثيمين، طبع ونشر، مؤسسة الشيخ محمد الصالح العثيمين الخيرية، ط١، ١٤٢٤هـ.
٨٢. زاد المعاد في هدي خير العباد، العلامة أبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٢٢هـ.
٨٣. زهرة التفاسير، الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، بدون معلومات أخرى.
٨٤. سبل السلام شرح بلوغ المرام، الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، بدون معلومات أخرى.
٨٥. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد ين يوسف الصالحي الشامي، تحقيق د. مصطفى عبد الواحد وآخرون، نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي بوزارة الأوقاف المصرية، ١٤١٠هـ.
٨٦. السجل العلمي لأبحاث ملتقى الدراسات الدعوية الواقع والأمل، طبع ونشر الجمعية السعودية للدراسات الدعوية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
٨٧. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، ومكتبة المعارف، الرياض، ط٣، ١٤٠٦هـ.
٨٨. سنن ابن ماجه، تأليف: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، بدون ذكر

رقم طبعة ولا تاريخ.

٨٩. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت.

٩٠. سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ، بدون ذكر رقم طبعة.

٩١. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩٢. سنن الدارقطني، لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٩٣. سؤال وجواب حول فقه الواقع، محمد ناصر الدين الألباني، دار الجلالين للنشر والتوزيع، الرياض.

٩٤. سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤١٠هـ.

٩٥. السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق الله أحمد، نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط ١، ١٤١٢هـ.

٩٦. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مكتبة ومطبعة

مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ.
٩٧. شبهات حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. فضل إلهي، إدارة ترجمان الإسلام، باكستان، ومكتبة المعارف بالرياض، ط ١، ١٤١١هـ.
٩٨. شرح أصول أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ.
٩٩. شرح السنة، الإمام الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ.
١٠٠. شرح العقيدة الطحاوية، عبد الله بن عبدالرحمن الجبرين. كتاب ألكتروني.
١٠١. شرح النووي على صحيح مسلم المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ.
١٠٢. شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، محمد بن صالح العثيمين، نشر مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية على نفقة مؤسسة العنود الخيرية، طبعة عام ١٤٢٨هـ.
١٠٣. شرح زاد المستقنع، د. محمد بن محمد المختار الشنقيطي، مذكرة مطبوعة مفرغة من تسجيل شرح الشيخ.

١٠٤. الصابئية المندائيون، سليم برنجي، ترجمة جابر أحمد، ط ١٩٩٧م، بغداد.

١٠٥. الصابئيون أصولهم وعقائدهم وموقف الإسلام منهم، رسالة دكتوراه غير منشورة، د. فهد بن موسى الفائز، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٠٦. الصابئيون حرانيين ومندائيين، الدكتور/ رشدي عليان، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٧٦م.

١٠٧. الصابئيون في حاضرهم وماضيهم، عبدالرزاق الحسيني، ط ١٩٨٤م، بغداد.

١٠٨. الصحاح تاج اللغة، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ.

١٠٩. الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، الرياض.

١١٠. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تأليف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.

١١١. صحيح الأدب المفرد، محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق، الجبيل، ط ١، ١٤١٤هـ.

١١٢. صحيح البخاري المسمى الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن المغيرة البخاري، دار الشعب، القاهرة، ط ١، ١٤٠٧هـ.

١١٣. صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٦هـ.

١١٤. صحيح الجامع، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٦هـ.

١١٥. صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ.

١١٦. صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

١١٧. صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، لبنان، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط١، ١٤٠٨هـ.

١١٨. صحيح سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ.

١١٩. صحيح مسلم المسمى الجامع الصحيح، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل ودار الأفاق الجديدة، بيروت.

١٢٠. صفة الصفوة، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: محمود فاخوري - د. محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ.

١٢١. الصلاة المندائية، الشيخ رافد عبدالله الشيخ نجم، ط ١٩٨٨م، بغداد.

١٢٢. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط٣، ١٤١٨هـ.
١٢٣. صيد الخاطر، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج بن الجوزي، كتاب ألكتروني.
١٢٤. طبقات الحنابلة، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي.
١٢٥. ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٣هـ.
١٢٦. علل الحديث، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، د. سعد بن عبد الله الحميد ود. خالد بن عبد الرحمن الجريسي، مطابع الحميضي، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ.
١٢٧. علم أصول البدع، علي بن حسن بن علي عبد الحميد الحلبي الأثري، دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.
١٢٨. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون ذكر رقم طبعة ولا تاريخ.
١٢٩. عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥م.
١٣٠. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي

ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون ذكر مكان ورقم طبعة ولا تاريخ.

١٣١. غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق، تحقيق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، نشر جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٥هـ.

١٣٢. غريب الحديث، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٥ هـ.

١٣٣. غريب الحديث، أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبو سليمان، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم، نشر جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ، بدون ذكر رقم طبعة.

١٣٤. غريب الحديث، القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد، تحقيق: د. محمد عبد المنعم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٣٩٦هـ.

١٣٥. غريب الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٩٧هـ.

١٣٦. الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، ط٢، بدون ذكر تاريخ.

١٣٧. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة

العربية السعودية، جمع أحمد بن عبد الرزاق الدويش، طبع ونشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٣٨. فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ بن عَبداللطيف آل الشيخ، جَمع وترتيب وتحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، ط١، ١٣٩٩ هـ.

١٣٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، بدون ذكر رقم طبعة ولا تاريخ.

١٤٠. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت، بدون معلومات أخرى.

١٤١. الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٤٢. الفرق بين النصيحة والتعبير، الإمام الحافظ زين الدين ابن رجب الحنبلي، بدون معلومات.

١٤٣. الفروق، أسعد بن محمد بن الحسين النيسابوري الكرابيسي، تحقيق: د. محمد طموم، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط١، ١٤٠٢هـ.

١٤٤. فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب أمير المؤمنين عمر بن

الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الدكتور علي محمد الصلابي. كتاب ألكتروني.

١٤٥. فقه الاستشارة، د. ناصر بن سليمان العمر، نشر مكتبة صيد الفوائد الألكترونية.

١٤٦. فقه الدعوة في صحيح البخاري دراسة دعوية من أول كتاب الوصايا إلى نهاية كتاب الجزية والموادعة، الدكتور/ سعيد بن علي بن وهف القحطاني، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ.

١٤٧. فقه السيرة، د. زيد بن عبدالكريم الزيد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.

١٤٨. فقه النوازل، دراسة تأصيلية تطبيقية، د. محمد بن حسين الجيزاني، دار ابن الجوزي، الدمام، ط ١، ١٤٢٦هـ.

١٤٩. الفكر السامي، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، تحقيق الدكتور/ عبد العزيز القاري، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٣٩٧هـ.

١٥٠. فن الإعداد والإلقاء، سامي بن خالد الحمود، بدون ذكر معلومات.

١٥١. فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

١٥٢. القاموس المحيط، تأليف: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون ذكر رقم طبعة ولا تاريخ.

١٥٣. قرة العينين في أطراف الصحيحين، محمد فؤاد عبد الباقي، دار

الفكر بيروت، نشر المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ، بدون ذكر رقم الطبعة.

١٥٤. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبي محمد عز الدين السلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون ذكر معلومات أخرى.

١٥٥. قواعد معرفة البدع، د. محمد بن حسين الجيزاني، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢، ١٤٢١هـ.

١٥٦. القول المبين في قواعد الترجيح بين المفسرين، فهد بن عبد الله الحزمي، مختصر رسالة دكتوراه غير منشورة، نشر موقع صيد الفوائد الألكترونية.

١٥٧. القول المفيد على كتاب التوحيد، العلامة محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤٢٤هـ.

١٥٨. كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، الدكتور: عبد الوهاب أبو سليمان، مكتبة الرشد، الرياض، ط ٩، ١٤٢٣هـ.

١٥٩. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون ذكر رقم طبعة ولا تاريخ.

١٦٠. الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ.

١٦١. لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط١، بدون تاريخ.
١٦٢. لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: دائرة المعرف النظامية - الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٣، ١٤٠٦هـ.
١٦٣. مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، سنة ١٤١٦هـ، بدون رقم طبعة.
١٦٤. المجموعة العلمية، بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.
١٦٥. المحكم والمحيط الأعظم، تأليف: أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.
١٦٦. المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، بدون ذكر معلومات.
١٦٧. مختار الصحاح، تأليف: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة جديدة، ١٤١٥هـ.
١٦٨. مختصر كتاب الاعتصام، علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٢٢هـ.
١٦٩. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي

بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٣هـ.

١٧٠. مدخل في قواعد اللغة المندائية نعيم بدوي ط ١٩٩٣م بغداد.

١٧١. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٧٢. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، وتعليقات الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.

١٧٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٢٠هـ،

١٧٤. مسند البزار المطبوع باسم البحر الزخار،أبو بكر أحمد بن عمرو ابن عبد الخالق البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ١، ٢٠٠٩م.

١٧٥. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي أبي الفضل عياض ابن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي، المكتبة العتيقة ودار التراث، بدون ذكر مكان ولا رقم ولا تاريخ الطبعة.

١٧٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي أبو العباس.

١٧٧. مع الشاطبي في مباحث من علوم القرآن وتفسيره، د.شايع بن عبده بن شايع الأسمري، مجلة الجامعة الإسلامية.

١٧٨. معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٤، ١٤١٧هـ.

١٧٩. معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار الفكر، بيروت.

١٨٠. معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، بدون ذكر معلومات.

١٨١. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، كتاب ألكتروني.

١٨٢. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة للنشر، بدون تاريخ.

١٨٣. معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٠هـ.

١٨٤. معرفة السنن والآثار، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله ابن موسى البيهقي، تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار الوفاء، مصر، ١٤١٢هـ.

١٨٥. المعلم بفوائد مسلم، الإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن عمر المازري، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٩٢م.

١٨٦ . مفاتيح الغيب من القرآن الكريم، محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي، دار إحياء التراث العربى، بدون معلومات أخرى.

١٨٧ . مفاهيم صابئية مندائية ناجية مراني ط ١٩٨١م بغداد.

١٨٨ . مفتاح دار السعادة، ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨٩ . المفصح المفهم والموضح الملهم بمعاني صحيح مسلم، أبو عبد الله محمد بن يحي بن هشام الأنصاري، تحقيق وليد أحمد حسين، الفاروق الحديثة، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٩٠ . المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم، الإمام أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق محي الدين ديب مستو وآخرين، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق وبيروت، ط١، ١٤١٧ هـ.

١٩١ . الملل والنحل، أبي الفتح محمد الشهرستاني، مكتبة الرياض الحديثة.

١٩٢ . من جهاد قلم، عبد الله بن خميس، مطابع الفرزدق، الرياض، بدون رقم طبعة ولا تاريخ.

١٩٣ . مناقب الإمام أحمد، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي، دار ابن خلدون.

١٩٤ . مناقب الشافعي، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، مصر، ١٣٩٠هـ.

١٩٥ . منهاج السنة، ابن تيمية، طبع جامعة الإمام، ط ١، ١٤٠٦هـ.

١٩٦. الموافقات في أصول الفقه، تأليف: إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي الشاطبي، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، بدون ذكر رقم طبعة ولا تاريخ.

١٩٧. الموافقات، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي الشاطبي، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، بدون ذكر رقم طبعة ولا تاريخ.

١٩٨. الموجز في تأريخ الصابئية المندائيين، تأليف عبد الفتاح الزهيري، نقحه فريد عبد الزهرة المنصور، مطبعة أركان، بغداد، ط ١، ١٩٨٣م.

١٩٩. الموسوعة الميسرة في الأديان والذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي مطبعة سفير، الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ.

٢٠٠. موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبد الرّحمن بن صالح بن صالح المحمود، مكتبة الرشد، الرياض.

٢٠١. موقف أهل السنة من أهل البدع، د.إبراهيم عامر الرحيلي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة، ط١.

٢٠٢. نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، إبراهيم اليازجي، بدون ذكر معلومات.

٢٠٣. النكت على مقدمة ابن الصلاح، بدر الدين أبي عبد الله محمد بن جمال الدين عبد الله بن بهادر، تحقيق: د. زين العابدين بن محمد بلا فريج، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

٢٠٤. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن

محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي. المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، بدون ذكر رقم طبعة.

٢٠٥. الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، د. محمد صدقي بن أحمد البورنو، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٥، ١٤١٩هـ.

٢٠٦. المواقع الألكترونية للصابئة:

www.faylee.info.Articles

www.mandaeans.org.framelow.htm

www.sabianmandaean.com/news.php?readmore

مراجع أخرى:

أولًا: الموسوعات العلمية الألكترونية:

١- موسوعة الحديث الشريف، الكتب التسعة، إصدار شركة حرف لتقنية المعلومات، الإصدار الثاني.

٢- موسوعة المكتبة الشاملة.

٣- موسوعة المكتبة الإسلامية الكبرى، إصدار مركز التراث للبرمجيات، الإصدار الأول، عمان، الأردن.

ثانيًا: المجلات:

١. مجلة الدراسات الدعوية، علمية محكمة، صادرة عن الجمعية السعودية للدراسات الدعوية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، العدد ١، ١٤٢٩ هـ.

٢. مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد ١٢٧ .

الفهرس